المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



الاتجاه الإسلامي في شعر
محمد بن علي السنوسي
دراسة تحليلية فنية

إعداد

مفرح إدريس أحمد سيد

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

سيد ، مفرح إدريس أحمد

الاتجاه الاسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي - مكة المكرمة .

٤٢٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩ - ١٢٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

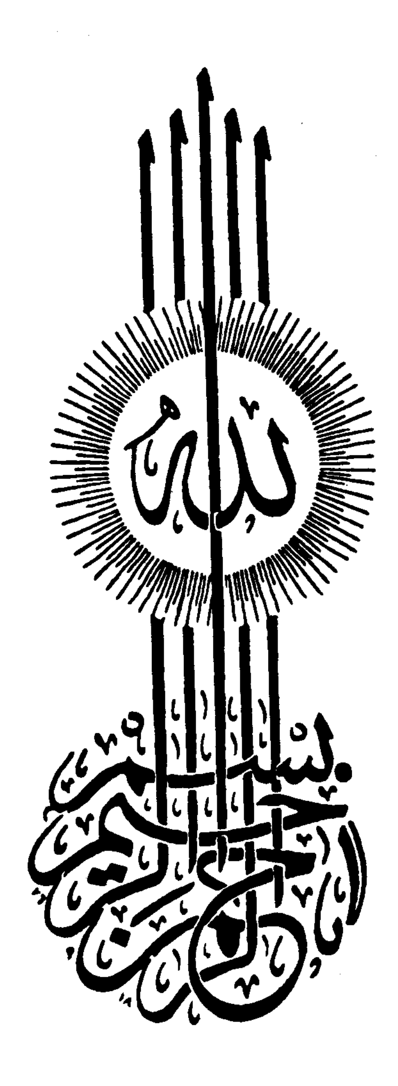
١ - السعودية - الشعر العربي - نقد - العصر الحديث

٢ - السنوي ، محمد بن علي - نقد أ - العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٠٩ ١٦ / ٣٤٧٨

رقم الايداع : ٣٤٧٨ / ١٦

ردمك : ٩ - ١٢٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العمل هو رسالة ماجستير في (الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي « دراسة تحليلية فنية ») من جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية . قسم : الأدب .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

الإهداء

إلى أسرتي الكريمة .. ابتداءً بوالدي الحبيب .. ووالدتي الغالية ، وانتهاءً برامي وخولة.. إيماناً بعظم فضلهم بعد الله، ووفاءً ببعض حقوقهم عليّ .

وإلى الذي غرس حب اللغة وآدابها في أعماقي ، وأشعل جذوة الطموح في مسافات أحداقي ، إلى الأستاذ والرائد / **محمد بن عبده الشبيلي** .

وإلى الأخوين الكريمين الأستاذ / **علي أحمد فقيه**، والأستاذ / **غازي أحمد فقيه** .

تقديراً لمواقفهما ونبلهما ، وإنسانيتهما الفياضة .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الدراسة ، وبالله التوفيق .

مفرح إدريس أحمد سيد



المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فقد وقع اختياري على هذا البحث الذي هو بعنوان « الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية » ليكون موضوعاً لرسالتي التي سأتقدم بها لنيل درجة الماجستير - إن شاء الله - وذلك لعدة أمور أهمها :

١ - أهميته النابعة من علاقته الوثيقة بالعقيدة الإسلامية التي تملأ حياتنا ، وتوجه سلوكنا في هذه الحياة .

٢ - غزارته وتعدد مجالاته ، فهو يكاد يسيطر سيطرة شبه تامة على جميع أعمال شاعرنا الشعرية .

٣ - جودته وتفوقه من الناحية الفنية التي يرى معظم المناوئين لفكرة الأدب الإسلامي تجرده منها ؛ وذلك لغلبة الجانب الفكري - كما يزعمون - في الأدب الإسلامي على الجانب الفني .

٤ - عدم اهتمام الدارسين لشعر السنوسي بإبراز شعر هذا الاتجاه ،

واكتفاؤهم بالإشارة العابرة إليه في صفحات محدودة باعتباره غرضاً شعرياً من جملة الأغراض الشعرية التي حوتها أعمال السنوسي الشعرية .

ومن تلك الدراسات التي وجهت لشعر السنوسي ، وأشار أصحابها إلى الاتجاه الإسلامي ، ودرسوه بوصفه غرضا شعرياً أو اتجاها بصورة عامة ليس فيها تحليل ولا استقصاء :

- « محمد بن علي السنوسي شاعراً » للدكتور محمود شاكر سعيد
- وما جاء عن السنوسي وشعره في كتاب : « المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية » للدكتور علي علي مصطفى صبح .
- والأطروحة العلمية التي أعدها الطالب محمد بن سليمان القسومي بعنوان : «محمد بن علي السنوسي حياته وشعره » لنيل درجة الماجستير من كلية اللغة العربية في الرياض .

٥ - إيماني العميق بضرورة إبراز هذا الاتجاه في نتاج الأدباء في سائر الفنون الأدبية ، ودراسته دراسة علمية جادة ، ومن ثم تقديمه لجمهور المتلقين ، حتى يكون مشعلاً ينير السبيل أمام مسيرة الأدب الإسلامي المعاصر .

وأود أن أشير إلى أن منهجي في هذه الدراسة كان منهجاً وصفياً تحليلياً فنياً ، عالجت من خلاله النصوص ، ودرست ما فيها من قيم فنية في إطارها ومضمونها وصورها ، وذلك لإيماني بجدوى هذا المنهج في دراسة الأدب ،

وحاجة شعر السنوسي الإسلامي إلى هذا المنهج في دراسته .

ومن الطبيعي أن تكون مصادر هذه الدراسة هي أعمال الشاعر الشعرية ، سواء ماضمه منها كتاب أو مجلد ، كشعره الذي حوته (أعماله الكاملة)، أو كتاب (شعراء الجنوب)، أو الذي قدر لي الوقوف عليه في بعض الصحف والمجلات السعودية ، فقد عمدت إليها ، واستقيت منها المادة التي بنيت عليها هذه الدراسة ، بعد أن استقرأتها في مظانها .

كما أفدت من الدراسات التي وجهت لشعر السنوسي ، وقد أشرت لبعضها سابقاً، والدراسات المهتمة بإبراز الاتجاه الإسلامي في سائر عصورنا الأدبية، ولدى بعض الشعراء .

وهناك مراجع أدبية ونقدية وعلمية أفدت منها في هذه الدراسة ، وقد أشرت إليها وإلى أصحابها وطبعاتها في الهوامش ، كما أثبتها في آخر هذا البحث .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أجعلها في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

أما التمهيد :

فقد تعرضت فيه لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في دراستي ، وأتلمسه في شعر السنوسي ، ثم قدمت نبذة مختصرة عن الشاعر الذي تدور حول شعره دراستنا .

أما الفصل الأول :

(النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية)

فقد عنينا فيه بإبراز الأثر الإسلامي، والمعاني الإسلامية التي تضمنتها الأغراض الشعرية التي احتوت أغلب شعر السنوسي.

وقد شملت دراستي فيه الأغراض الشعرية الآتية :

المدح ، والرثاء ، والغزل ، والوصف ، والشعر الاجتماعي، والشعر الوطني.

أما الفصل الثاني :

(موضوعات الشعر الإسلامي)

فقد عنينا فيه بتحديد ودراسة أهم الموضوعات الإسلامية في شعر السنوسي.

وقد شملت دراستي فيه الموضوعات الآتية :

١ - الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية :

وقفنا في شعره المتعلق بهذا الجانب عند دفاعه عن العقيدة الإسلامية ممثلة في أهم أسسها وهو الإيمان بالله وتوحيده، من خلال عرضنا للأدلة التي ساقها السنوسي والتي تؤكد وجود الله - سبحانه وتعالى - ، وتشهد

بوحدانيته، كما وقفنا عند شعره الذي دار حول الإيمان بقضاء الله وقدره، واليوم الآخر، وشعره الذي توجه به إلى خالقه سائلاً إياه فيه الرحمة والمغفرة واللطف.

٢ - الشعر المتصل بالإسلام ورسالته :

وقفنا في شعره المتعلق بهذا الجانب - أولاً - عند شعره الذي خص به الرسالة الإسلامية، حيث وقفنا على إشادته بها، ودفاعه عنها، ودعوته إلى اعتناقها.

ثم وقفنا عند بعض الآفاق العبادية التي كان لها نصيب في شعره، كالصلاة والصيام والحج.

٣ - استلهام التاريخ الإسلامي :

وقفنا في شعره الذي استلهم فيه تاريخنا الإسلامي - أولاً - عند بعض أبطال الإسلام والمسلمين الذين استدعاهم في بعض تجاربه الشعرية، ثم وقفنا عند أمجاد الأمة الإسلامية، وبعض معارك الفتوحات الإسلامية.

٤ - الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين :

عنينا في دراستنا لشعره المتعلق بهذا الجانب ببيان موقفه من حضارة وتراث أمته الإسلامية، وموقفه من الحضارة الغربية الحديثة، وبإبراز حرصه على بعث تلك الحضارة ودراسة تراثها الضخم، ودعوته إلى الاستفادة من ذلك التراث في إرساء دعائم النهضة الإسلامية المعاصرة وبنائها .

كما وقفنا على دفاعه المستميت عن لغة ذلك التراث ، وتأكيده على دقتها وسعتها ومقدرتها على احتواء كل المعارف الإنسانية التالد منها والطريف .

٥ – الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد :

عنينا في دراستنا لشعره المتعلق بهذا المجال بالإشارة إلى الدوافع والأسباب التي جعلته يلح في الدعوة إلى الجهاد ، ثم أشرنا إلى الطرق التي اتخذها في دعوته إليه ، ثم وقفنا معه عند بعض الانتصارات التي تحققت على أيدي بعض أبناء أمته الإسلامية عندما امتطوا صهوة الجهاد .

٦ – الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية :

أشرنا في بداية تناولنا لشعر السنوسي المتعلق بهذا الجانب إلى انقسام الشعراء في دعوتهم إلى الوحدة ، ثم أكدنا على اهتمام السنوسي بوحدة العرب والمسلمين ، وبينا الأسباب التي جعلته يلح على الوحدة العربية ، ونفينا عنه صفة القومية في دعوته إلى الوحدة العربية ، وقدمنا من الأسباب والأدلة مانراه كافياً لدحض أي تهمة قد توجه إليه من خلال دعوته تلك ، ثم أشرنا إلى الطرق التي انتهجها في دعوته إلى الوحدة العربية والإسلامية ، والصورة المستقبلية التي رسمها لأمته في ظل وحدتها .

أما الفصل الثالث :

(معاني الشعر الإسلامي)

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (المعاني والأفكار) .

وقد أشرت فيه إلى أهم المعاني التي دار حولها شعر السنوسي الإسلامي ، ذات الصلة الوثيقة بالإسلام ورسالته ، ثم أشرت إلى سمو تلك المعاني وجلالها ، ووضوحها ، وتفاعله معها . . .

ثم قمت برصد أبرز ظاهرة في شعره الإسلامي ، والتي تتمثل في استيحائه لأغلب معانيه من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وتضمينه لبعض أحداث السيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني : تناولت فيه : (التجربة الشعرية والصدق الفني)

عرضت - أولاً - لمعنى التجربة الشعرية والصدق الفني ، ثم قمت بتناول شعر السنوسي الإسلامي من هذه الناحية ، وركزت على عنصر العاطفة ، ومدى صدقها فيه ، وقد تبين لي صدقه الفني والشعوري في كل الأغراض والموضوعات التي طرقها ، عدا بعض قصائده في مجال العقيدة الإسلامية ، فقد تخلفت العاطفة فيها قليلاً ، وذلك لطغيان عنصر الفكر فيها .

المبحث الثالث : تناولت فيه : (الوحدة العضوية)

وقد عرضت في البداية لمفهوم الوحدة العضوية لدى بعض نقادنا المحدثين، ثم أخذت بمفهوم الأستاذ مصطفى السحرتي لها في دراستي لشعر السنوسي الإسلامي.

وقد وقفت على توافرها بجميع مظاهرها في قصائده ذات النزعة القصصية، كما وقفت على توافرها في معظم قصائده التي خلت من النزعة القصصية، وذلك لاستقلالها بموضوع واحد، وهيمنة إحساس وشعور واحد عليها، وتضافر الألفاظ والصور على إبراز ذلك الإحساس والشعور المهيمن عليها.

ووقفت على توافرها - أيضاً - في أبيات محدودة في بعض القصائد التي لم تخضع لموضوع واحد، حيث رأينا تلك الأبيات بنية حية متماسكة، تتضافر فيها الألفاظ والصور لإبراز الفكرة التي يقصدها الشاعر، أو الإحساس الذي هيمن عليه أو اعتراه فيها .

أما الفصل الرابع :

(الشكل والصورة في الشعر الإسلامي)

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (المعجم الشعري) .

وقد أشرت في بداية تناولي له إلى تأثره بقراءات الشاعر المختلفة، كما أشرت إلى تأثره بعصره وواقعه الذي يعيشه .

ثم عنيت بإبراز معجم شاعرنا الإسلامي، وقد تبين لي مدى تأثر معجمه بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي.

المبحث الثاني : (الأسلوب) .

عرضت في بادئ الأمر إلى ملاءمته بين الألفاظ والمعاني في شعره، حيث وجدناه يستخدم بعض الألفاظ العذبة والرشيقة في المعاني التي تتطلب مثل تلك السمات في الألفاظ كالغزل، والرثاء، والشكوى.

ويستخدم بعض الألفاظ الشديدة والجزلة في المعاني التي تتطلب تلك الشدة والجزالة كالمدح، وكثير من شعره الوطني، وفي فخره بماضي أمته الإسلامية، والإشادة بالرسالة الإسلامية وحضارتها، وفي تصديه للحملات الاستعمارية...

ثم وقفت عند أبرز الظواهر الأسلوبية في شعره والتي تمثلت في : اقتباسه من الأسلوب القرآني، والتكرار، والحوار، والأسلوب القصصي.

وقد أرجعت ذلك التعدد في أسلوبه إلى ثقافته الواسعة، وإدراكه أن لكل تجربة شعرية إطارها الملائم لها.

المبحث الثالث : (الصورة الفنية) .

تناولت بالدراسة - أولاً - مصادر صور الشاعر في شعره الإسلامي، وقد اتضح لي أن أغلب صوره تعود إلى ثلاثة مصادر : ثقافية، طبيعية، إنسانية.

ثم عرضت للخيال والصورة الشعرية، وقد وقفت على حضور خياله في صوره الشعرية: المجازية والحقيقية، وركزت على التشخيص والتجسيم من صوره المجازية؛ لميله الشديد إليهما، ثم أشرت في دراستي لصوره الحقيقية إلى حسن اختياره للألفاظ القادرة على التصوير من خلال جرسها أو ظلالها.

ثم أشرت إلى دور خياله في توليد بعض الصور الذهنية، والمتمثلة في استخدامه لبعض الشخصيات التراثية في شعره، كرموز سعى من خلالها إلى ربط اللحظة الحاضرة بأختها في الزمن الغابر.

ثم تناولت في نهاية دراستي للصورة الفنية، المفارقة التصويرية، باعتبارها وسيلة من الوسائل التصويرية التي اتكأ عليها في بعض تجاربه الشعرية.

وفي الخاتمة:

أوجزت ما فصلته في فصول هذه الدراسة ومباحثها، وذكرت النتائج التي استطاع هذا البحث أن يحققها.

وبعد: ...

فقد بذلت قصارى جهدي لإخراج هذا البحث في أتم صورة، وأخلصت فيه لله قصدي، ولست أزعم أنني وصلت به إلى مرتبة الكمال،

أو أني وصلت فيه للكلمة الأخيرة، ولكن هي محاولة جادة، إن أصابها التوفيق فبفضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمن قصوري لا تقصيري، ومن عجزي لا تفريطي.

وفي الختام: أحمد الله تعالى الذي هيأ لي فرصة البحث، وأعانني على إتمامه على هذا النحو.

وأتوجه بخالص شكري إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ممثلة في عميدها الأستاذ الدكتور حسن باجودة، وإلى رئيس قسم الدراسات العليا فيها سعادة الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، الذي لم يضن علي بنصائحه، ولم يحرمني من حثه وتشجيعه.

ولا أظنني قادراً - في النهاية - أن أوفي أستاذي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد الحاردلو حقه، عن كل ما قدمه للبحث وصاحبه من علم واعٍ، وأستاذية كريمة حقة، وإنسانية فياضة، وصدر رحب، فقد كان وراء عملي حين يخور العزم، وأمامه حين تتقطع الأسباب، ولست أملك إزاء ذلك إلا الدعاء الصادق له، بأن يجزيه الله عني وعن طلبته خير الجزاء، وأن يوفيه حقه علماً وحكمة، وصحة وعافية وتوفيقاً ونوراً، إنه سميع مجيب الدعاء.

التمهيد

أ - مفهوم الشعر الإسلامي :[1]

ماذا نقصد بالشعر الإسلامي في دراستنا هذه ؟

هل نقصد به ذلك الشعر الذي يتردد فيه ذكر الله - سبحانه وتعالى -، وتمجيد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ؟

---

(١) هناك تعريف للفن الإسلامي بصورة عامة تبنته رابطة الأدب الإسلامي، ودعت إلى تمثله، ودراسة الأدب من خلاله، وهذا التعريف هو: «التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود».

انظر : منهج الفن الإسلامي، محمد قطب - ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص: ١١٩ .

ولم يخرج الباحثون والدارسون الذين خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف موحد للأدب الإسلامي عن ذلك المفهوم إلا في ألفاظ وعبارات .

انظر : الدكتور نجيب الكيلاني في كتابيه: «الإسلامية والمذاهب الأدبية» - ط - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة ص: ٩، و «مدخل إلى الأدب الإسلامي» - ط(١)، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٧هـ، ص: ٣٦.

وانظر : الدكتور عماد الدين خليل في كتابه: «في النقد الإسلامي المعاصر» - ط(٣)- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة ص: ٤٣=

وانظر الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا في بحثه : «نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد» مجلة كلية اللغة العربية، العدد (١١) عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص: ٣٣٧ .

أم نقصد به ذلك الشعر الوعظي الذي يهتم فيه منشئه بإسداء النصائح والتوجيهات، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار ؟

أم نقصد به ذلك الشعر الذي يهتم بمعالجة قضايا المسلمين في كل مكان؟

أم أننا نقصد به شيئاً أعم من ذلك وأشمل ؟

والحقيقة التي يجب أن نعيها جميعاً أن مجالات الشعر الإسلامي التي يدور في فلكها، وينابيعه الثرة التي يمتح منها أوسع من ذلك بكثير، فهي ليست محدودة بحد، ولا محصية بعد.

ونحن في دراستنا نقصد بالشعر الإسلامي : ذلك الشعر الذي يتصل بالإسلام اتصال الفرع بالأصل، والجدول بالينبوع، الشعر الذي يحمل فكرة إسلامية نيرة، أو عاطفة دينية سامية .

وبهذا المفهوم للشعر الإسلامي يتضح لنا أن الشعر الإسلامي لا ينحصر في إطار الشعر الخلقي، ولا في إطار الحكم والنصائح التي يمكن أن

وانظر الحوار الذي أجراه الأستاذ محمد العوين في مجلة اليمامة مع عدد من رواد الأدب الإسلامي، مبدعين ونقاد، حول إشكالية مفهوم «الأدب الإسلامي» العدد (١١٤٨) والعدد(١١٤٩) في شهر رمضان عام ١٤١١هـ.

وأنا لا أرفض هذا المفهوم للفن الإسلامي، لكنني لا آخذ به في دراستي للاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي؛ وذلك لعدم تحققه بهذا المفهوم في نتاج شاعرنا.

تقال في أي عصر من العصور .

ولسنا نقصد بالإسلامية فيه أن يكون دينياً يعنى بالتسبيح والتحميد ، والدعاء والاستغفار، ونحوهما من ابتهال للمولى سبحانه ، وتعظيم له ، وحديث عن عجائب مخلوقاته ، فذلك شعر إسلامي ، ولكنه ليس كل الشعر الإسلامي، بل بعض من كل، وجزء من جسم ، فالشعر الإسلامي أوسع من ذلك بكثير ، فهو يتناول كل قضايا الكون والحياة والإنسان حين تمزج بالعاطفة الإسلامية، أو تتشح بوشاح الفكر الإسلامي [1]

ب - نبذة مختصرة عن الشاعر

هو محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف بن محمد السنوسي [2] .

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبدالله الحامد - ط(١) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص: ١٤-١٥ «بتصرف».

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (٣٨) ج١ ، ٢، محرم، وصفر ١٣٩٦هـ.

ينحـــدر أصـلـه من الأسـرة السنوسـيـة المعـروفـة ببـلاد المغـرب العربي [1].

(١) أشار إلى ذلك الدكتور عبدالله أبو داهش في كتابه «المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي» ص: ١١، بقوله: «يعود نسبه في الأسرة السنوسية المعروفة ببلاد المغرب العربي» وقد أخذ هذا عن حديث للشاعر محمد بن علي السنوسي في مجلة المنهل (جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ).

كما أشار إلى ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه «محمد بن علي السنوسي شاعراً» ص(١)، عمان ١٤١٠هـ، ص: ١١، حيث يقول: «وينحدر أصله من الأسرة السنوسية في ليبيا، وينتمي إلى بلدة هناك تسمى العرش، هاجر جده إلى مصر ثم إلى مكة، وهناك ولد والد شاعرنا السيد علي السنوسي».

ويمكننا بعد عرضنا لهذين القولين الاطمئنان إلى ماأخذ به الدكتور عبدالله أبو داهش لسببين:

أولهما: أن الأسرة السنوسية في ليبيا فرع ينحدر من محمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) بينما شاعرنا - كما يظهر من نسبه - لاينحدر من هذا الفرع.

انظر: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث د. شوقي الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص(١) ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص: ١٥١.

ثانيهما: أنه ذكر أنه ينتمي إلى بلدة هناك تسمى العرش، ولم يظهر لي - فيما اطلعت عليه من المصادر - أن في ليبيا بلدة تسمى العرش.

انظر: محمد بن علي السنوسي حياته وشعره، محمد بن سليمان القسومي، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية في الرياض - العام الجامعي ١٤١٣هـ-١٤١٤هـ، ص: ٦٠.

ولد في مدينة جازان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ [١]، وقد نشأ شاعرنا في بيت علم وأدب، وتقى وصلاح، فوالده يعد من أهل العلم والفضل، وأحد رجال القضاء في العهد الإدريسي والسعودي [٢].

وهو إلى جانب ذلك شاعر مجيد، يأتي «في المقدمة من شعراء [بلاده في] النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري» [٣].

تلقى شاعرنا تعليمه في كتاب للفقيه محمد بن عبدالله الشماخي [٤]، حيث درس القرآن والخط بطريقة الألواح مدة أربع أو خمس سنوات.

وكانت دراسته في هذه المدرسة على فترتين يومياً، فترة صباحية، وأخرى مسائية [٥].

---

(١) ذكر ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه «محمد بن علي السنوسي شاعراً» وعلق عليه بالهامش قائلاً: هكذا ذكر لي الشاعر، وأنه وجد هذا بخط والده. ص: ١١.

(٢) مجلة المنهل، المجلد (٣٨) محرم، وصفر ١٣٩٦هـ، ربيع الأول ١٣٩٦هـ، والمفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ص: ١٢-١٣.

(٣) من شعراء الجنوب (علي بن محمد السنوسي) د. محمد بن سعد بن حسين، مجلة الحرس الوطني، ع(٥٠) ربيع الآخر ١٤٠٧هـ.

(٤) محمد بن عبدالله الشماخي: كان صاحب كتاب لتعليم الأطفال اليافعين القراءة والكتابة على الطريقة القديمة، وقد توفاه الله في حوالي سنة ١٣٦٠هـ أو بعدها، انظر ذلك في (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ص: ٢٩.

(٥) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢.

وبعد أن تعلم مبادئ القراءة والكتابة، تلقى تعليمه على يد والده، حيث درس النحو والصرف والفقه والتوحيد، وكان والده الوحيد في جازان الذي لايلحن في كلامه، لا في جد ولا في هزل، كما ذكر شاعرنا (١).

ثم تلقى تعليمه في مدرسة أهلية أخرى هي مدرسة علي بن أحمد عيسى (٢) حيث تعلم الحساب والخط (٣).

وتتلمذ على يد الشيخ عقيل بن أحمد بن حنين (٤)، ثم انصرف بعد ذلك إلى القراءة الحرة حيث نهل من مكتبة أبيه في علوم التاريخ والأدب

(١) المرجع السابق ص: ١٢.

(٢) علي بن أحمد بن عيسى: درس على علماء الشناقطة، ثم على يد الشيخ عقيل بن أحمد، وبعدها افتتح كتاباً لتعليم الأطفال اليافعين، وعندما أنشئت المدارس الحكومية عين مدرساً، ثم مديراً لمدرسة صبيا، ثم تقاعد ولزم داره للتعليم والإفادة، إلى أن توفاه الله في حوالي سنة ١٣٩٥هـ.

انظر ذلك في: (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ص: ١٢.

(٣) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢.

(٤) عقيل بن أحمد بن حنين: ولد في سنة ١٣٠١هـ، قرأ وهو في الثلاثين من عمره على الشناقطة الوافدين على الإمام الإدريسي وغيرهم، وكان ممن يقرأ صحيح البخاري في الحلقة التي يعقدها الإدريسي لدراسة الحديث، ثم تفرغ للتدريس في جازان في مسجد الحافة، ومسجد المهدلي، كما درس في عريش أقيم حول داره، وكان يدرس الفقه، والفرائض، والنحو، والبلاغة.

واللغة والشعر حتى ثقف نفسه ثقافة عالية ظهرت آثارها في شعره [1].

وقد أشار شاعرنا إلى ذلك بقوله : « وقد نشأت في جو علمي يزخر بالكتب ، ووسط يشع بالمعرفة ، فكان لهذا أثره العلمي والأدبي في نفسي ، وفكري ، وشعوري ، فنشأت على ذلك ، وتأثرت به . . » [2].

وقد أشاد بسعة ثقافته عدد من الدارسين لشعره ، ومنهم الأستاذ محمد بن سعيد العامودي حيث يقول : «ولعل من ميزات السنوسي - وهي ميزة أعتقد أن القليلين من شعرائنا يشاركونه فيها - إكثاره من القراءة والاطلاع ، فالسنوسي مولع بأن يقرأ ، وأن يقرأ ، وأن يشارك في العديد من الفنون ، والعديد من ألوان المعرفة ، وإني لأغبط السنوسي حقاً أن أراه مولعاً - إلى حد النهم - بالقراءة والاطلاع . . . ، وأعتقد أن لثقافة السنوسي المتعددة الجوانب أثرها في شعره بصورة عامة ، إلى جانب موهبته الفنية المعطاء . . . » [3].

= توفي سنة ١٣٨٢هـ، وقيل : في سنة ١٣٨٤هـ.

انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ص : ٣١ ، والحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، عبدالله محمد حسين أبو داهش ، ص : ٥٤ ، ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام .

(١) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص : ١٢ .

(٢) والدي السيد علي السنوسي ، مجلة المنهل ، مجلد (٢٩) ج١٢ ، ذو الحجة سنة ١٣٨٨هـ.

(٣) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، مطابع الروضة ، جدة ، ط(١) ١٤٠٣هـ، ص : ٣٠٩ - ٣١٠ .

التحق شاعرنا بعدد من الوظائف الحكومية ، ففي سنة ١٣٥٧هـ عمل في سلك الجمارك، وظل يتدرج في السلم الوظيفي حتى صار مديراً لجمارك جازان في سنة ١٣٧٠هـ.

وفي سنة ١٣٨٥هـ عين رئساً لبلدية جازان، ثم اختير لإدارة شركة كهرباء جازان في سنة ١٣٨٩هـ، وظل بها حتى تفرغ لحياته الأدبية في سنة ١٣٩٣هـ، وكان أحد الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي في جازان، عمل مساعداً لرئيسه(١) منذ إنشائه حتى سنة ١٤٠٠هـ، حيث تولى فيها رئاسة النادي، واستمر حتى وفاته.

وفي مساء يوم الأربعاء الموافق ٧/ ١٠/ ١٤٠٧هـ، وبعد رحلة مضنية مع المرض وافاه الأجل في مدينة جازان « فخرج شيوخها وشبابها يودعون أحد أبنائها البررة، وجاء أصدقاؤه ومحبو أدبه من مختلف أنحاء المملكة، فشاركوا في تشييع جنازته»(٢).

(١) هو محمد بن أحمد العقيلي، أول رئيس للنادي الأدبي بجازان.

(٢) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ص: ٧٨.



الفصل الأول

النزعة الإسلامية
في الأغراض الشعرية

النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية (١)

١ - المدح

إن المدح من أبرز الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق

والمتأمل في معاني هذا الغرض في رحلته الطويلة، يجدها قد طوعت للفترة التي قيلت فيها، وتمثلتها خير تمثيل، فهي في الجاهلية غيرها في الإسلام.

ففي الوقت الذي تكاد تنحصر فيه معاني هذا الغرض في المثل الخلقية «التي يعتد بها العربي منذ جاهليته، من مروءة، وسماحة، وحزم، وعفة، وعزة نفس، وإباء، وشجاعة، وكرم»(٢) نجد الإسلام بتعاليمه ومثله يوسع دائرة هذا الغرض، ويمد الشعراء الإسلاميين بمعان جديدة، أملتها طبيعته، فتمثلوها في نتاجهم الشعري.

ولو تتبعنا تلك المعاني الجديدة التي انداحت في قصائد مديح أولئك الشعراء لوجدناها تدور - في أغلبها - حول قيمة الرسالة، وصلتها بالله،

(١) نريد بالنزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية: صدور المعاني من المضمون الإسلامي وأخذ الدلالة منه.

(٢) التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص: ٢٢٩.

والإيمان بقيادة الرسول، والعدل في المسيرة، والالتزام بالحق، والمساواة بين الناس، والصدق في الدعوة، وتبليغ الرسالة، وتطبيق أحكام القرآن.[(١)]

بالإضافة إلى تلك المعاني التي دارت على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي -والتي كانت تمثل الشخصية المثالية في المجتمع العربي في ذلك العصر - بعد أن عمل الإسلام على تهذيبها والسمو بشأنها ؛ حتى تتفق مع مقاصده ومثله العليا.

ولم يخل أي عصر من عصورنا الأدبية من تكرار لتلك المعاني ؛ لأنها أصبحت بمثابة الصفات المثالية للحاكم والقائد المسلم في كل زمان ومكان.

وشاعرنا - كما تفصح أشعاره - يضمن قصائده المادحة لحكام بلاده من (آل سعود) تلك المعاني الإسلامية، وهذا التضمين لايستغرب منه، خاصة ونحن نعلم أن قادة بلاده قد اتخذوا «الإسلام والشريعة الإسلامية بدستورها السماوي الخالد، وماتضمنه ذلك الدستور من قوانين وأنظمة منهجاً التزموا بتطبيقه في جميع مناحي الحياة»[(٢)].

---

(١) دراسات في الأدب الإسلامي، سامي مكي العاني، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٦٨م، ص: ٧٤.

(٢) حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، تأليف رابح لطفي جمعة ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص: ٨١.

ولم يكن طامعاً من ورائها في مال أو جاه ، وإنما كان صادقاً فيها ، غير متكلف أو مبالغ ، وهذا ما أكده معظم الدارسين لشعره ؛ فالدكتور كامل السوافيري يرى أن أهم سمة تميز شاعرنا عن غيره من الشعراء في قصيدة المدح « أنه لايتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح مثلا من لا يرى أنه أهل للمدح »[(١)] .

ويؤكد ذلك الأستاذ محمد سعيد العامودي بقوله : « لا يحاول أن يتكلف ، أو يظهر بغير حقيقته . . . ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح - مثلاً - من لايرى أنه أهل لثناء أو مدح . . . وإنما هو في كل ما طالعته من شعره ، لا أراه إلا حريصاً كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق في التعبير »[(٢)] .

وقد وقفنا في رحلتنا مع شعره في هذا الغرض على جملة من المعاني الإسلامية ، التي دارت على ألسنة الشعراء في مدائحهم للخلفاء والأمراء والقادة الإسلاميين ، في مختلف عصورنا الأدبية .

وهذا التكرار من قبل شاعرنا لتلك المعاني لا يدفعنا إلى القول بعدم مصداقيته فيما يقول ، ولا إلى اتهامه بالتقليد لأولئك الشعراء في معانيهم ،

---

(١) الأعمال الكاملة ص : ٦٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٣٠٩ .

وذلك لأن تلك المعاني - التي احتشدت بها قصائده المادحة - كان لها حضورها الفعلي فيهم، ولم تكن تجلب من قبله، حتى يتمثلها ممدوحوه في حياتهم.

فالملك عبدالعزيز - كما هو عند شاعرنا - مصلح عظيم، عمل على لم الشمل بعد طول تفرق، ودأب على نشر الرسالة الإسلامية في بلاده بعد أن درست فيها، واستمد أحكامه من تعاليمها، محيياً بذلك سنة المصطفى - ﷺ - وهو بالإضافة إلى ذلك ملك مؤمن بالله، قوي الإرادة، شجاع، يعشق المعالي من الأمور.

نقف على هذه المعاني الجليلة السامية، والصفات الخلقية الرفيعة في قوله:

ومشى المصلح العظيم أبو الفيـ ـصل يسعى في همة واهتمام
يجمع الشمل والقلوب ويبني دولة النور بالهدى والحسام
بالهدى للهداة والسيف للإجـ ـرام من كل مجرم هدام
سنة المصطفى وهل يستقيم الـ أمر إلا بدقة الأحكام
ومضى الركب يحمل التبعة الكبـ ـرى ويمشي إلى أمام الإمام[1]

(١) المصدر السابق ص: ٥٨٨ - ٥٨٩.

وفي قوله [1]:

ملك لم يطأطئ الرأس إلا في ركوع لربه أو سجود

همة تركب الصعاب ونفس تأخذ المجد من جباه الأسود

أرغمت كل جاحد دأبه التضـ ـليل بغيا على احترام الحدود

وقوله [2]:

شق جنح الليل عزما ومضى يركب الهول ويزجي ويقود

يمتطي طرفا وينضو صارما ماله في وثبة المجد حدود [3]

يقنص المجد ويصطاد العلا والظبا تلمع والموت رصيد

العلا أبعد شيء يبتغى والردى أقرب مطلوب يريد

وتتكرر تلك المعاني في مدحه للملك سعود - رحمه الله - بعد أن سار على نهج أبيه، مستمداً منه حرصه على تطبيق الشريعة الإسلامية، والسير على نهج الرسول - ﷺ - وهديه، في قوله [4]:

نصير الهدى والله جل جلاله نصير له من كل باغ ونمرود [5]

---

(١) المصدر نفسه ص: ٤٢.

(٢) المصدر السابق ص: ١٣٩-١٤٠.

(٣) طرفاً: الطرف: الكريم العتيق من الخيل، وينضو: يستل.

(٤) مجلة المنهل، المجلد (٢٣)، شعبان ١٣٨٢هـ، ص: ٤٨٦.

(٥) باغ: البغي: الظلم والفساد، والمراد به هنا: الظالم الخارج عن طاعة الإمام العادل، ونمرود: المراد به هنا: الرجل المتمرد.

يقيم على القرآن دستور حكمه ويقضي به في كل غيب ومشهود
ويبني على نهج الرسول وهديه دعائم ملك من يقين وتوحيد
ويعتز بالإسلام مهما تكاثرت عليه الأعادي دأب آبائه الصيد [1]

ومن المعاني الإسلامية التي امتدح بها الملك سعود: العفو عند المقدرة، والحلم، ورعاية الأيتام والأرامل والطاعنين في السن، والصدق في التعامل، والكرم، والغيرة على الأعراض والحرمات، نجد ذلك في قوله [2]:

وعفى العاهل العظيم وأضفى حلمه واسعا وأرخى الستارا
وحمى الأنفس المباحة للسيـ ـف اقتدارا وعف عنها اقتدارا
ورعى أرملا وضم يتيما وأغاث اللهيف والمحتارا

وقوله [3]:

أضاءت به الدنيا ورفت له المنى
وصحت به الرؤيا بوعد وموعود
ملاذ للهفان وأمن لخائف
ونصر لمظلوم وحصن لمطرود

(١) الصيد: الذين يرفعون رؤوسهم كبراً، ولعله أراد بهم هنا: العظام.

(٢) الأعمال الكاملة ص: ٢١١ .

(٣) مجلة المنهل، المجلد (٢٣)، شعبان ١٣٨٢هـ، ص: ٤٨٦ .

وقوله [1]:

ويستجيب لداعيها إذا صرخت

بالمال والآل والأنصار والحشم

ولا يرى حاجة إلا ومد لها

يدا تغار على الأعراض والحرم

ويؤكد السنوسي تلك المعاني والصفات التي اصطبغت بها شخصية الملك سعود الفذة، مشبها إياه بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في عبقريته ورشاده [2]:

راية لم تزل بكف المفدى أمل العرب في الخطوب الدجيه

إرث آبائه الكرام المغاويـ ـر حماة الحقائق السلفيه [3]

ضاربا حولها نطاقا من الإسـ ـلام حكما ومنهجا وقضيه

سار في ظلها الدعاة إلى الحـ ـق نقيا لما رأوها نقيه

إلى أن يقول [4]:

ملك في إهابه عمر الفا روق رمز الرشاد والعبقريه

(١) الأعمال الكاملة ص: ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٣) المغاوير : جمع مغوار، والمغوار : المقاتل الكثير الغارات على أعدائه .

٤) الأعمال الكاملة ص : ٢٢٢ .

ويقف عند شخصية الملك فيصل - رحمه الله - ومواقفه الشجاعة وقفة تنم عن حب وإعجاب شديدين، برغم قلة قصائده التي أنشأها في مدحه، إلا أنه قد عني فيها بإبراز الجانب المهم في شخصية ذلك الملك العظيم، وهو اهتمامه - رحمه الله - بشئون الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم، وحرصه على وحدة المسلمين، مضحياً براحته في سبيل تحقيق تلك الغاية وذلك الحلم الجميل.

يقول شاعرنا مادحاً الملك فيصل، ومنوهاً باعتزازه بدينه الإسلامي وقيمه ومبادئه[1]:

رائد الأمة التي شهد اللـ	ـه بخير لها على شهدائه
قطب أقطاب عالم عربي	وزعيم الهداة من زعمائه
مذ تجلى ومذ تولى صحا الفكـ	ـر وهب الشعور من إغفائه
شع في العالم الكبير ودوى	صوته عاليا على أرجائه
وسما فوق منبر عالمي	هز أركانه جهير ندائه
نحن شعب إسلامنا جل معنا	ه سلام الورى وحسن إخائه
إنه الفطرة التي فطر اللـ	ـه عليها الحياة في أحيائه
وهو دين السلام والمثل العلـ	ـيا وسر الوجود في أضوائه

(١) مجلة المنهل، المجلد (٢٩)، ج(١١)، ذو القعدة ١٣٨٨هـ، ص: ١٤٧١-١٤٧٢.

وحـقـوق الإنسـان يكفلهـا الإسـ ـــلام في ظل عـدله وقـضـائه
والضـعـيـف المحق فـينا قـوي رغـم أنف القـوي من أعـدائه

ويشيد بالملك فيصل ودعوته إلى تضامن المسلمين، وسعيه الدؤوب إلى تحقيق تلك الدعوة عملياً، دون التفات إلى تخرصات المتقولين، والحانقين على الإسلام والأمة الإسلامية ؛ إيماناً منه بضرورة التفاف المسلمين ووحدتهم، ومن ثم وقوفهم كالبنيان المرصوص في وجوه أعدائهم المتربصين بهم ذات اليمين وذات الشمال[1]:

مـبـدأ واضـح دعـوت إلـيـه فـي وضـوح وقـوة وإراده
لم تحد عنه شعـرة والمضلـو ن كـثـيـر يـروجـون فـسـاده
سـرته مـؤمنا بربـك لا تـر جـو سـواه ولا تـخـاف عـبـاده
وطـريق المجـاهـدين أولي الـعـز م طـويل والصـبـر يطوي بعـاده
فـبلغت الـمـدى نجـاحـا أكـيـدا والنجـاح الأكـيـد للحق عـاده

ونختم رحلتنا في شعر المدح عند السنوسي بقوله عن حكام بلاده من (آل سعود) منوهاً بدفاعهم عن الإسلام، ووقوفهم إلى جانب إخوانهم من العرب والمسلمين[2]:

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥٧٥-٥٧٦.

(٢) المصدر السابق ص: ٧٨٢.

الحـامـلي عبء العـروبة والهـدى
والمسلمـين بهـمة وصمـود
والـذائـديـن بمـالـهـم وبـآلـهـم
عن بيضة الإسلام كل حقود(١)

٢ - الرِّثَـــاء :

يعد هذا الغرض من أبرز الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي وإلى عصرنا الحديث، وأصدقها وأعمقها تجربة على الإطلاق؛ وذلك لانبعاثه من عاطفة مكلومة ، فجعت بفقد قريب ، أو صديق ، أو ملك استطاع من خلال أعماله الجليلة أن ينفذ إلى أعماق رعيته، أو وطن تهاوى بعد أن كان شامخاً.

ولارتباط هذا الفن بحقيقة الموت التي لايتقبلها الإنسان ؛ لولعه بالحياة، وتشبثه بها إلى جانب من يحب ويهوى ، ولأن الشعراء من أكثر الناس حساسية، فقد اختلفت مواقفهم من تلك الحقيقة الحتمية، وأفصحت عن ذلك تجاربهم الشعرية منذ القدم، فمظاهر السخط والتبرم تطل برأسها في كثير من تجارب الشعراء في رحلة هذا الغرض التي قطعها وصولاً إلينا .

---

(١) بيضة الإسلام : جماعتهم .

وتبقى تجربة الشاعر المسلم، عميق العقيدة، غنية بمواقف صاحبها تجاه هذه القضية الحتمية ، سواء أكان الفقيد قريباً أم بعيداً، حيث تلمس فيها الطمأنينة، والتسليم بقضاء الله وقدره ؛ لأنه يدرك أنها سنة من سنن الله في هذا الوجود ، أكدها الله - سبحانه وتعالى - في مواطن كثيرة في كتابه العزيز. قال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾[2] .

وبالإضافة إلى إيمانه العميق بحقيقة الموت ، فقد آمن أيضا بأن هناك حياة أخرى يكتب له فيها الخلود الدائم في أحد الدارين : إما الجنة ، وإما النار ، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - له الطريق المؤدي إلى كل دار منهما، فنتج عن ذلك الإحساس بالطمأنينة عند الإنسان المسلم إزاء هاتين الحقيقتين : حقيقة الموت، وحقيقة البعث.

ولو عدنا إلى تجارب شاعرنا التي تنضوي تحت هذا الإطار لوجدناه في كثير منهايتجاوز وصف آلامه وأحزانه - التي ولدها في عالمه فراق ذلك الشخص المرثي، والإشادة بأعماله ومناقبه وسجاياه - إلى تأكيد قضية الموت، والتسليم بقضاء الله وقدره، والدعوة إلى الأعمال الصالحة؛ استعداداً لحياة دائمة، يخلد فيها الإنسان في أحد الدارين، مؤكداً أن الحياة

(١) سورة العنكبوت ، الآية :٥٧ .

(٢) سورة النساء، الآية :٧٨ .

مسافة سيقطعها الإنسان عاجلاً أو آجلاً .

وعسى أن أوفق في رحلتي مع بعض قصائد الرثاء عند شاعرنا في تجلية تلك الحقائق ، سواء أكانت متعلقة بتأكيده لتلك القضايا الإيمانية العميقة أم بغيرها ، كإبراز الأثر الإسلامي في قصيدة الرثاء عنده ، من خلال ذكر المناقب ، والأعمال ، للأشخاص الذين رثاهم .

ولنبدأ رحلتنا مع قصيدته في رثاء أبيه ، فقد بدأها بتجليته لحقيقة الموت ، في وقفات تأملية وجدانية ، مستعيناً ببعض الظواهر الكونية في تأكيد تلك الحقيقة ، حاثاً العقل على التدبر والتفكير العميق في مخلوقات الله .

يقول السنوسي مؤكدا تلك الحقيقة ، ومبيناً أنها سنة الله في خلقه ، مبدياً رضاه التام بقضاء الله وقدره [(١)] :

كلنا رائح على الموت غادي وعيون القضاء بالمرصاد[(٢)]
ومجاز هي الحياة فسيا ن مخب أو سائر في اتئاد[(٣)]
سائق الركب غير ناء عن الركب ولا حائد عن الركب حاد

(١) شعراء الجنوب ، تأليف محمد بن علي السنوسي ، محمد بن أحمد عيسى ، مطبعة الكمال ، عدن ، بدون تاريخ ، ص٩٦ .

(٢) المرصاد : الطريق والمكان يرصد فيه العدو .

(٣) مخب : أي مسرع في سيره .

نحن والدهر والمقـــاديـر والأيـام أنضـــــاء حلبـــة وطـــراد[(١)]

سنة لم تــدع لقلــب مـــريـض شــبـهـا في حـقـيـقـة الميـعـاد
أيهـا المطلق النهى مـسـتـشـفـاً مــا وراء الســتــور والأبـــاد
قف على شـاطئ الحـيـاة وحـاول خــوض عـمق المحـيط والموج هاد
وتأمـــل مظاهـــر الشــــط وابعث قــبــســا مــن ذكــائك الـوقـــاد
وارسل الطــرف رائدا يرجع الطـــر ف حسـيراً ولن تـــرى غيـر بـــاد
قد لعمري جمحت واسترسل الفكـ ـر ضــلالا وعــدت خـابي الزناد[(٢)]
كـــل مـا فـي يديك جهل وما أزدد ت من الجـهل غـيـر طيش الضـاد[(٣)]
ثم فـإن الصـبــاح من ذلك الليــــ ــل رهــين بهـجـعـة من رقـاد
واتخـذ من تـــــردد النفس الجـا ري دليـــلا ومن ســرى الروح هاد
ألجمت هـــذه الحقيقــــة ألبـا با وأعـيت عــقــول قــوم شـــداد

(١) أنضاء : الواحدة نضو، وهي : الدابة التي أهزلتها الأسفار، وحلبة: المكان الذي تجمع فيه الخيل للسباق.

(٢) جمح : الجموح من الرجال: الذي يركب هواه، فلا يمكن رده. الزناد: جمع زند وهو العود التي تقدح به النار.

(٣) الضاد: الغاضب.

ثم يأخذ السنوسي في وصف وقع المصاب الجلل على نفسه، في لغة رقيقة، موحية بالحزن العميق الذي عانق عالمه الوجداني، مستعيناً بالطبيعة في رسم أبعاد ذلك المصاب، وتلك الفاجعة.

حيث يقول [1]:

حاطني يا أبي بفقدك ليل ... آدني طوله وأعيا سهاد [2]

سلب النوم من جفوني وأورى ... بفؤادي جمر الغضا والقتاد [3]

أبتي أين منك طرف بعثت النـ ... ـور منه في مهجتي وفؤادي ؟

صور تبعث الأسى وعهود ... أنا منها في حرقة واتقاد

رددت صوتي السماء ولم أسـ ... ـمع جوابا فمن تراني أناد ؟

وملأت الفضاء جهشة باك ... رجعتها الرياح في كل واد

رحمت مهجتي غلاظ الصخور الصـ ... ـم واستعطفت فؤاد الجماد

وسرى عاصف الرياح يبث الـ ... ـليل شجوي وزفرتي ونهاد

وتدجي الدجى الكثيف بجلبا ... ب التياعي وسابغات حداد

(١) شعراء الجنوب، ص٩٦-٩٧

(٢) آدني : أثقلني وشق عليّ

(٣) الغضا : شجر عظيم حسن النار ، والقتاد : شجر له شوك مثل الإبر .

ويشرع في ذكر مناقب والده، والأعمال التي اضطلع بحملها فأداها على أكمل وجه، وأهمها اضطلاعه بأعباء القضاء بين الناس، والفصل بينهم في الخصومات بالحق، مهتديا في أحكامه بما جاء في الكتاب والسنة النبوية الشريفة ؛ ناشداً العدل في أحكامه.

أين يا مجلس القضاء فؤاد أرهقت متنه شئون العباد ؟

قد خلا منك مجلس كان بالأمـ ـس رفيع الذرى سميك العماد

وأجاب النداء من كان للحق لسانا مجلجلا في البلاد

يقف الخصم والجلال عليه حارس من شراسة وعناد

في شعاع من الحنيفية الغراء والعدل والهدى والرشاد[1]

ويختم مرثيته بالدعاء لأبيه بالرحمة والجنة[2] :

يا أبي جاد قبرك الغيث وانهلت على رمسك الحبيب الغوادي[3]

وأظلت ثراك أجنحة الرضـ ـوان خفاقة عليك نواد

وهفت حولك الصبا وسجى النو ر ورف الندى وغرد شاد[4]

وتتجلى النزعة الإسلامية في وصفه للحياة الدنيا، وبسط موقف

(١) شعراء الجنوب، ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٣) رمسك : قبرك.

(٤) سجى : سكن ودام.

الإنسان منها، ونظرته إليها في حالتيها، ساخراً من بعض الناس الذين يتهافتون على تفاهاتها، وينغمسون في طلب ملذاتها، ناسين أو متناسين أنهم راحلون عنها، حاثاً إياهم على الإقلاع عن ذلك التهافت، والإكثار من الأعمال الصالحة التي يستعدون بها للقاء خالقهم.

نقف على ذلك في رثائه لصديقه الأديب ضياء الدين رجب، حيث يقول(1):

عجب هذي الدنا عجب ... يا ضياء الدين يا رجب

حين تأتينا سخائفها ... يزدهينا البشر والطرب

وإذا جاءت حقائقها ... يعترينا الحزن والوصب

مالنا لا نستعد لها ... وهي حق ما به كذب

أبداً نحيا على غرر ... ونعيش العمر ننتهب

في سخيف من مفاتنها ... تغرق الأقلام والكتب

جل شأن الموت من بطل ... يده الأبطال تنتخب

ثم يأخذ في ذكر المناقب والمحامد، والصفات النبيلة التي احتوتها شخصية صديقه الراحل. يقول السنوسي ذاكراً بعض تلك الصفات(2):

---

(1) الأعمال الكاملة: ص ٧٤٣ - ٧٤٤.

(2) المصدر نفسه، ص٧٤٤ - ٧٤٥.

ما عرفت البشر في رجل وجهه من بشره ذهب

كمحياه وقد لمعت فيه من إشراقه شهب

حين ألقاه فيغمرني باللقاء العذب منه أب

ضاحك في وجهه ألق من صفاء النفس ينسكب[1]

ثم يدعو لصديقه بالمغفرة والعفو[2] :

جادك الرحمن مغفرة بالرضى والعفو تنسكب

ويعود السنوسي ليؤكد حقيقة الموت مرة أخرى في رثائه لصديقه الأستاذ محمد سرور صبان ، قائلا[3] :

أبا الحسن لا الحزن يجدي ولا الدمع
وإن كان في قلبي لوقدهما لذع[4]

تصاممت لما قيل مات محمد
سرور قلوب كم به جبر الصدع

فلما تبينت الحقيقة لم أجد
ملاذاً سوى ما سنه الله والشرع

---

(١) الألق : الضياء .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٠ .

(٤) اللذع : حرقة كحرقة النار .

إلى الله إنا راجعون وكلنا
سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع
أبا حسن ما العمر إلا مسافة
من المهد حتى اللحد غايتها القطع
مشيت إليها في أناة وحكمة
بخطو رصين لا غبار ولا نقع
وكنت المجلي سيرة وشمائلاً
يهيم بها الرائي ويعشقها السمع

ثم ينوه بخدمته للإسلام والمسلمين من خلال اضطلاعه بأعباء أمانة رابطة العالم الإسلامي ، ويذكر بعض الصفات والمحامد التي احتوتها شخصيته ، كإخلاصه للدين والهدى ، ودماثة أخلاقه ، وكرمه الفياض [(١)] :

عرفتك عرفان الأديب لفاضل
أديب تزين الفكر أخلاقه النصع
فأحللتني من صرح نبلك منزلا
جذبت به ضبعي فحق لها الرفع [(٢)]
وأنت امرؤ تولي المكارم أهلها
سجية طبع ما لثابتة نزع

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٢) ضبعي : الضبع : العضد : وجذبت ضبعي : أي أنهضتني من عثرتي .

وعن إخلاصه لدينه، وخدمته لأمته الإسلامية يقول :

أبا حـسن أخلصت للدين والهـدى
جـهـوداً فـمـا يثنيك ضـر ولا نفع
فكنت الأمين المرتضى لرسـالة
لك اختـارها الفـيصل البطل السـبع
رآك لهـا أهلا فـولاك أمـرها
وثوقـا من الداعي إليك بما يدعـو
تحـملتـهـا في قـوة وصـلابة
ولم يثن من عـبـئـهـا عـودك النبع[1]
فكنت لسـانا عـبـقـريا لدعـوة
هي الحـصن للإسـلام والسـيف والدرع[2]

ويختم شاعرنا مرثيته تلك بالدعوة للفقيد قائلا[3] :

أبـا حـسـن روى ثراك وجـاده
سـحـاب من الغـفـران صـيـبـه شـفع
ولا زال منهـلاً بذكـراك عـاطر
يفـيض به النادي ويحـتـفل الجـمع

(١) النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٠٤ .

وفي رثاء الشاعر لبعض حكام بلاده من (آل سعود) نجده يتجاوز وصف آلامه، وأحزانه ، إلى وصف أحزان أبناء وطنه وأمته الإسلامية، وذلك لمكانتهم العالية والعظيمة في نفوس أبناء وطنهم وأمتهم ، والتي جاءت كثمرة طيبة لمواقفهم المشرفة-منذ اضطلاعهم بأعباء الحكم في بلدهم- مع إخوانهم المسلمين ، وتحقيقهم لأبناء وطنهم الكثير من رغباتهم، وطموحاتهم، إضافة إلى حسن تعاملهم معهم .

ولتلك الأسباب نجد أن وفاة أحدهم يعد جرحاً دامياً لا لأبناء وطنهم فحسب، وإنما لأبناء الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها .

وهذا الشعور والإحساس هو المهيمن على قصائد رثاء شاعرنا لهم .

نلمس ذلك في رثائه للملك عبدالعزيز - رحمه الله - حيث يقول [1]:

صقر الجزيرة عاهل الإسلام
من ذا يكافح عنهما ويحامي

ضجت شعوب الأرض لما قيل قد
أودى المناضل عن حماها الرامي

ريعت لمصرعك النفوس وزلزلت
قمم النهى وشوامخ الأحلام

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص٢٠٨ .

تتــقلب الأكـبـــاد منه على لظى
ألـم كـــوخـــز ظبى ورشق ســـهـــام
يشــتــد لاعــجــهــا الوقــيــذ وتلتظي
شــعـــلا تطاير في لهــيب ضـــرام[1]
ذابت حناياها وألـهــــبــــهــــا أسى
خطب أصم مـــســـامع الأفـــهــــام
تأبى على حق القــضـــاء وصـــدقــه
وتـلـوذ بـالأحــــــــــلام والأوهـام
وتشــيح عن وجـه الحـقــيـقـة رهبـة
وجــــوى تـنظر من وراء لـثـــــام[2]

فالسنوسي في هذه الأبيات يصف وقع نبأ وفاة الملك عبدالعزيز على أبناء أمته الإسلامية، ويطلعنا على عمق حزنهم لرحيله المفاجئ عنهم، في وقت هم في أمس الحاجة إلى قائد إسلامي مثله، يعول عليه حين يحز بهم الضر، وتتغشاهم أعاصير المحن[3]:

---

(١) لاعجها: ألمها، الوقيذ: المحزن.

(٢) جوى: الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن.

(٣) مجلة المنهل، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٩.

فـــقـــدتك في حلك الخطوب وقـــد دحت

طخـيــاء تعـصـف كــالخـضـم الطامي[١]

ذكـــرت مــواقــفك العظيــمــة كـيف لا

والبـــــدر يذكــــر عند كل ظلام[٢]

وفي نهاية مرثيته يذكر بعض الخلال والصفات الحميدة التي توافرت في شخصه، وأهمها ذوده عن الدين، ونصرته له، والعمل بما جاء فيه، إضافة إلى التقى والصلاح:

لبي نداء الحـق موفور الهـــدى ... ومـضى نقي الذيل والأكمام

وأجــاب دعــوة ربه من كان في ... نـصر الإلـه مظفر الأعــلام

يمضي علـى سنن الرشاد وهديـه ... ويـذود عن أحـواضه ويحامي

للـه غـضـبته وفـــيه رضـــاؤه ... صـعـب على العذال والـلوام[٣]

ويصله نبأ استشهاد الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - عن طريق المذياع، فيرثيه بقصيدة تعد من أقوى وأصدق القصائد التي رثي بها ذلك الملك العظيم؛ لتصويرها شدة مصابه، ومصاب الأمة الإسلامية في فقدها

(١) الخضم: البحر لكثرة مائه وخيره. والطامي: العالي. دحت: بسطت، طخياء: الليلة الشديدة الظلمة واستعارها الشاعر هنا للنازلة والملمة.

(٢) هذا البيت تضمين لبيت أبي فراس الحمداني الآتي:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، ص٦٦.

(٣) مجلة المنهل، المجلد(١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص٢٠٩.

لأحد أبنائها الأوفياء، في صور تنبض بالحزن، والأسى العميق الذي عانق عالمه الوجداني.

يقول السنوسي وقد فوجئ بذلك الخبر الذي أراقه في سمعه المذياع واصفاً ذلك الصوت[1]:

رن في سمعي فكذبت صداه	**نبأ روع قلبي وشجاه**
ما لهذا الصوت كاب لونه	**قاتم النبرة مرعوب نداه؟**[2]
ما له ماذا عراه ما الذي	**هزه ماذا دهاه من نعاه؟**

وتهدأ عاطفة الشاعر المتأججة عند إدراكه لصحة ذلك الخبر الذي حمله المذياع، فيعزي نفسه ببقاء الملك فيصل حياً، وإن توارى جسده فأعماله الجليلة التي نهض بها ستخلد ذكره مهما طال الزمن، فقد وعتها أفئدة أبناء وطنه، وأبناء أمته العربية والإسلامية.

يقول السنوسي مؤكداً ذلك[3]:

فيصل مات ولكن ذكره	**يغمر العالم والدنيا شذاه**
مات جسما وتوارى هيكلا	**وهو حي في قلوب وشفاه**

(١) الأعمال الكاملة: ص ٥٩٥.

(٢) كاب: أي أسود.

(٣) الأعمال الكاملة: ص ٥٩٦ - ٥٩٧.

روحه فينا وفي أرواحنا ... تتهادى كالسنا منك ضحاه
ترك العرش ولكن لم يغب ... هو ما زال يرانا ونراه
في أياديه التي خلدها ... تغمر الشعب بفيض من نداه
ومساعيه التي قلدها ... أمة الإسلام في أقصى مداه
ومعانيه التي رددها ... لبني العرب جميعاً في حداه
ومباديه التي أعلنها ... عالي الصوت، فخافتها عداه

فالسنوسي في هذه الأبيات يشير إلى بعض مواقف وأعمال الملك فيصل -رحمه الله- التي ستخلد ذكره، وتكفل له البقاء في ضمائر الناس ووجداناتهم مهما طال بهم العمر، وقد تجاوزت تلك الأعمال والمواقف أبناء وطنه ومجتمعه، إلى أبناء أمته العربية والإسلامية، سواء من خلال وقوفه إلى جانبهم في محنهم ومآسيهم -كوقفته إلى جانب إخوانه في فلسطين ومصر، وسائر الدول العربية والإسلامية المتضررة من ويلات المستعمر الغادر- أو في دعوته إلى تضامن المسلمين واتحادهم، وسعيه إلى تحقيق تلك الغاية، وذلك الهدف النبيل، الذي سيكفل لأمته في ظله العزة والمنعة التي افتقدتها بسبب تفرق أبنائها.

ثم يختم قصيدته تلك بالدعاء للملك الشهيد قائلاً [1]:

---

(١) المصدر السابق: ص ٥٩٩.

وسقى الرحمن قبراً طاهراً ... مرغت فيه أنوف وجباه

وتتكرر هذه المعاني الإسلامية في رثائه للملك خالد - رحمه الله - بعد تأكيده لحقيقة الموت وحتميته :

لم يمت خالد العلى والمآثر
فهو ملء النهى وملء البصائر
إنما قد أجاب والحق داع
فأجاب الدعاء شأن الأكابر [1]

ثم يورد جملة من الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها الفقيد، ويصف عمق حب أبناء وطنه له الذي جاء نتيجة لحسن رعايته لهم ورقة تعامله معهم :

ملك يأسر القلوب بتقوا ... ه وسيماه لا بزهو المظاهر
حمل الشعب قبل أن يحمل التا ... ج بقلب كرقة الزهر طاهر
ورعاه رعاية الأب يرعى ... ابنه الفرد وهو مازال قاصر
وحماه من الأسى والمآسي ... ووقاه من اللظى والهواجر
وبنى حكمه على الحب والإيـ ... ـمان بالله في خفي وظاهر
وأحاط الحمى بقلب كبير ... بعطاء من المحبة غامر [2]

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨/ ٨/ ١٤٠٢هـ.

(٢) المصدر السابق في ٢٨/ ٨/ ١٤٠٢هـ.

ويصف حال أبناء وطنه وأمته عند سماعهم لنبأ وفاته، معللاً ذلك باهتمامه -رحمه الله- بشئونهم....

يا (أبا بندر) عليك سلام الـ	ـله تشدو به إليك الحناجر
تتهادى به المحاريب والسا	حات في كل مسجد ومنابر
وتناجيك بالدعاء قلوب الـ	ـعرب والمسلمين باد وحاضر
فلقد كنت للعروبة والإسـ	ـلام والمسلمين حام وناصر
تلتقي في حماك إن حزب الأمـ	ـر شعوب إلى حماك نواضر [1]
فتلاقيك حاضراً مستعداً	للمهمات لا تبالي المخاطر
وترى فيك إن رأتك شقيقاً	وصديقاً في كل شأن مبادر
خلق المسلم الغيور على الإسـ	ـلام سمتا وفطرة وشعائر

ثم يدعو له بالرحمة والمغفرة ولمن جاء بعده بالحفظ والرعاية :

رحم الله (خالداً) ورعى (فهـ	ـدا) وأبقاه للمسيرة سائر [2]

(١) حزبهم الأمر : أي نابهم واشتد عليهم.

(٢) جريدة البلاد، العدد (٧٠٧١) في ٢٨/٨/١٤٠٢هـ.

٣ - الغـزل

الغـزل « من أقدم الأغـراض الشعـرية وأبرزها ؛ يقـوم على عـاطفة الحب الفطرية بين الرجل والمرأة ، عرف واشتهر في الشعر الجاهلي ، لكنه نما وتغـيـرت بعض جـوانبـه في الإسـلام »[١] فـقـد سمـا الإسلام بـهذه العـاطفة ، وطامن من كبريائها وإسرافها في الجاهلية . . . واشترط بعد ذلك أن تظل هذه العاطفة في نطاقها الفردي، وأن يظل شرها أو خيرها ، انفعالها أو هدوؤها، ثورتها أو حركتها ، في نطاق هذه الحياة الفردية ، فلا تتجاوز ذلك إلى المساس بحياة الآخرين من مثل حياة الأسرة وحياة المجتمع[٢] .

« وعلى هذا النحـو الاجتـمـاعي ربط الإسـلام بين الحب والعـفـة، وجعل من هذين المفـهومين مفـهوماً واحداً فكل خفقة من خفقات هذا الحب يتحقق لها سموها في إطار هذه العفة الزاهي »[٣] .

(١) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت، ص٢٩٤ .

(٢) تطور الغزل في الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، د. شكري فيصل، ط(٦) ١٩٨٢م، ص٢١٢-٢١٤ «بتصرف».

(٣) المرجع نفسه ص٢١٤ .

ولأن المرأة - غالباً - هي الباعث لقصيدة الغزل ، فقد اختلف الشعراء - منذ القدم - في نظرتهم إليها ، تفصح عن ذلك تجاربهم الشعرية فيه .

والمتأمل في ثروتنا العظيمة من شعر الغزل - على امتداد عصورنا الأدبية - يجد عدداً كبيراً من التجارب ركزت على جمال المرأة الجسدي، حيث أغرق أصحابها في وصف ذلك الجمال وصفاً فاضحاً يدعو إلى التقزز والاشمئزاز، متجاوزين - في أغلبها - ذلك الجمال إلى تصوير العلاقة التي تربطهم بفتياتهم [(١)].

وهناك تجارب أخرى جمع فيها شعراؤها بين جمال المرأة الجسدي، وجمالها المعنوي، وأهم مايميز تجارب هؤلاء الشعراء: نزوعهم فيها إلى العفة، ومجانبة الفحش في تصوير علاقاتهم بمن أحبوا من النساء. والذي يؤخذ على بعض أصحاب هذه التجارب أنهم لم يستطيعوا ضبط عواطفهم؛ فوقعوا في خطر عظيم، وهو : «(الفناء) أي فناء العاشق في سبيل المعشوق، وفناء المعشوق في سبيل العاشق، فيذهبان معاً ضحية للحب العذري . . »[(٢)] وقد عرف بهذا الاتجاه في الغزل عدد

(١) يمثل هذا الاتجاه امرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة، وغيرهم في شعرنا العربي القديم، ونزار قباني، ومن اقتفى أثره في شعرنا العربي المعاصر.

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، د. علي علي مصطفى صبح، ط(١) سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٩٣.

من الشعراء، منهم: قيس بن ذريح، وعروة بن حزام، وجميل بن معمر، وغيرهم[1].

والغزل الموجه إلى جمال المرأة الجسدي والحسي وكذلك العذري «كلاهما مسرف في اتجاهه.

فالأول: مسرف في الجانب الحسي المرذول المبتذل.

والثاني: مسرف في الجانب المجرد الذي يؤدي إلى الفناء.

وكلاهما أيضاً بعيد كل البعد عن الاتزان الاسلامي في معالجة عاطفة الحب، وضبط شهوات النفس، لتنسجم مع الفطرة السليمة، في معالجة هذا البناء الاجتماعي عند الفرد»[2].

ولو عدنا إلى غزل شاعرنا لوجدناه لاينتمي إلى أيٍّ منهما انتماءً كاملاً، وإنما هو مزيج من الروحانية والحسية، صادر عن «وجدان شاعر استغرق في تأملاته العاطفية، بلا هبوط ولا إسراف، بل في اتزان الشاعر المسلم، الذي يعبر عن وجدانه في صدق فني، وترفع عن الصغائر الحيوانية الصرفة وعن الإسراف البالغ»[3] تقربه من النفوس تلك العفة

---

(١) العصر الإسلامي د. شوقي ضيف، ط(٧)، دار المعارف بمصر، ص٣٥٩-٣٦٩.

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة، ص٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص٩٤.

الزاهية التي كانت سمة بارزة في كل تجاربه الشعرية في هذا الغرض .

ومن نماذج شعره الغزلي قوله في قصيدته (أخت القمر) [١] :

يا فتنة القلب ومهوى البصر	جاوزت مقياس جمال البشر
كأنما خيرت أن تخلقي	فاخترت أحلى وأرق الصور
سبحان من أبدع هذا الصبا	وجل من نسق هذا الحور
أسهب في شعرك حتى انتهى	إلى الربى مسترسلا وانحدر
ورق في خصرك حتى استوى	إيجازه في قدك للمختصر
والغيد النشوان في سالف	ريان يستهوى شفاه الزهر [٢]
والخفر النعسان في مقلة	تكاد تستصبي فؤاد الحجر
حلوت حتى كدت أن ترشفي	رشفا وأن يحسو صباك النظر

ثم يصف أثر ذلك الجمال الآسر على نفسه [٣] :

أطبقت جفني على نظرة	رفت على قلبي رفيف المطر
أحيت بأحشائي موات الهوى	وجددت ذكرى زمان غبر
أيام أيامي كقطر الندى	صفوا وأحلامي كلحن الوتر

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص٤٦٦-٤٦٧ .

(٢) الغيد : النعومة ، والسالف : أعلى العنق .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص٤٦٧-٤٦٨ .

فالسنوسي - في هذه الأبيات - جلى محاسن فتاة أحلامه، ولكن في إطار من الحشمة والعفة، فأنت لاتكاد تقع فيها على معنى فاحش، أو صورة فاضحة بذيئة، ولم يدفعه ذلك الجمال إلى سلوك أو عمل يتنافى مع مبادئ وقيم العقيدة التي يعتنقها، بل دفعه إلى تذكر مانحها إياه، فشرع يلهج بتسبيحه قائلاً:

سبحان من أبدع هذا الصبا وجل من نسق هذا الحور[1]

ويصبح ذلك الحب الذي يكنه السنوسي لفتاته بعد توالي السنين مجرد ذكرى جميلة، تثيرها لحظات الخلوة والانفراد بالنفس[2]:

في لحظة من لحظات الهوى والنفس في فردوس أحلامها
تهتز أشجانا وتهفو جوى على لياليها وأيامها
تلوذ الماضي بها وانزوى في صور الذكرى و (أفلامها)
ماض برغمي قد مضى وانطوى بلحن أيامي وأنغامها
لاح لعيني وفي ناظري ظلال أيام براها الضنى
وفي سماء الفكر من خاطري أضواء حب قرمزي السنا[3]

(١) المصدر السابق، ص٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٧-٤٩.

(٣) قرمزي: القرمز: صبغ أرمني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم.

أحيا به في عالم ساحر وردية أحلامه والمنى

صبابة من حلم عابر رنا كلمح البرق ثم انثنى [(١)]

ويصف أثر تلك العودة لماضيه الجميل في صورة الذكرى، مؤكداً عفته في هواه ذاك [(٢)]:

هيجت قلبا لج في كبره جفا الهوى والنفس تشتاقه

صد وملء الكف من بدره ما يستثير القلب إشراقه

مال وقد مالت على صدره أغصانه خضراً وأوراقه

إذا هفا يوما إلى زهره أبت معانيه وأخلاقه

فالسنوسي في هذه الأبيات يتأمل « في أعماق نفسه عن وجدان يلتهب في ذكريات الماضي، فيعيد صورها ويستعرض (أفلامها) على حد تعبيره من غير ابتذال في وصف حسي للمحبوب ولا تفاني [(٣)] في سبيله حتى التبتل والرهبة لا هذا ولا ذاك، وإنما هي هبوب عاصفة الذكريات الماضية لتؤجج نار الوجدان بمقدار عبورها، ليعود كما كان ، بل أكثر ثباتاً واتزاناً، لأن قلبه الذي يضم وجدانه لج في كبره، وعاف الهوى،

---

(١) صبابة : بقية .

(٢) الأعمال الكاملة، ص٥٤ .

(٣) كذا ، والصواب : تفان.

ومع غريزة الشوق في النفس كفطرة إنسانية، فالقلب والوجدان ثابت لايذل للحب والهوى، ولا تستثيره جمراته، لأن المعاني السامية والأخلاق الفاضلة هي التي تضبط الوجدان، وتسمو بالقلب والعاطفة في اتزان خلق المسلم كما ينبغي أن يكون» [١].

والسنوسي - كما تفصح تجاربه في هذا الغرض - شديد التعلق بماضيه؛ ولهذا نراه عندما تسرف ذكرياته في غيابها، يحث نفسه على إثارتها واستعراضها، وفي ذلك يقول [٢]:

أعيدي إلى سمعي حديث شبابي
وردي إلى قلبي لذيذ رغابي
وطوفي بإحساسي على نبع صبوة
وفردوس حب كالخضم عبابي [٣]
هوى أخضر الآمال ريان بالمنى
رقيق الحواشي من جوى وعتاب

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة، ص٩٥.

(٢) الأعمال الكاملة، ص٧٠٠.

(٣) عبابي : العباب كثرة الماء، وقيل العباب : الموج.

تدفق في نفـــسي ورفت زهوره

وفـــاح شـــذاه في دمي وإهابي[1]

فالأبيات التي أمامنا تحمل روح الشاعر المتألمة على ماض عذب الرؤى، فر من بين يديها، وفي ذات الوقت تطلعنا على حنين الشاعر لذلك الماضي، بآماله الخضر، ومايدور فيه من عتاب رقيق بين المحبين.

وينقلنا السنوسي إلى زمن ذلك الحب، فيقول [2]:

نعمت به عهد الصبا والصبا رؤى

كـــرنة أوتار وعـــزف رباب

مضى والصدى باق تلوح طيوفه

كلمع المعـاني في سطور كتـاب

ويتوق إلى ذلك الحب - الذي حفل به الماضي - بما فيه من رقة الأشواق وعذوبة الأحلام، ومرارة السهد، وعذاب الانتظار [3]:

أعيدي فدتك النفس ذكرى صبابة

وأحـلام وجـد كـالرحـيق عـذاب[4]

(١) إهابي: الإهاب: الجلد.

(٢) الأعمال الكاملة، ص٧٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٠١-٧٠٢.

(٤) صبابة: الصبابة: رقة الشوق وحرارته.

وقـــولي فـــإن النفس عطشى إلي فم
يحـــدثني عن ســـحـــرها وعـــذابي
عن الســـهـــد في ليلي عن النار في دمي
عن البـــدر يحـــصي جـــيـــئتي وذهابي
عن الوعـد لـم يصـدق عن السـعـد لـم يرق
عن الكأس لم تطفح بغـيـر ســراب(١)

وهذا النص - كسابقه - رحلة عميقة في أجواء الماضي بأحلامه وأمانيه والامه، ابتعد فيه الشاعر عن الفحش في المعاني، كما أنك لا تلمس فيه «وصفاً حسياً، ولا تطلع على أوصاف جسدية، فالشاعر عف اللسان، طاهر القلب» (٢).

وفي قصيدته (شد الحزام) تتأكد لنا عفته في حبه، وحرصه على عدم إباحة حرمات الآخرين، حيث يقول متغزلاً في مضيفة الطائرة (٣):

رســمـت على الشــفـتين بســمــة جــذابـــة كــشــعــاع نجــمــه
ورنت رنـــــو الظبي أبـــــصـر في يد القناص ســهــمــه

(١) تطفح : أي تمتلئ وتفيض .

(٢) شعر الغزل في المملكة العربية السعودية، علي المصري، ط(١) عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص١١٦ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص٦٤٤ .

تتزاحم الألفاظ حو ... ل لحاظها والحسن زحمه
ومشت فما مشي القطا ... ة وما الحمام يهز جسمه
تنداح أعطافا وتغـ ... ـري لفتة وترق خدمه
وتكلمت فسمعت أر ... خم نبرة وأرق نغمه
تتساقط الألفاظ تحـ ... ـت لسانها كعصير كرمه
شد الحزام تقولها ... وأقول : لست أجيد حزمه
أنا خصم كل يد سوا ... ك تشده وتفض ختمه
مدت أناملها تزيـ ... ـح خصائلا كالليل ظلمه
فبدا ضياء الفجر فو ... ق جبينها نورا ونسمه
قلبي يحب وإنما ... في حبه خلق وحشمه
ويهيم بالغيد الحسا ... ن ولا يبيح لهن حرمه

فهذه الأبيات تحمل إعجاب الشاعر بجمال مضيفة الطائرة، فوصف ذلك الجمال وصفاً حسياً مبرزاً مفاتنها، إلا أنه أفصح في نهايتها « عن مدى سيطرة النزعة الإسلامية عليه. . . . . فهو يعترف بأنه يحب لكن طابع حبه الخلق والحشمة اللذان يمنعان من التبذل، وإنه يهيم بالغيد الحسان، ولكنه لايجرؤ على حرماتهن، والابتعاد عن التبذل - في الحب- وعدم إباحة حرمات الآخرين، سمة من سمات الشاعر المسلم المدرك

لحقيقة إسلامه» [1].

٤ - الوصف :

يعد الوصف من الأغراض الشعرية التي حظيت باهتمام واضح من قبل السنوسي ، فما يكاد يخلو ديوان من دواوينه من قصائد تتعلق بهذا الجانب .

وأقصد بشعر الوصف في دراستي ذلك الشعر الذي تناول فيه الشاعر الطبيعة بنوعيها : الصامت[2] منها والمتحرك[3] :

« وجمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس ، وتستجيب لها في فرحة وانطلاق»[4] وقد «هام الإنسان بالطبيعة منذ أن

---

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمه في موازين النقد ، محمد عبده الشبيلي ، الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص٥٢-٥٣ .

(٢) الطبيعة الصامتة تشمل : الأرض ، والسماء ، والشمس ، والقمر ، والكواكب ، والجبال ، والوهاد ، والسهول ، والهضاب ، والحدائق ، والبحار ، والأنهار ، والرياح ، والنسيم ، والليل والنهار ، والصباح والمساء ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف . . . الخ .

(٣) الطبيعة المتحركة تشمل : كل المخلوقات الحية مثل : النبات ، والحيوان ، والطير .

(٤) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ط(٨) ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص١٤٣ .

فتح عينه على محاسنها، وتطلع بحب إلى جمال روضها ورونق سمائها. وقد وجد فيها الشاعر والكاتب، منذ القديم، مرتعاً لخياله، ومقيلاً لأفكاره، تنشيه باهتزاز أزهارها وانسياب جداولها، وتلألؤ طلها، وهدوء ظلها، فيعود بالكلم الخالد واللوحة الناطقة»(١).

والشعراء في إحساسهم بالطبيعة وتأثرهم بها مختلفون، «فمنهم من يقف عند حد المرئيات، أو السمعيات، ينقل إليك ما في الطبيعة ملوناً تلويناً خفيفاً بشعوره، ومنهم من يشخصها ويخلع الحياة عليها، وينفذ ببصيرته الملهمة إلى سرها المغلق، ويهيم في أودية الخيال يغترف من ينابيعها، ويقتطف من أزهارها، وتنعكس نفسه على ماوصل إليه، وتشع بإشعاعات مختلفة فإذا الذي يلهج به لسانه أجمل من الطبيعة، وأوفى مقصداً؛ لأنه فسرها، وشرح آياتها ومعجزاتها، ونقله إليك صورة خلابة تزيده بهاء ورواء»(٢).

والشاعر المسلم حين يعرض للطبيعة في شعره يتخطى الوصف المجرد، متيحاً لنفسه التأمل في صنع الله، الذي أتقن كل شيء... ينظر

(١) الطبيعة في الشعر الأندلسي، د. جودة الركابي، ط(٢)، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص٩.

(٢) وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي، للسباعي بيومي وآخرين، نقلاً عن «حسن كامل الصيرفي وتيارات التجديد في شعره» د. محمد سعد فشوان، ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٥٣.

إليها وفي ذهنه معلومة سابقة بأن مامن شيء في الحياة والكون إلا يسبح بحمد الله ، وإن لم نفقه من ذلك شيئاً ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ [1] فهو الذي صب الماء ، وشق الأرض ، ومدها ، وبارك فيها وجعلها فجاجاً وسبلاً ، وجعل الشمس ضياءً ، والقمر نوراً ، وأخرج من البحر لحماً طرياً ، وحلية ، وأمسك الطير أن تقع على الأرض ، وأنشأ السحاب الثقال ، وأشع البرق ، والرعد ، خوفاً وطمعاً . كل هذه الأشياء يستحضرها الشاعر المسلم وهو يناجي الطبيعة[2] « ناظراً إليها في صلاتها المختلفة : صلتها بفاطرها وبارئها ، وفي صلتها بالكون ومفرداته من حولها ، وفي صلتها بعضها ببعض ، وصلتها ببني الإنسان» [3] .

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين احتفوا بالطبيعة ، ورأوا فيها أدلة عميقة ، تشهد بوحدانية خالقها ، وبديع صنعه .

والمتأمل في مجموعته الشعرية يجد عدداً من القصائد البديعة في وصف الطبيعة ، أظهر فيها الشاعر ولعه بمشاهدها ، فأخذ يجلي محاسنها ، ويستلهم مفاتنها ، ثم يصورها في لوحات شعرية أنيقة ، بعد أن

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد (١٠٩) مقالة للدكتور حسن بن فهد الهويمل ، عن «الحس الإسلامي في شعر الطبيعة السعودي» ، ص٤٨ «بتصرف» .

(٣) من قضايا الأدب الإسلامي ، د . صالح آدم بيلو ، ط(١) ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص٦٠ .

أطلق لحواسه العنان لتحلق في تلك الآفاق الرحبة، وتتأمل فيما أبدع الله، ثم يسلط شاعريته؛ لتجمع تلك الرؤى، وتصفها بأجمل الأوصاف [1].

ومن قصائده التي بدا فيها تعلقه بجمال الطبيعة قصيدة (جبل فيفاء) فقد أبدع شاعرنا في وصفه لذلك الجبل، وأجاد في رسم مظاهر الجمال التي يحتويها.

يقول السنوسي واصفاً شموخ ذلك الجبل، وتباهيه بما ألبسه الله من حلل جمالية تسلب اللب، وتستحوذ على المشاعر والأحاسيس [2]:

متحف من أشعة وظلال	**في إطار من نضرة واخضلال**
سابح في الفضاء يغمره النو	**ر بفيض من السنا والجلال**
يتحدى الذرى ويخترق السحـ	**ـب ويزهو في عزة واختيال**
صنعة المبدع المصور جل الـ	**ـله ربي رب العلا والكمال**
جبل تعشق النجوم مجاليـ	**ـه وتصبو إلى ذراه العوالي**
يزحم النيرات منكبه الضخـ	**ـم ويحتك بالسها والهلال** [3]

(١) من أعلام الشعر السعودي، د. بدوي طبانه، ط(١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٣٤٩ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٣) السها : كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى .

مشرئب إلى السماء برأس صلف في شموخه متعال[1]

أخضر السفح أزهر السطح مصقو ل الحواشي زاهي الربى والتلال

ثم ينتقل إلى وصف المناظر الطبيعية الخلابة التي تزين سفحه، وتتهادى في جنباته وبين شعابه، فيقول[2]:

يا لتلك الذرى الموشاة بالزهـ ـر نضيرا وبالثمار حوال!

أو لتلك الربى يرف شذاها بعبير الصبا ونفح الشمال!

ولذاك السحاب والماء يجري من خلال الصخور جري الصلال[3]!

والوجوه الصباح والمقل النشـ ـوى بسكر الصبا وسحر الدلال[4]!

والرياض المنسقات صفوفا في علال كأنهن لآل[5]

ويصف أثر تلك المناظر الجميلة على نفسيته[6]:

حيث عاشت أرواحنا وأمانيـ ـنا حياة موصولة بالمعالي

ونعمنا ولا نزال بدنيا من فتون وعالم من جمال

وسكبنا على الوجود غناء صافي النبع كوثري الزلال

(١) مشرئب: رافع رأسه، صلف: الصلف: هو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر.

(٢) الأعمال الكاملة، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣) الصلال: الحيات.

(٤) الصباح: أي الوجوه الجميلة.

(٥) علال: المراد بها هنا الحباب الذي يظهر فوق الماء من وقع المطر.

(٦) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٢.

ولايفوت السنوسي أن يصف الصعوبات التي تقف حائلاً بين الإنسان ورغبته في التمتع بمشاهد ذلك الجبل الخلابة عن قرب، وإصراره على قهر الصعوبات التي تزدحم بها الطريق إليه ، يعينه في مغامرته تلك ولعه بالسمو الذي يوحي به ذلك الجبل الأشم [١]:

دون إدراكها شعاف وصخر ... خطر المرتقى بعيد المنال [٢]

شاقني ذلك السمو ولي قلـ ... ـب ولوع بكل سام وعال

كلف بالسمو أنى تجلى ... شامخا في الجبال أو في الرجال[٣]

فتصعدته ويممت وجهي ... شطره في تقدم ونضال

وركبت الصعاب وانتصر الشو ... ق بقلبي على الونى والكلال [٤]

ذاك دأبي ودأب قومي مدى ... ر صراع الردى وقهر المحال

والسنوسي – في وقفته أمام جبل فيفاء بطبيعته الخلابة – لم ينس من وراء ذلك الجمال الأخاذ بمشاهده الكثيرة، فجميعها تشهد بوحدانية الله واتقانه لصنعه[٥]:

(١) المصدر نفسه، ص٣٤٤.

(٢) شعاف : شعف كل شيء أعلاه ، وشعفة الجبل رأسه.

(٣) كلف : محب .

(٤) الونى : الضعف والفتور والكلال والإعياء .

(٥) الأعمال الكاملة، ص٣٤٠.

صنعـــة المبــدع المصــور جل الــ ـــله ربي رب العـــلا والكمــال

ويقف السنوسي في قصيدة أخرى أمام (فيفاء) منبهراً بما حباها الله من جمال أخاذ، يدخل البهجة إلى النفس .

فهي معرض للجمال الحسي والمعنوي المتمثل في : جبلها المتعالي، ورباها السندسية، وسمائها التي لا تبرحها الغيوم، وسحبها السخية، وطيبة أهلها، وصفاء نفوسهم.

يقول السنوسي واصفاً (فيفاء) ، ومجلياً مظاهر جمالها، متخذاً من ذلك الجمال دليلاً على حسن صنع الله [1] :

لست فـــيـــفـــا أنت جنه تلهم الشـــاعـــر فنه [2]

من روابـــي الخلد لـــــونٌ ومن الفـــردوس ســحنه [3]

عـــالم يزهر بالبـــشـــ ـــر ودنـــيـــا مطمـــئنه

ونـــفـــوس كـــالنـــدى طهـــ ـــراً وكـــالإشـــعـــاع فطنه

وســـمـــاء تـتـنـــدى مـــزنة في إثر مـــزنه

وغـــيـــوم تنشـــر اللـــؤ لؤ صـــبـــحـــا ودجنه

(١) المصدر السابق، ص٣٩٨-٣٩٩.

(٢) فيفا : الفيف والفيفاة : المفازة لا ماء فيها، والفيفاء : الصحراء الملساء .

(٣) سحنه : لين البشرة والنعمة، وقيل : الهيئة واللون والحال.

وعلو يلثم النجم له خدا ووجنه [١]

عرضت فيه الليالي زهوها والبدر حسنه

أنت يا فيفاء هيفاء لها سحر وفتنه

ثم يعلن عجزه عن الاحاطة بكل مظاهر الجمال التي تحتويها (فيفاء) ويشيد بمن وهبها ذلك الجمال الآسر [٢]:

إنه فوق بياني جل من أبدع فنه

كل شيء فيك حلو أنت يا فيفاء جنه

وفي قصيدته (موكب السحاب) يتضح لنا مدى تفاعله مع جمال الطبيعة، وقدرته العجيبة على التحليق في أجوائها، وتحسيسنا بذلك الجمال المتضوع من كل مشهد من مشاهدها، حاثا إيانا على التأمل العميق فيها، سعيا وراء الراحة التي تحسها النفس وهي تعب من ذلك الجمال الآسر.

يقول السنوسي واصفاً ذلك السحاب الذي نشر رواقه على صفحة الكون، وماتخلل ذلك المشهد من أصوات، وحركات، حيث صوت الرعد، وزفيف الرياح، وإيماء النجوم، وابتسام البرق، حاملين البشارة للأرض بهطول الغيث من السماء[٣]:

(١) يلثم : يقبل.
(٢) الأعمال الكاملة، ص٤٠٠.
(٣) المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.

شاقه موكب السحاب وقد سا ... ر على الأفق ناشراً أعلامه
وزفيف الرياح يخترق الجـ ... ـو صفيرا والبرق يجلو حسامه [1]
وازدهته الرعود تختلب النفـ ... ـس جلالا وتطبيها فخامه [2]
مشمخر الذرى رقيق الحواشي ... سابغ الذيل مسبلا أكمامه [3]
عيلم تسبح الكواكب فيه ... وتشق الدجى به عوامه [4]

ويصف انهمار الغيث - الذي حمله ذلك السحاب - على الأرض [5]:

ضربته الرياح فاستقبل الأر ... ض حثيثا يبثها آلامه
ثائر والسكون يضفي على الكو ... ن جلالا والليل يرعى نيامه
جلل الأرض والسماء وأعيا ... صائل الرعد أن يدك ركامه [6]

ويجسد لنا فرحة المخلوقات، ومظاهر الجمال الذي حفل به أوسع مسرح للطبيعة بنوعيها قائلاً [7]:

(١) زفيف الرياح : شدة هبوب الرياح وسرعتها .

(٢) تطبيها : تسحرها .

(٣) مشمخر : مرتفع . سابغ : أي دان إلى الأرض وممتد .

(٤) عيلم : بحر .

(٥) الأعمال الكاملة، ص١٢٧ .

(٦) صائل : صوت الرعد، ركامه : السحاب المتراكم بعضه فوق بعض.

(٧) الأعمال الكاملة، ص١٢٩-١٣٠ .

دوحة عند جدول وغدير عند عشب وظبية وبشامه [1]

ومروج تهدلت تملأ الوا دي وتستوقف النسيم سلامه [2]

سطعت في ظلالها لمع الشمـ ـس ورقت بها دموع الغمامه

ومشت حولها المها تقطف الزهـ ـر وتحسو الندى وترعى الخزامه

وشدا في الفروع صادح أيك جاوبت لحنه الرقيق حمامه

ونضا الفجر فوقها ضوءه الزا هي وألقى على الرياض لثامه

وجلاها أزاهرا كالشفاه اللـعـس حارت على لماها ابتسامه [3]

في هذه الأبيات عرض مدهش ومثير لجمال الطبيعة بعد أن عانق الغيث عطش الأرض، فربت وازينت، وأسفرت عن وجهها بعد طول احتجاب، فإذا هي مصدر إلهام، ومبعث سعادة وراحة، وإحساس بالحياة وجمالها.

وقد كان خيال الشاعر الخلاق وراء تلك اللوحة البديعة، التي حوت كل تلك المشاهد في إطار واحد، يرفد كل مشهد فيها المشهد الآخر، فجاءت لوحته الطبيعية تلك غنية بالحركة، مزدانة بالألون والأصوات،

---

(١) بشامه : شجر طيب الرائحة والطعم يستاك به .

(٢) تهدلت : تدلت .

(٣) اللعس : اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً .

ناقلة ذلك التواصل العجيب بين مخلوقات الله، والألفة والمحبة السائدة بينها، فالمروج الخضر تهدلت على جنبات الوادي منتظرة مرور النسيم؛ لتحظى بسلامه، والحمامة بصوتها الرخيم تبادل صادح الأيك تحاياه، وتباشير الفجر تزيح عن الرياض الجميلة لثامها، والمها تتهادى في مشيتها تقطف الزهر تارة وتحسو نداه، وأخرى تطبع قبلاتها على نبت الخزامى.

تلك اللوحة البديعة التي رسمها لنا خيال السنوسي، وألف بينها بعد تنافر، من شأنها أن تذكي في النفس روح التطلع إلى بارئها وخالقها، وتحملها على استشراف أفق ذلك الجمال الآسر، الذي يساعدها على جلاء سأمها وأوصابها.

يقول السنوسي واصفا أثر تلك المناظر في نفسيته [1]:

صور يرقص الخيال عليها — وتطير المنى بها حوامه

ورؤى تستفز عاطفة القلـ — ـب وتستهبط النهى إلهامه

نبهت خاطري الكئيب وأذكت — في فؤادي غرامه وهيامه

وجلت ملء ناظري وقلبي — بهجة تدفع الأسى والسآمه

ويتوقف الشاعر عند مشهد من مشاهد الطبيعة المتحركة في قصيدته (اللحن السجين) فيطلعنا على خبايا روح ذلك الطائر السجين، بعد تتبعه

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٣٠-١٣١.

للفتاته الوجلة، وتطلعه المتوثب إلى العالم من حوله؛ ليصل في نهاية المطاف إلى رغبة ذلك الطائر في التحرر والانطلاق إلى عالم النور.

وهذه الخطرات التي حملتها لنا تلك القصيدة خطرات شاعر مرهف الحس جياش العاطفة [1]، يحنو على مخلوقات الله ويتعاطف معها.

يقول السنوسي بعد أن أرقه تغريد ذلك الطائر في دجى الليل، فراعه وأفزعه[2]:

(غــرد) غـنـى فـأرقـنـي　　　والدجى يجلو سنا قـمـره

راعني ليـلا وقـد خـفـقـت　　　مـهـجـتي عطفـا على سـهـره

يسكب الألحـان صـافـيـة　　　كـصـفـاء المزن فـي قطره

ويدير الـراح في نغـم　　　نغـمـات الـسـحـر في وتره

هـز إحـسـاسي عـلى زجـل　　　طاب ليل الشـعـر في سـمـره

ثم يبدأ شاعرنا في تتبع ذلك الطائر، مهتما باستكناه لفتاته العجلة، وتطلعه الدائم إلى العالم من حوله، محاولاً - عن طريقها - النفاذ إلى وجدانه، والوصول لمعرفة غاياته التي يرنو إليها، وأمانيه التي يتشوق لتحقيقها [3]:

---

(١) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج(١)، ط(٨)، دار الفكر، ص٢٥٤-٢٥٥ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص٩٥-٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧.

يا جناحاً ضمه قفص ضمة المشتاق في حذره
بات نضوا تستطير به شعل كالبرق في شرره
يتنزى في لظى شجن مد طول الليل من قصره [1]
ذائب في قلبه ألم شف عنه الذعر في بصره
حن للأيك الذي نبتت عذبات الريش في وكره [2]
رفرفت فيه قوادمه وزقا للفجر في طرره [3]
وهفا شوقا إلى نطف في شعاف الصخر أو نقره [4]
وانطلاق الروح في يفع خضل يختال في حبره [5]
واستباق للنمير جرى في الهواء الطلق من بكره
يتغنى في جداوله ويشيع الصفو في كدره
لغة تشدو وأجنحة كحفيف الروض أو هذره [6]

(١) يتنزى : أي كثير الحركة، فهو لايستقر في مكان.

(٢) عذبات الريش : أطرافه.

(٣) قوادمه : القوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح. وزقا : غرد . والطرر : الواحدة طره، الناصية، والمقدمة من كل شيء.

(٤) نقره : النقرة : الوهدة المستديرة من الأرض .

(٥) يفع : هو المكان المرتفع من الأرض، خضل : النبات الناعم، وكل شيء يترشش من نداه فهو خضل، حبره : الحَبَرة: ضرب من برود اليمن منمر، والحبير من البرود : ماكان موشياً مخططاً.

(٦) حفيف الروض : صوته حين تحركه الرياح. وهذره : الهذر : الكلام الذي لايعبأ به.

ويهتدي الشاعر بعد رحلته مع ذلك الطائر إلى أن الجمال هو العامل المشترك بين مايحدث الآن لهذا الطائر، وماحدث بالأمس البعيد لسيدنا يوسف - عليه السلام- حين قاده جماله إلى السجن.

ولم ينس الشاعر أن يربط - في نهاية قصيدته - ماحدث ليوسف - عليه السلام- ولذلك الطائر بالله - سبحانه وتعالى - فهو الذي قدر عليهما ما أصابهما، إذ هو وحده الذي بيده كل شيء. وفي ذلك يقول [1]:

يا سجينا ما جنت يده	لا ولم يجرح شبا ظفره [2]
كان من حسن الغناء له	سبب للأسر عن زمره
شرعة الدنيا وربتما	كان حسن الشيء من ضرره [3]
يوسف كان الجمال له	محنة والطهر في أزره
وهي دنيا شأنها عجب	في سجايا المرء أو فطره
أنت لا تنفك من شجن	وهو لايسلو هوى وطره
وكلا هذين في قفص	من قضاء الله أو قدره

بعد هذه الجولة في شعر السنوسي الذي خص به الطبيعة بنوعيها، نستطيع أن نقول: إن للسنوسي قدرة بارعة على تأليف الصور التي تتتابع

(١) الأعمال الكاملة، ص٩٧.

(٢) شبا: شباة كل شيء: حدُّ طرفه، وقيل حده.

(٣) شرعة: الشرعة ماسن الله من الدين وأمر به. ولعل المراد هنا: حكمتها.

في شعره حتى كأنها تفيض من نبع مستفيض، ومن مورد لاينضب، بعد أن وعاها حسه، ودبجها خياله الخصب، لترى فيها الخيال الحركي، الذي يخلع الحياة على الموات، ويهب الحركة للجماد . . . [1] تلمس ذلك في جبل (فيفاء) الذي استحال إلى إنسان يزاحم النيرات منكبه الضخم، متعالياً على الناس من حوله في صلف وغرور، وفي السحاب العاشق وقد تهاوى على معشوقته الأرض، ليبثها أشواقه وآلامه، وفي المروج الخضر المتهدلة على جنبات الوادي منتظرة عبور النسيم، لتحظى بسلامه . . .

كل تلك المشاهد التي استحضرها خيال الشاعر، وبث فيها الحركة، والحياة، تشهد بوحدانية الله، واتقانه لصنعه، سواء ألمح الشاعر إلى ذلك أو لم يلمح، فقد تلقاها حسه، وتفاعلت معها عواطفه ومشاعره، وعبر عنها وهو يدرك أن من ورائها يد الله وقدرته، وإن في كل جزئية من جزئياتها نوع حياة. وقد أبدى الشاعر تعاطفه مع بعض معالمها، كما هو حاله مع ذلك الطائر الذي فقد حريته وظل يشتاق إليها، آخذاً في اعتباره الآية الكريمة : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [2].

---

(١) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانه، ص٣٥٠ «بتصرف».

(٢) سورة الأنعام: الآية : ٣٨ .

٥ - الشعر الاجتماعي

هو من الأغراض الشعرية المستحدثة في شعرنا العربي المعاصر، وإن كانت له إرهاصات في شعرنا العربي القديم، إلا أنها لم تستطع النهوض به حتى يكون غرضاً مستقلاً له كينونته الخاصة به، وذلك لأن مجتمعنا الإسلامي - قديماً - لم تكن له قضايا اجتماعية ظاهرة تقلق الشعراء كما هو الحال في عصرنا الحديث الذي ظهرت فيه العديد من المشكلات الاجتماعية .

ويكتسب هذا الغرض الشعري جدته من قضاياه التي يعالجها، فقضايا عصرنا الحديث التي نعيشها تختلف عن القضايا المعاشة في عصورنا السابقة، كما أن قضايا كل بيئة ومجتمع تختلف عن قضايا البيئات والمجتمعات الأخرى .

ومجتمعنا الإسلامي - من أقصاه إلى أقصاه - في أشد الحاجة إلى هذا اللون من الشعر، فقد غصّ بالمدنية الوافدة التي سلبت عقول الكثير من أبنائه، ونالت استحسانهم، فانجرفوا في متاهاتها، ساعين وراء بهرجها الزائف، متحللين من القيم والمبادئ التي أرستها تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، غير آبهين بما قد يترتب على ذلك التحلل من نتائج وعواقب وخيمة، تتجاوز الفرد إلى المجتمع، والمجتمع إلى الأمة .

ومن هنا كانت مشاركة الشعراء في هذا المجال ضرورية، وذلك لأن «الإصلاح الاجتماعي مطلب إسلامي، وإسهام الشاعر في الإصلاح من خلال تصور إسلامي مقتضى لا محيد عنه، إذ لابد من أن يقدم لأمته ومجتمعه ماتتطلع إليه. وليس هناك أهم من تعقب الإثم والحمل على المفاسد والتواصي بالبر والعمل والدعوة إلى العطف والإحسان والمساواة، وتحمل عبء الدعوة إلى الطريق السوي، وتحذير الأمة من التقليد المشين»[(١)].

ولشاعرنا مشاركاته الشعرية في هذا المجال، وله وقفات مع كثير من الأدواء التي تفشت في مجتمعنا الإسلامي؛ نتيجة لضعف الوازع الديني، أو لتأثر أبنائه ببعض مظاهر المدنية الحديثة الوافدة إليه من دول الغرب. وله نصائحه وتوجيهاته التي تعدت المواطن إلى المسئول. تقوده رغبة جامحة في إيجاد مجتمع مثالي، يستمد مثاليته تلك من عقيدته الإسلامية بمثلها وقيمها ومبادئها. وهذا ماأكده بقوله[(٢)]:

لنا مثل نسمو إليها وغاية

وسائلها دين وخلق وعرفان

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د. حسن بن فهد الهويمل، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢، ص٣٢٧.

(٢) شعراء الجنوب، ص ٨٩.

وليس لنا أن نبتغيها وكلنا
بأطياف أحلام الأماني ولهان
وإن على أعناقنا وقلوبنا
حقوقا تقاضاها شعوب وأوطان

وقد تعددت طرق شاعرنا في شعره الاجتماعي، فتارة يميل إلى الأسلوب المباشر، إما ساخراً ومتهكماً كما فعل مع النفاق والمنافقين، أو ناصحاً كما فعل مع أبناء مجتمعه في حثه لهم على التزود بالعلم النافع.

وتارة يلجأ إلى الأساليب غير المباشرة، القادرة على إحداث التأثير المراد، كالمفارقة التصويرية، والحكاية، والحوار، والرمز. ولعل أول مايصادفنا من شعره الاجتماعي، قوله حاملاً على النفاق والمنافقين، مبدياً سخطه وسخريته من أحد المتزيين به، واصفاً ذلك الشخص وقد دأب على اصطناع البسمات الملونة، وإظهار مشاعر التقدير والاحترام لرئيسه؛ ليصل إلى غاياته عن طريق حيله المصطنعة تلك[1]:

أصدقائي أم أصدقاء الوظيفه ... أنتم ياذوي النفوس الضعيفه
الأولي تهزأون بالمثل العليا ... وتلهون بالمعاني الشريفه
بسمات ملونات وأخلاق ... وصولية غلاظ سخيفه

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٣٨.

ونفـــاق ملون تخـــجل الحـــر بــاء منه فـــتنثني مكســـوفـــه

ويواصل الشاعر رحلته مع ذلك المنافق ؛ ليكشف لنا سر تغيره ، ويبدي موقفه تجاهه[1] :

فـــإذا ولت الوظيـــفـــة ولوا وأثاروا عليك حـــربا عنيـــفـــه

خلق يشمـئز منه كـريم النـــــفس والطبع والخـصال المنيفـه[2]

ثم يفصح عن ألمه وحزنه الذي ولدته في عالمه تلك المشاهد المنفرة ، واصفاً أثر ذلك الداء ، منفراً من المصابين به ، ومحذراً من الاختلاط بهم . في قوله[3] :

يالنفسي من أنفس تقذف الحبـــر عـداء على الثياب النظيفـه !

وعلى كل جـــانب من قـــذاهـــا قـــذر يزكم الأنوف وجـــيـــفـــه

أوجـه كـالبــلاط لا تنبت الزهـــر وإن كـانت الميـاه كـثـيـفـه

وقلوب مثل الكهوف ظلامـــــا والضحى يغمر الوجود مخيفه

ويحمل شاعرنا في نص آخر على مرض اجتماعي لايقل خطره عن سابقه ، بل ربما تعداه في الخطر ، وهذا الداء هو الكبرياء والتعالي على الناس . وهو في حمله على هذا الداء يسعى إلى إيجاد ضده ، وهو التواضع

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣٩ .

(٢) يشمئز : أي ينفر منه ويكرهه ، والخصال المنيفة : الخلال الحسنة الشريفة .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص٤٣٩-٤٤٠ .

ذلك الخلق الإسلامي الرفيع. يقول شاعرنا في ذلك[1]:

يرفض القلب إذا كـان كـبـيـرا

عـقـد النقص سلوكـا وشـعـورا

ويراها دنسـا مـسـتـقـذرا

تألف القزم وتستهوي الصغيرا[2]

يحـجب الناقص سـفلى نفـسـه

بتـعـاليـه على الناس غـرورا

ورم الأنـف دلـيـل واضـح

أن في النفس جـروحـا وبثـورا[3]

وكـبـيـر القلب تلقـاه على

كل حـاليـه عظيـمـا وخطيـرا

هو كـالبـحـر جـلالا رائعـا

وهو كـالروض زهورا وعـبـيـرا

نفـسـه في يده مـبـسـوطة

تزرع الخـيـر وتبنيـه قـصـورا

(١) المصدر السابق، ص ٧١٥ - ٧١٦.

(٢) القزم: اللئيم الدنيء الصغير الجثة الذي لا غناء عنده.

(٣) بثورا: البثر: مثل الجدري يقع على الوجه وغيره من بدن الإنسان.

وضـــيــــاء البـــشــــر في غـــرته
خلقـــا ســـمـــحـــا وإيمانا غـــزيرا
يــــــرفـض العــــجب وإن هش لـه
مـبـسم الدهر نعــيـمــا وســرورا[1]

وشـاعـرنا - كـمـا هو مـلاحظ - في تنفيـره من الكبـر، ودعـوته إلى التواضع، قد سلك مسلكاً غير مباشر، فهولم يوجه اللوم لذلك الإنسان المتعالي، وإنما جاء به في صورة تدعو إلى ذلك النفور. فهو إنسان مريض، يحاول بتعاليه حجب إحساسه الباطن بالدونيه والنقص. ولم يقم بإطراء ذلك الإنسان المتواضع، وإنما قدمه لنا في صورة تدعونا إلى الإعجاب به، والتقرب منه. وبهذه المفارقة التصويرية نجح شاعرنا في تنفيره من ذلك الداء الخطير، كما نجح في الترغيب لتلك القيمة الخلقية الرفيعة. ويسلك الشاعر هذا المسلك غير المباشر في نعيه على الإنسان سخريته من أخيه الإنسان، في قصيدته (هوية الإنسان) التي يدعو فيها إلى الرحمة، والشفقة، ومديد العون لمن هم في أشد الحاجة لمدها، من خلال تشخيصه لحالة شيخ طاعن في السن، قد افتقد من يعوله ويهون عليه مصاعب الحياة، ويزينها في نظره.

(١) العجب : الزهو .

يقول السنوسي واصفاً أثر الشيخوخة والفقر المدقع على ذلك الإنسان[1]:

خارت قواه وخانه جلده ... وانهار من آلامه جسده
شيخ يجر وراء منكبه ... عمراً تكاد خطاه تفتقده
في مقلتيه وفي ملامحه ... صور يخط رسومها نكده
البؤس مائجة غواربه ... في شيبه متدفق زبده[2]
والفقر هائجة عواصفه ... في وجهه متربد لبده[3]

ويمضي في وصفه لذلك الشيخ، محاولاً استدرار مشاعر الشفقة والرحمة في نفوس أبناء مجتمعه. فيقول[4]:

أبصرته يمشي وقد شخصت ... عيناه واعتمدت عصاه يده[5]
تهوى به رجلاه حيث هوت ... والدرب يلفظه ويزدرده[6]
في كل زاوية له أمل ... يقتاده من محسن يجده

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) غواربه : الغارب : أعلى الموج .

(٣) متربد : أي متجمع ، ولبده : لبد الشيء بالشيء يلبد إذا ركب بعضه بعضاً، ولصق به .

(٤) الأعمال الكاملة، ص٣٧٩ .

(٥) شخصت : أي فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٦) يزدرده : يبتلعه .

ثم ينتقل ليصف لنا موقف فئة من الناس اعتادت التلذذ بمثل هذه المشاهد، وملاحقة أمثال ذلك الشيخ؛ ليسكبوا في أسماعهم سخرياتهم اللاذعة، متناسين تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ونهيه عن السخرية :

حقروه فانتهروه وابتدعوا　　رأيا هدى الإسلام ينتقده

سألوه في زهو وغطرسة　　ماذا هويته وما بلده ؟[1]

ويجيبهم الشيخ - على لسان السنوسي - مذكراً إياهم بإنسانيته التي توجب عليهم احترام مشاعره كإنسان يشاطرهم العيش في هذه الحياة، قائلاً[2] :

بشريتي بلدي وكل ثرى　　في الأرض يغذوني أنا ولده

وهويتي الإنسان ما خفقت　　أحشاؤه وتحركت غدده[3]

وانهار من ألم ومن نصب　　فصحا النهى وتحللت عقده[4]

فالسنوسي - في نصه هذا - يحث أبناء مجتمعه على مد يد العون لمن يستحق ذلك من الآباء الطاعنين في السن، ويدعو مجتمعه لاتخاذ وسيلة يساعد بها أولئك الناس دون أن يراق ماء وجوههم. ولكن ذلك الحث،

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٨٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠ .

(٣) غدده : الغدة والغددة : كل عقدة في جسد الإنسان أطاف بها شحم.

(٤) نصب : النصب : الإعياء والتعب . والنهى : العقل ، وتحللت عقده : أي انفتحت وانتقضت.

وتلك الدعوة، لم تأت مباشرة، وإنما عمد إلى وصف ذلك الشيخ الطاعن وصفاً يهيج الشفقة في النفس، ويدفعها إلى التعاطف مع ذلك الشيخ، ويدعوها لتقديم المساعدة له ولمن هم على شاكلته.

ويقف السنوسي في قصيدته (الحصان المقيد) ساخطاً على بعض المسئولين في مجتمعه؛ بسبب ظلمهم، وحرمانهم لبعض أصحاب الكفاءات العالية من أبناء مجتمعهم من بعض الفرص الوظيفية التي تتلاءم مع مؤهلاتهم، وإعطاء تلك الفرص لمن لايستحقها عن طريق المجاملات.

يقول السنوسي في ذلك متخذاً من الأسلوب الرمزي وسيلة لمعالجة ذلك الداء[1]:

لبديه صلصلة وفيه صهيل ... طرف كأكرم ما يكون أصيل

شدت إرادته القيود وكبلت ... قدميه وهو على القيود يصول

يهتز من مرح الفتوة جسمه ... ويدور رغم قيوده ويميل

متحفز للعدو ملء إهابه ... ثقة السيوف وعزمه المأمول

شاهدته والقيد يضغط ساقه ... ويديه وهو مكبل مغلول

والحبل من حركاته متحرك ... فتراه يقصر تارة ويطول

والخيل بين يديه مطلقة الخطى ... تلهو وتلعب مالهن كبول[2]

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٢) كبول : جمع كبل وهو القيد الضخم.

من كل خوار القوائم واهن يكبو إذا طال المدى ويبول[1]
فأسفت للفرس الأصيل مقيداً وعجبت للفرس الهزيل يجول
ورجعت أتهم الحياة كأنني عن كل مهزلة بها مسئول

فالحصان المقيد رمز به الشاعر لذلك الشاب المؤهل علمياً لأداء أية مهمة توكل إليه إن منح الفرصة. أما الحصان الهزيل فقد رمز به لذلك الشاب الذي حوبي بمنحه تلك الفرصة التي لايستحقها.

وشاعرنا يسعى - عن طريق نقده الهادف هذا - إلى معالجة ذلك الداء المتفشي في مجتمعه؛ لمنافاته لمبدأ العدل الذي حث على تحريه ديننا الإسلامي الحنيف في كل معاملاتنا.

ويقف السنوسي في قصيدته (القرد الفنان) ساخراً ومتهكماً من بعض شباب مجتمعه المأخوذين ببعض مظاهر المدنيةالوافدة، المتمثلة في تقليد أولئك الشباب للغربيين في أزيائهم، وفي طريقة سيرهم. وفي ذلك يقول بعد أن رأى واحداً منهم[2]:

رأيته وهو يمشي مشي فنان
كأنه فارس في وسط ميدان

---

(١) خوار : الضعيف الذي لا بقاء له على الشدة .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٠٩ .

يهـــز عطفـــيـــه إعـــجـــابا بحلتـــه

ويمسح الشـــعـــــر من آن إلى آن[١]

فـي (بـدلـة) تبـــــرز الأعـطـاف مائلة

أركـــانهـــا وزواياها (كـــفـــســـتـــان)

فـــقلت مـــاذا أرى يا قـــوم هل مـــســـخت

طبـــاع صـــحـــبي وإخـــواني وأقـــراني ؟

إني أرى بـيـنـكـم فـــــــرداً فـكـيـف أتى

وكـــيـف ألبـــســـتـــمـــوه لبس إنســـان ؟

وتتواصل عطاءات شاعرنا في مجال الإصلاح الاجتماعي، متجاوزاً- في قصيدته (صورة شعرية)- المواطن إلى المسئول، حيث يقول [٢] :

يا مـعـالي الوزير إن الـــوزاره — علـــــم رائـــع الـسنابل مناره

يرقب الشـعب نورها وصداهــا — أينـمـــا حل ليله ونهــــــــاره

مثل مـا ترقب المراصـد نجمــا — تجـتـلي نـــوره وترعى مـــداره

ومن الشعب تستمد الـمعالـي — مـــالـهـا من جـلالة ونظـــاره

ويرسم صورة الوزير المثالي الذي يطمح إليه المجتمع، محفزاً إياه على

---

(١) حلته : الحلة : كل ثوب جيد جديد تلبسه ، غليظ أو رقيق ، ولا يكون إلا ذا ثوبين .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٣٥٩ .

أن يكون هو ذلك الوزير الذي ينتظر تواجده أبناء مجتمعه[1] :

والوزير العظيم يحتضن الشعـ ـب وآمـاله ويلقـي دثاره[2]

يتبنى أحلامه وأمانيـه بـروح قـوية جـبـاره

يسهر الليل كي يحقق رؤيـا قـومـه فـي تقـدم وحـضـاره

واضعاً عينه على كل فـرع وجـهـاز وشـعـبـة وإداره

يتقـصى ويستحث ويوصـي ويهـز الكراسـي الـدواره

ويمد الموظفين بـروح منه وهاجـة تشـع حـراره

فالسنوسي - في هذا النص - يقدم لنا الصورة المثالية التي ينبغي أن يكون عليها كل مسئول ووزير في أي مجتمع من المجتمعات .

وفي ذات الوقت يطلع ذلك المسئول أو الوزير على الآمال والطموحات التي ينتظر أبناء مجتمعه تحققها على يديه ، ومن ثم يبصره بحجم المسئولية الملقاة على عاتقه تجاههم .

وهذا التصوير كما يرى الدكتور علي علي مصطفى صبح : «تصوير اجتماعي لكل وزير ، بل لكل مسئول في أي موقع من مواقع العمل والانتاج ، في أي بقعة من بقاع العالم»[3] ولأجل ذلك احتل شعر شاعرنا

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠-٣٦١ .

(٢) يلقى دثاره : أي يلقي كسل الشعب وخموله .

(٣) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ص١١٤ .

الاجتماعي مركزاً عالمياً ؛ لأنه «شعر إنساني عالمي بروح إسلامية عالمية، تحب الخير للإنسان في أي مكان»[1].

٦ - الشعر الوطني

« الوطنية روح تتمثل في حب الوطن ، والافتتان به ، والعمل له ، والذود عنه، والحفاظ عليه ، تسري في النفوس فتحبب إليها البذل والفداء، والتضحية والإيثار، وترتفع بها إلى مصاف الأبرار، ومراتب الأبطال، حين يحز الوطن الضر، ويحيق به الشر، فتسترخص الدم الزكي يروي ثراه الحبيب، وتستعذب الشهادة رضية قريرة العين في غير من ولا خيلاء»[2].

وقد هام الشعراء - منذ القدم - بأوطانهم ، يتغنون بأمجادها ، ويسرون إليها بآمالهم وأحلامهم ، ويبثونها آلامهم وأحزانهم ، ولا يتورعون لحظة في الذود عنها أمام كل من يحاول النيل منها والمساس بها .

(١) المرجع السابق، ص١١٤ .

(٢) دراسات أدبية ، د. عمر الدسوقي، ج(١)، ص١١٩ .

والشعر الوطني في العصر الحديث اتخذ «مسارين متمايزين : أحدهما إقليمي قومي غذته ورفدته عوامل عدة أهمها : الاستعمار، والتخلف ، والغربة ، والآخر وطني إسلامي يربط الوطن بالدين »[1].

وقد سلم (وطن) شاعرنا من نير الاستعمار الذي تجاوز مده الأراضي التي وطأتها أقدامه إلى عقول أبنائها، حيث عمل على إفسادها وبلبلتها؛ ليصل إلى غاياته البعيدة التي دأب على تحقيقها منذ البدايات . أضف إلى ذلك أن أبناء وطنه -بدءاً بحكامهم - قد اتخذوا الشريعة الإسلامية بتعاليمها منهجاً لهم في حياتهم، يأتمرون بأوامرها، وينتهون بنواهيها، ويصدرون عنها في كل مايصدرون، من قولٍ، أو فعلٍ، أو عمل . ولعل هذه العوامل والمؤثرات - مجتمعة - كان لها أثرها في توجيه شعره الوطني وجهة إسلامية لاتغفلها العين المتأملة، وخير دليل على ذلك ربطه الجميل بين حاضر وطنه الزاهي، وماضيه المشرق الجميل، فمن صحرائه انبثقت أنوار الرسالة الإسلامية ، وعلى أديمه سار ، سيد البشرية ، وصحبه الكرام ، وتحت سمائه مقدسات المسلمين ، ومشاعرهم التي يهفو إليها كل فؤاد وتشتاق إليها كل مقلة .

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي، ص٢٢٣ .

واهتمام شاعرنا بوطنه واعتزازه به - كما تفصح تجاربه - ليس ناتجاً عن نزعة عصبية يحسها فيريقها في شعره ، وإنما كان مرده ذلك الدور العظيم الذي ينهض به أبناؤه في خدمة الإسلام والمسلمين ، وشروعهم في تبليغ الرسالة التي انبثقت أنوارها من أراضيهم بوسائلهم المختلفة ، وشعوره الجميل بأن وطنه وطن للجميع من عرب ومسلمين، وخير دليل على هذا الشعور السامي قوله في قصيدته (الكيان الكبير)(١) :

في كيان موحد صاغه العمـ ـلاق عبدالعزيز ذو الإقدام

صاغه من يقينه وبناه عبقريا للعرب والإسلام

فهو صرح به الجزيرة تسمو ببنيها إلى أعز مقام

والمتأمل في شعر شاعرنا الوطني يجده ذا شقين :

الشق الأول : اهتم فيه بوطنه الذي حوته أرضه، وأظلته سماؤه ، منذ بداياته إلى أن غادره. حيث تغنى بماضيه المشرق، وحاضره الزاهي وغده المرتقب، وافتخر بمواقف أبنائه الجميلة بدءاً بحكامه من آل سعود ، وانتهاءاً بافراده . ودافع عن مقدساته الإسلامية ، ووقف في وجه كل من حاول النيل من أراضيه ، أو عمل على الإخلال بالأمن الذي ينعم به أبناؤه. وهام بمدنه ، وبما حباه الله من جمال الطبيعة ومظاهرها.

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٨٦ .

وشاعرنا في كثير من قصائده الوطنية يستدعي الماضي البعيد بما فيه من نضارة وإشراق، رابطاً إياه بالحاضر الزاهي الذي يعيشه وطنه.

فهو دائم التذكر للأمجاد الإسلامية التي شهدت ولادتها أراضي وطنه ولمن أرسوا دعائم تلك الأمجاد. نستمع إلى ذلك في قوله[1]:

جزيرتي أنت مأوى أمة سمقت
أخلاقها الغر واستعلت عن الوحل[2]
على ترابك أنفاس معطرة
من السماء ونور غير منفصل
إذ كان أول بيت للهدى وضعت
أركانه في ثراك الطاهر النهل

ويواصل استدعاءه لذلك الماضي البعيد، فيذكر عدداً من الذين أظلتهم سماء وطنه، واحتوتهم بعض أراضيه، قائلاً[3]:

ففي رمالك سمراء الجبين مشى   محمد منقذ الدنيا من الخطل[4]

(١) المصدر السابق، ص ٦٨١.

(٢) سمقت: أي ارتفعت وعلت، والوحل: الطين الذي ترتطم فيه الدواب.

(٣) الأعمال الكاملة: ص ٦٨٢.

(٤) الخطل، المنطق الفاسد.

وطلحة وأبو بكر وصــاحبه　　وذو الضيائين عثمان وشب عــلي
نجوم هدي تعالى الله خالقهم　　أئمة الدين والدنيا بلا جــدل[(١)]

ويلتفت إلى حاضره فيراه زاهيا مشرقا بقادته من (آل سعود) الذين نذروا أنفسهم لخدمة الرسالة الإسلامية، وإحياء معالمها، ومن ثم نشرها في الآفاق بوسائلهم المختلفة، حيث يقول عنهم[(٢)] :

أبطال مــعــركــة الإســلام في زمن
مــضــرج بالضــحــايا والقــرابين[(٣)]
الخـائضين الوغى والكون مـعـمـعـة
من الكوارث يرمي بالبــراكين[(٤)]
المصلحين المغــاوير الذين قــضــوا
على الأســاطيـر من تأريخنا الديني[(٥)]

إلى أن يقول :

بعــرشــهم رفع الإســلام رايتــه
على الجــزيرة خــضــراء الأفــانين

(١) جدل : أي شدة الخصومة.
(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٦٥ - ١٦٦ .
(٣) مضرج : أي ملطخ بالدماء .
(٤) معمعة : حكاية صوت لهب النار إذا شبت بالضرام .
(٥) الأساطير : الأباطيل .

وأشـــرق الحق كـــالصـــبح المبين سنا
وأصـبح العـدل مـضـبـوط الموازين[1]

ويواصل شاعرنا في قصيدته (قطوف وأصداء) الإشادة بوطنه ، مبيناً الأسس التي قام عليها ، والسياسة الحكيمة التي يسير على هدى منها في طريقه إلى الرقي والتقدم في كل المجالات ، قائلاً[2] :

تلتـقي حـوله البـعـــوث ويشـــــــتـد على سـوحـه ازدحـام الوفـود
جبل راسخ القـواعـــــــد تنقـــــــد على صـخره غلاظ القيـود[3]

وشهاب له على كـل أفــــــق قبـــس يهتك الظـــلام ويودي
في حياة طـليقة الخـطو لكــــن فـي حـدود الرشـاد والتـوحـيـد
سايرت موكـب الحضارة واختـا رت سبيـلا من السباق الرشيد
وتسلمت عـن الـزخارف واستعـ ـلت عـن الترهات والتقليد[4]
تتـوخى الصلاح والخير والحـــق وتـــسعى لـــكــل أمـــر مـفـيـد
ضـربـت في ذرى النهـوض بسهم ومـــشـت نـحـوه بـخـطو سديد

ويتـوجـه إلى أبناء وطنه حـاثاً إياهم على العـمل المثـمـر ، والسـعي

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٣-٤٤ .

(٣) راسخ : ثابت في موضعه ، وتنقد : تنقطع .

(٤) الترهات : الأباطيل .

الدؤوب في سبيل الارتقاء بوطنهم إلى المكانة المرموقة التي تليق به، ناهياً إياهم عن التواكل والاتكال على الماضي وماحفل به من مفاخر دون عمل للحاضر، مؤكداً لهم أن الحياة لا تعطي الإنسان مايصبو إليه إلا إذا عمل وأجاد في عمله [1]:

بني وطني إنا على فـجـر نهـضـة
تصـد الدجى أنى تدجى وتـصـدع
وللفـجـر في وجـه الحـيـاة أشـعـة
تذيب الكرى عن ناظريهـا وتـدفـع
وإني لأسـتـنشي شـذاها وعطرها
وأشـدو لهـا من نشـوة وأوقع
بكينا على الماضي كـثـيـرا وإن يكن
خطيـرا فـمـا يجـدي البكا والتـفـجع
مـضى السلف الأبرار يعـبق ذكـرهـم
فسيروا كـمـا ساروا على الدهر واصنعوا
ومـا الفـخـر بالماضي إذا لـم يكن لـه
من الحـاضـر الزاهي بناء مـرفـع

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٢-١٣.

خـذوا بأكف الأسـد من أسـهم العلى
نصـيـبـا فـإن الحـاضـر اليـوم أوسع
يد الدهر لا تسـخـو بمجـد لعـاجـز
ضـعـيف ولا تندى ولا تتـبـرع
لقـد أفـصـحت عن سـرها لو تكلمت
حـيـاة بقـدر السـعي تعطي وتمنع
ومـا قـيـمـة الأوطان إن لم يكن لها
رجـال يلذون الشـقـاء لينفـعـوا[(١)]

وعندما يتوجه إلى مظاهر الجمال في وطنه، ومصادر الرزق والعطاء، يستحضر عظمة الله - سبحانه وتعالى - ويشرع في التسبيح له، فهو الذي أنعم على وطنه، وأمده بخيراته. نسمع ذلك في قصيدته (الجنوب الخصيب) وهو يصف بعض أراضي وطنه بعد نزول الغيث، وتدفق السيول عليها، متمنياً من المسئولين إقامة سد يحجز المياه خلفه؛ للاستفادة منها في شئون الزراعة، حيث يقول[(٢)]:

إذا لمع البريق على سماهـا   جـرى الوادي وسـال بهـا شـعـابا
وإن رعـد السحـاب على ذراهـا   سـرى الحـادي يهـز به الركابـا[(٣)]

(١) المصدر السابق، ص ١٣-١٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٩-٢٤٠ .

(٣) الحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء .

حقول سمحة وثرى غني يغل الفصل أربعة نصابا[1]
يد لله خص بها بلادي فسبحان الذي أعطى وحابا

وللبقاع المقدسة - في وطنه - نصيب من شعره ، ففي قصيدته (طيبة) يظهر لنا مدى تعلقه بتلك البقعة التي شهدت انبثاق نور الرسالة الإسلامية بعد أن أشرعت أحضانها للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولصحابته من المهاجرين ، ومن على أديمها انطلقت قوافل المجاهدين والدعاة إلى اعتناق الرسالة الإسلامية .

يقول السنوسي محيياً طيبة ، سارداً ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام والمسلمين[2] :

منزل الوحي والملائك والأنـ ـصار والطيبين جيلاً فجيلا
وملاذ المهاجرين إلى اللـ ـه شبابا وصبية وكهولا
هب منها الهداة وانطلق الإيـ ـمان والمؤمنون صفا طويلا
ومشى في ظلالها موكب الحـ ـق إلى العالمين يهدي السبيلا
حيها حيها وحي روابيـ ـها وحي العقيق والعاقولا[3]
وتنشق عبير أرض ثراها يستحق العناق والتقبيلا
إن في عرفها أريجا سماو يا ونوراً ملائكياً جليلا[4]

(١) من خصائص منطقة الجنوب الزراعية أن الأرض لديهم تعطي أربعة محاصيل من بذرة واحدة، ومطرة واحدة، وتلك نعمة من النعم.
(٢) الأعمال الكاملة، ص: ٣١٦-٣١٨.
(٣) العقيق والعاقولا : موضعان بالمدينة المنورة.
(٤) عرفها : العرف : الريح ، طيبة كانت أو خبيثة .

أنت في روضة من القبر والمنـ ـبر وضاءة تنير العقولا
أشرقت بالهدي منيراً وبالخيـ ـر غزيراً وبالندى سلسبيلا
عب من فيضها الوجود جمالاً وجلالاً وحكمة وأصولا[1]
كاد قلبي في جوها يستعيد الـ ـوحي غضا ويسمع الترتيلا

ويحمل في قصيدته (عصبة السفاح) على الشرذمة الباغية التي انتهكت قدسية الحرم المكي الشريف ، وعملت على ترويع مرتاديه ، وإزهاق أرواحهم البريئة، مستنكراً ذلك الحدث المشين، وساخراً من ادعاءاتهم وافتراءاتهم[2].

يقول السنوسي واصفاً ذلك الحدث الشنيع مؤكداً ضلال فاعليه[3] :

لعلعت فجأة تشق طمأنيـ ـنة الأرواح أصوات مجرمين وقاح
وأزيز الرصاص في حرم اللـ ـه يدوي على الربى والبطاح
عصبة ضلت الهدى وأضلت وبـه تستبيح غير المباح

ويواصل استنكاره عن طريق إطلاق أسئلة تغلفها السخرية، وتنضح بالألم المر؛ لما أحدثته تلك الشرذمة في حرم الله الآمن ، موضحاً عن طريقها حقيقة الدين الذي تزيوا به وهو منهم براء :

(١) عبَّ : شرب .
(٢) حدث ذلك بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١/ ١/ ١٤٠٠هـ، حيث قامت جماعة مسلحة باقتحام المسجد الحرام، وأعلنوا عبر مكبرات الصوت خروج المهدي، وطالبوا بمبايعته، ثم أغلقوا الأبواب، واحتلوا المواقع للمقاومة، وباشرت الدولة تطهير المسجد الحرام، وتمكنت من ذلك بعد مضي أكثر من نصف شهر على اقتحامه.
(٣) جريدة الندوة، العدد (٦٤٠٨) في ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ.

من أحل الدم الحرام وأفتا ... كم بقتل النفوس والأرواح ؟
ومتى كانت الهداية إزهـا ... قاً لأرواح مؤمنين صحاح ؟
أيها المارقون من ربقة الديـ ... ـن لقد جئتمو بكفر بواح[1]
ويحكم ما الذي تريدون ماذا ... قد دهاكم يا عصبة السفاح ؟
أكذا تفهمون دين السلام الـ ... حق دين الهدى ودين السماح ؟
بئسما تفهمون ياطغمة الشـ ... ـر ويا زمرة الضلال الصراح[2]!

وأكثر ماتتجلى النزعة الإسلامية في شعره الوطني - الذي خص به وطنه الذي نشأ فيه وترعرع - في أناشيده الحماسية ، ومنها (نشيد الحرس الوطني) حيث يقول فيها على لسان أحد جنود الحرس الوطني [3] :

أنا أعتز بقومي وبلادي
وبإيماني بربي وجهادي
في سبيل الحق سيفي وعتادي
أنا جندي الهدى في وطني

***

(١) ربقة الدين : الربقة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للدين، يعني مايشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. وبواح : ظاهر.

(٢) طغمة : الطغمة : أوغاد الناس وأرذالهم ، والصراح : المحض الخالص من كل شيء.

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٦٦٠-٦٦١.

للعلى سيري وللحق شعوري

وإلى المجد غدوي وبكوري

أنا من نسل علي والزبير

أنا جندي الهدى في وطني

***

من سنا بدر وأضواء حنين

لم يزل منها شعاع في جبيني

ملء قلبي ملء روحي ويقيني

أنا جندي الهدى في وطني

أما الشق الثاني من شعره الوطني : فقد اهتم فيه السنوسي بقضايا وطنه العربي والإسلامي، بعد أن تكالبت على كثير من أقطاره قوى الاستعمار الشرسة، فعاثت فيها تخريباً ، وقتلاً ، وتشريداً.

تدفعه إلى ذلك الاهتمام « روح وطنية لحمتها العروبة والإسلام »[(١)].

وتأتي قضية فلسطين في مقدمة تلك القضايا التي شغلت حيزاً كبيراً من شعره الوطني ، ولعل ذلك راجع لأهمية ذلك القطر في حياة

(١) شعراء من أرض عبقر ، محمد العيد الخطراوي ، ج(٢)، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ص١٦٠.

الإسلام والمسلمين، فعلى ثراه القدس، والمسجد الأقصى، أضف إلى ذلك أن أبناءه مسلمون عرب.

والناظر في شعر السنوسي المتعلق بهذه القضية يقف على إحاطته بكل التطورات التي شهدتها، فقد تحدث عن احتلال القدس، وحريق المسجد الأقصى، ورفض مبدأ التقسيم الذي نادت به هيئة الأمم المتحدة، وسخر من دعوات السلام المزيفة، واستبعد الصلح مع الاسرائيليين، وصور حال اللاجئين المشردين، وأشاد بالحركات الفدائية، ورثى شهداءها.

يقول السنوسي على لسان أحد اللاجئين الفلسطينيين معرفاً بالقدس، وباعثاً ذكرياتها المزدانة بأنبياء الله ورسله، وبعض قادة المسلمين[1]:

أيام أستقبل الأعياد في بلدي
أرض النبيين من قومي وأجدادي
في (القدس) والقدس مهوى كل جانحة
مني ومجلى أحاسيسي وأمجادي
ميلاد (عيسى) ومسرى (أحمد) وهدى
(موسى) ومجمع خطابي [2] ومقدادي [3]

(١) الأعمال الكاملة، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٢) خطابي: نسبه إلى: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

(٣) مقدادي: نسبة إلى: المقداد بن الأسود - رضي الله عنه -.

ثرى تـود الـدراري أنهـــا قــــمم

فــيــه وترجــو الثــريا أنهـــا وادي

وسـرعـان مـا يتـلاشى أثر تلك الـذكـريات الجـميلة من نفس ذلك اللاجئ ، ويخيم الحزن عليه وهو يعانق حاضـر ذلك المكان المعفـر بأريج الأنبياء والرسل[١] :

أضحى لنسل (الأفاعي) محجراً وغدا

مــبــاءة لصــــهـــايين وأوغـــاد[٢]

وحينما سعت هيئة الأمم المتحدة إلى إقرار وتنفيذ مبدأ التقسيم ، الذي يقـضي بأن تكون فلسطين العربيـة المسلمـة وطناً لليـهـود ولأبنائهـا على السواء، جوبه ذلك المبدأ بالرفض من قبل السنوسي ، وسخر من الداعين إليه[٣] :

ماذا هو التقسيم تلك حبالـــة حيكت لتجربة المصائب فينـــا[٤]

قلبت لنا ظهر المجن سياســـة نصبت لكي تك للضعيف معينا[٥]

فـتكشف الزمن الجـريء وقـد بدت جـمـعـيـة الأمم الغـداة كـمـينا

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٧٩ .

(٢) محجراً : أي حديقةً ، ومباءة : منزلاً .

(٣) شعراء الجنوب، ص ١٠٤ .

(٤) حباله : المصيدة مما كانت .

(٥) المجن : الترس .

ثم يأخذ في حث إخوانه في فلسطين على التضحية والفداء ، وامتطاء صهوة الجهاد، ويشعل فتيل الثورة في حنايا أبناء أمته العربية والإسلامية القاعدين عن خوض غمار الحرب إلى جانب إخوانهم في فلسطين ؛ عن طريق تذكيرهم بتاريخ اليهود، وعرض بعض المشاهد والصور الدامية التي اقترفوها في حاضرهم في موطن القداسات، حيث يقول[(١)] :

كيف يرجى رجوع صهيون للحـــــــق وتاريخهم يفيض فسادا

قتلوا الأنبياء من قبل والأحـــــــبار والصالحين والزهادا

وتمادوا فأحرقوا المسجد الأقـــــصى عتوا والركع السجادا[(٢)]

وأبادوا الشباب والشيب عدوا نا وبغيا وشردوا الأولادا

وعندما تتساقط أرواح أولئك الأبطال في ميدان المعارك الدائرة رحاها بين أبناء فلسطين وأعدائهم في سبيل استعادة حريتهم، وحرية وطنهم الغالي؛ يتوجه إليهم الشاعر بالتحية، مهنئاً إياهم بالشهادة التي نالوها، ومفتخراً ببطولاتهم وتضحياتهم قائلاً[(٣)] :

أفدي الأولى بذلوا الأرواح خالصة

لله للوطن المنكوب للشرف

(١) الأعمال الكاملة، ص٤٨٨-٤٨٩ .

(٢) عتواً : العتو : التجبر والتكبر.

(٣) شعراء الجنوب ص: ٧٨ .

دارت كـؤوس المنايا الزرق فـائضـة
فـعب كل كـريم مـاجـد أنف
ومـا بنى المجـد إلا كل مـقـتـحم
بنفـسـه غـمـرات البـأس والتلف

إلى أن يقول [1]:

سـمت بكم هامـة التـأريخ أفـئـدة
هبت تناهض بغي الغـاصب السـرف
نبـاضـة بدم الإيمان أزعـجـهـا
صـوت الضـعـيف بكف الخـانق العنف[2]

ويقف السنوسي إلى جانب إخوانه في الجزائر في معركتهم الضروس ضد المستعمرين الفرنسيين الذين سعوا إلى سلخ قيمهم ومثلهم، وامتهان كرامتهم، وامتصاص خيراتهم، وتنصيرهم، «وفرنستهم» لغة وعادة . . . داعياً إخوانه - في العروبة والإسلام - إلى الوقوف إلي جانب الجزائريين ومد يد العون لهم حتى يواصلوا صمودهم، مذكراً إياهم بالعقيدة التي يعتنقها أبناء الجزائر [3]:

(١) شعراء الجنوب، ص: ٧٩ .

(٢) الخانق: الخناق: الحبل الذي يختنق به، والخانق: نعت لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس. والعنف: العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به.

(٣) الأعمال الكاملة: ص ١٩٦ .

أخي إنهـا أرضي وأرضك أشـرقت بآبائنا طوبى لهم ومـــآب
فكل (ريال) من يديك رصـاصـة لكل (فـرنسي) طغى وعـذاب
أتسلخ من جسمي وجسمك عنوة (بلاد) عليها للدماء خضاب

ويواصل حثه لأبناء أمته ، مشعلاً في حناياهم فتيل الثورة، وساخراً من ادعاءات الفرنسيين الجوفاء :

مـتى كـانت (الأوراس) للسين منبـعـاً
وأنى التـقى للضـفـتين حـبـاب ؟[1]
وهل كـان (جي مـوليـه)[2] من نـسل طارق
أو ابن (نصـيـر) يا لذاك عـجـاب ؟!
أجـل إنـهــا أرضـي وأرضـك يـا أخـي
فكيف يطيب النوم وهي خـــراب ؟!
أنتـركـهـا نـهـبـاً وللضـاد ذمـة
وللدين حق (والجـهـاد) نصـاب[3] ؟

وعندمـا هب أبناؤها في وجـه عـدوهم يذيقـونه ويلات الذل والانكسار، كاتبين حريتها بدمائهم الزكية، شاركهم الشاعر فرحتهم،

(١) حباب : حباب الماء : موجه الذي يتبع بعضه بعضاً .

(٢) رئيس وزراء فرنسا ، راجع ذلك في كتـاب ثورة الجزائر، تأليف: جوان جليبي، ترجمة عبدالرحمن صدقي أبوطالب، مراجعة: د. راشد البراوي، ص١٧١ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص١٩٧ .

وأعلن سعادته بعودة أراضيهم، وببقائها عربية إسلامية قائلا[1] :

غـضـبـوا غـضـبـة الرجـال وقـادوا

(ثورة) في نضـالـهـا عـبـقـريه

كل شـبـر من أرضـهـم كل فـتـر

من ذراهم مـعـسكر أو خليـه[2]

في رؤوس الجـبـال تحت ربى الأشـ

ـجار فـوق الذرى خـلال الثنيـه

كـالأعـاصيـر كـالسيـول اندفـاعـا

في سـبـيل المطالب الوطنيـه

ألـهـبـوها على المغـيـرين ناراً

تتلظى وأشـعلوها حـمـيـه

ويلتفت إلى ماضي أمتنا المشرق وما كان فيه من أمجاد ، رابطاً إياه بما تحقق في حاضرها على أيدي الجزائريين [3] :

يا لـهـا أمـة أعـادت إلينا

ذكـريات اليـرمـوك والقـادسـيـه

(١) المصدر نفسه، ص٣٣١-٣٣٢ .

(٢) فتر : الفتر : مابين طرف الإبهام والسبَّابة إذا فتحتها .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

فـرضت نفـسـهـا على الظلم فـرضـاً
وأطاحت بكل دعـــوى دعـيـــه
أخـــذت حـــقـــهـــا السليب غـــلاباً
واغـــتـــصـــاباً ولـم تنله عطيـــه

ويشـارك إخـوانه في مـصـر فـرحـتـهـم بتـأميم قناة السـويس وطرد البريطانيين منها، ويحتفل بعروبة تلك القناة قائلاً[1]:

وعلت (راية العـروبة) شـمـــا ... ء يزين السـمـاء منهـا وشـاح
عـالجت جـرحـهـا أسـاة بنيـهـا ... وانتـهى من عـلاجـه الجـراح
وســقـــاها دم الحـيـاة شـبـاب ... دمـــــه في ترابهـــا نضـــاح
ودمــــاء الشــــبـــاب نور ونـار ... ومناها تـوثب وجـــمـــاح
عــبـروا عن مـرادهـم في (جــلاء) ... يدعـــم الحق في سناه الكفــاح
طلبـــوا الموت في ثراها فـــفـــازوا ... بحـــيـــاة كـــريمة لا تتـــاح

ونختـم وقفتنا مع شعر السنوسي الوطني بمشاركته لإخوانه في اليمن فرحتهم بانطفاء نيران الحروب الداخلية بينهم، حيث يقول مصوراً فرحته بروح الأخوة الصادقة التي سادت بين اليمنين بعد انشقاق مرير[2]:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩ .

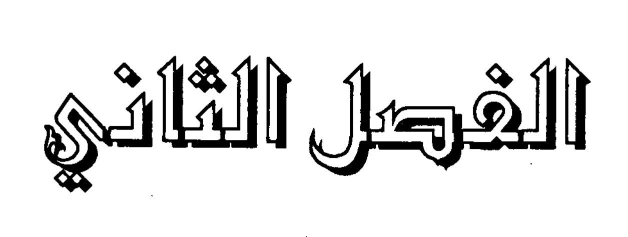
(٢) المصدر السابق، ص٥٠٣-٥٠٤ .

قــرت قلوب الأمنيـــات وزهت أســاريـر الحـيـــاة
وتناثرت فــوق الجــبـــا ل الشم أنغـــام الحـــداة
وتجــاويـت بالبــشــريا ت الـغـــر السنة الرعـــاة
ومــضت تقــبـــل (إينهـــا) فـــرحــا وتهـــتف للبنات
(أم) وقلـــــب الأم أعـــ ـــرف بالحــيـــاة وبالممــات
يا للســـلام يهـــز بالـــ ألحـــان أعطـــاف الموات

ويشير إلى المكان الذي احتضن تلك الخطوة الجميلة [1] :

وعـــلى رحـــاب النور من أرض الـهـــدى والمكرمـــات
نحـــروا خـــلافات الـهـوى وسمـــوا إلى أسمى الصفات

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ .



موضوعات
الشعر الإسلامي

١ - الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية تتمثل في سلامة أقوال الإنسان وأفعاله، وخلوص تلك الأقوال والأفعال من شوائب الشرك والإلحاد، والزيغ والضلال، وصدور الإنسان في كل مايأتي ويذر عن عقيدة خالصة بالتوحيد لله، والإيمان المطلق بقضائه وقدره... [١] وهي بهذا المفهوم تتسم بالوضوح الشديد، إذ لا تعقيد فيها ولا غموض يجعل من محاولة فهمها، والتعمق فيها أمراً صعباً أو مستحيلاً؛ بل هي في متناول الإنسان- أياً كان - متى ما أشرع لها قلبه وعقله، وهي مع سهولتها هذه تعد أضخم الحقائق في حياة الإنسان لأنها «تصل بين الإنسان وبين الحقيقة الكبرى -حقيقة الألوهية- بشتى المشاعر، من الحب والرهبة والخوف والطمع والأمل والرجاء. وتصل بين الإنسان والكون والحياة بصلات من التعاطف والمودة والقربى، وتصل بينه وبين أخيه الإنسان برباط من الحب المتدفق الفياض، وتربط كيان النفس...، وتوحد بين

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث «قيمه الفنية في موازين النقد»، محمد عبده الشبيلي، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٥٩ «بتصرف».

الدنيا والآخـرة والعمل والعبـادة، والأرض والسمـاء»[1] ومنها « تتكون نظرة المؤمن لكل مـا يجـري حـوله . تتكون نظرته للزهرة وقطرة المطر ، وللجبل والسحـاب ، للنجوم والكواكب ، لكل ما يقع عليـه بصره أو حسه أو إدراكه في السموات والأرض »[2] .

ولو عدنا إلى شعر شاعرنا لوجدنا فيه عدداً من القصائد التي تخص هذا الجانب المهم في حياة كل مؤمن ومؤمنة ، في كل زمـان ومكان ؛ إذ تفصح عن عقيـدة صافيـة ، وإحساس عميق بفضلها ، واقتناع تام بها وبتعاليمها .

نلمس في شعره - الذي دار حول هذا الجانب - إيمانه العميق بالله ، وتوحيده له ، وتسليمه بقضائه وقدره في الرزق والإحياء والإماتة ، وإيمانه باليوم الآخر وما يتعلق به من بعث ونشور ، ومحاسبة على الأعمال .

والسنوسي - كما هو ملاحظ - في شعـره الذي يعنى بهـذا الجانب المهم في حياتنا يسعى إلى شيئين مهمين :

أولهما : تذكير المسلمين في كل مكان بأصول عقيدتهم ، عن طريق إحياء معالمهـا التـي درست في نفوسـهم مـن جـراء تلك الغفـوة التـي

(١) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط(٨) ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص١١٦ .

(٢) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، د. عدنان علي رضا النحوي ، ط(١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ص: ٨١.

لازمتهم منذ عصور التخلف والجمود ، إلى قبيل ظهور الحركات الإصلاحية في كافة الأقطار الإسلامية .

وثانيهما : محاولة الدفاع عن العقيدة أمام سيل التهم التي طعنت فيها ، وشككت في صحتها ، بالأدلة التي ساقها ، والتي اتكأ فيها على تأملاته العميقة في الكون ، والحياة ، والأحياء من حوله ، بالإضافة إلى ما توصل إليه العلم في العصر الحديث من مخترعات تحمل أدلة ضمنية على وجود الله - سبحانه وتعالى - .

ولنبدأ وقفتنا عند أبيات للشاعر يتضح لنا فيها عمق إيمانه بالله وحده ؛ إذ يصف فيها السفن وهي تجري في عرض البحر بعد أن سخر الله لها الرياح لتدفعها إلى مستقرها ، ويصف الأرض الميتة وقد استحالت إلى روضة غناء ؛ بفعل الغيث الذي أنزله الله من السماء ، ليؤكد بعد ذلك أن تلك المشاهد تدل دلالة قطعية على وحدانية الله ؛ لأنها - جميعاً - تنطق وتشهد بذلك .

نلمس ذلك في قوله [(١)] :

جل من سخر الرياح فسارت تتهادى رخية بالسفائن

وأفاض الحيا فأحيا مواتا وأهال الربى فسالت معادن

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٨-٥٤٩ .

كلما في السماء والأرض مبسوط لمن يتقي ويخشى الملاعن

ويجد في مصارعة البحارة لأمواج البحر المتلاطمة ؛ سعياً لكسب رزقهم، معتمدين ومتوكلين على الله - سبحانه وتعالى - دليلاً على وجود الله وتوحيده فهو خالق كل شيء (١) :

يستقبلون الموج صخاب الردى والنوء في إعصاره العربيد

ويصارعون الموت في أعماقه بسواعد صماء كالجلمود

وثبات إيمان وصلب عقائد موصولة بالخالق المعبود

رب الوجود بمائه وسمائه والعالم المحجوب والمشهود

وينظر إلى الأرض وقد زينتها الزهور والأشجار في فصل الربيع ، وتضوعت من جنباتها الروائح، باعثة في النفس النشوة ، مزيلة عنها الكآبة ؛ فيجد في تلك المشاهد دليلاً على وجود الله وعلى حسن صنعه (٢) :

في كل رابية شذى من زهرة رف النسيم بها ونم ونمنما (٣)

وبكل منحدر حيا مترقرق ورؤى مخضبة الأنامل واللمى

والأرض في حلل الربيع وروضة تلقاك شاعرة تهز الأبكما

(١) المصدر السابق ، ص ٧٧٧ .

(٢) المصدر السابق ص : ٦٠٦-٦٠٧ .

(٣) نم : أي سطعت رائحته .

فتانة القسمات تحسب أنها نقلت من الفردوس رسما محكما

تلقاك في نفحاتها ونباتها فنا إلهي الخطوط منظما

تغري مفاتنها القلوب فتنتحي كالطير أسرابا ترفرف حوما[1]

تجلو برؤيتها النفوس همومها عنها وتمتص الكآبة والعمى

ويظهر توحيده في تضمينه لما ذكره الله - سبحانه وتعالى - عن كيفية خلق السموات والأرض . نلمس ذلك في قوله [2] :

ذاك شيء علمته مذ وعى قلبي الفكر

كانت الأرض والسماء أما تقرأ السور

فتق الله رتقها فاندحى الكون وانتشر[3]

ويمم وجهه شطر الاختراعات الحديثة التي وصل إليها الإنسان، فيجد فيها دليلاً على وجود الله وعظمته ، فهو الذي أمد العقل الإنساني بالعلم فوصل إلى ماوصل إليه بفضله .

نلمس ذلك في وصفه للطائرة التي أقلته ومجموعة من الأدباء السعوديين إلى بغداد، يقول من قصيدته (على ضفاف دجلة) [4] :

---

(١) تنتحي : تميل ، وحوما : الحومان : دومان الطائر يدوم ويحوم حول الماء .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٥٧ .

(٣) رتقها : الرتق : إلحام الفتق وإصلاحه، وقيل الرتق : الظلمة .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٧٧١-٧٧٢ .

إليك بغداد طارت بي مجنحة
أعرتها حر أشواقي وأكبادي
فحمحمت ثم رفت ثمت انطلقت
كنيزك في سماء الأفق وقاد[1]
تهابها الريح أن تجتازها فرقا
ويستحي كل براق ورعاد
ونحن كالزغب في أحشائها زمراً
جنبا لجنب وأعضادا لأعضاد[2]
نقضي السويعات في أعماقها طربا
قصفا ورشفا إلى ماء إلى زاد[3]
من علم العقل هذا العلم فانطلقت
أجسامنا عبر آفاق وأطواد
الله جل جلال الله خالقنا
سبحانه رغم تجديف وإلحاد[4]

(١) حمحمت : الحمحمة صوت الفرس إذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذي كان إلفه فاستأنس إليه ، والمراد بالحمحمة هنا : صوت الطائرة عندما تهم بالتحليق ، والنيزك : الرمح الصغير.

(٢) الزغب : الزغب : الشعيرات الصغيرة على ريش الفرخ ، والمراد بها هنا : الفراخ الصغيرة.

(٣) قصفاً : القصوف : الإقامة في الأكل والشرب .

(٤) تجديف : التجديف : هو الكفر بالنعم.

وإلى جانب إيمانه بوجود الله ووحدانيته ، آمن الشاعر بقضاء الله وقدره ، حيث وجد فيه راحة لنفسه من تيهات التخبط والضياع في مهامه الحياة .

وقد كان إيمانه بقضاء الله وقدره عميق الأثر في نفسه، ودليلنا على ذلك دعوته إليه في كثير من المواقف التي تحفل بها الحياة .

ولم يكن ذلك الإيمان المطلق من قبل السنوسي بقضاء الله وقدره عن طريق المصادفة، بل كان نتيجة لإيمانه العميق بالله ، ولتجاربه في الحياة التي رسخت في روحه تلك العقيدة الإيمانية التي يعجز الكثير في إدراكها وتذوقها ؛ لأنها نعمة من الله يسبغها على من يشاء من عباده المخلصين .

ولنا أن نلمس أثر ذلك الإيمان في قصيدة له نفذ من خلالها إلى الحياة الدنيا في وقفات تأملية قادته إلى اكتشاف الأدواء المتناثرة على بساط الحياة ، وهدته بصيرته وإيمانه إلى إيجاد الدواء المناسب لها ، حيث رأيناه يدعو إلى العمل الجاد ، وينهى عن التواكل لأنه من الأمور التي تفسد الإيمان في قلب صاحبه ، ويتنافى مع مبدأ التسليم لله والذي يسمى توكلا لا تواكلاً ، وشتان بين الإثنين .

يقول السنوسي في ذلك [1] :

(١) الأعمال الكاملة ، ص : ٥٥٦ - ٥٥٧ .

أمـامك دنيـا ترهق القلب والعـقـلا
فـيـاخـاطري رفـقـا ويا ناظري مـهـلا

تحـير فـيـهـا المصلحـون وأعـجـزت
نهى الفـيلسـوف الفـذ والشـاعـر الفـحـلا

طلاسم تعي الفكر فـهـمـا فـينحني
خـضـوعـا لهـا مـهـمـا تكبـر واسـتـعلى

يعـيش بـهـا الإنسـان طفـلا وإن بدا
لعـينيـه كـهـلا ثم يتـركـهـا طفـلا

تـصـد بلا ذنـب وتدنـو بلا هـوى
فـلا صـدها صـدا ولا وصلهـا وصـلا

فهو - في هذه الأبيات- يقدم لنا صورة للحياة في أحوالها المختلفة ، ووقوف الإنسان عاجزاً في محاولاته المتكررة لفهمها وسبر أغوارها ، فهي سريعة الانفلات من حالة إلى أخرى ، مرتدية لكل حالة لبوسها الملائم ، وهذا يعني تجددها المستمر ، وهذا التجدد يجعل من محاولات الإنسان الدؤوبة لتفسيرها أمراً مستحيلاً، وهذا من شأنه أن يحدث اضطرابا في الرؤية، قد يؤدي بصاحبه إلى مهاوي الضلال. لكن شاعرنا يركن إلى الهدوء والطمأنينة، مسلماً بقضاء الله وقدره، وداعياً إليه بقوله [١] :

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٧ .

فـدع عنك أوهام الحـيـاة فـإنهـا
تضن وتعطي لا سـخـاء ولا بخـلا
تعـودت منهـا حـربهـا وسلامـهـا
ومـارست من أخـلاقـهـا الجـد والهـزلا
فـلـم يطـغـنـي نجح ولا هـدني أسى
ومـا نكثت كـفي نسـيـجـا ولا غـزلا[1]

ولخبرة السنوسي بالحياة بعد تجاربه المريرة فيها نجده حريصا على إفادة أخيه المسلم بحصيلة تجربته ، حتى لايكون فريسة سهلة لتقلبات الحياة . ولذلك فهو يوجه إليه النصيحة، حاثاً إياه فيها على العمل الجاد ، وعدم الاستسلام للصعوبات التي قد تواجهه فيها مهما كانت . يقول السنوسي في ذلك[2] :

حـيـاتك أن تلقى الحـيـاة بهـمـة
تخوض الخضم العد والثمد الضحلا[3]
وتبـسم في وجـه الزمـان إذا قـسـا
وتمشي ولو كـان الثـرى زلقـا وحـلا

(١) نجح : النجاح ، ونكثت : نقضت .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٩ .

(٣) العد : الماء الثابت ، الثمد : الماء القليل .

وإن كــان شــوك في الطريق إلى العــلا

وحـاولت أن تجـتـازه فـالبس النعـلا

فــأنـكد مــا يلقـاه فكر مــهــذب

غـبـاء قـوي يحـقـر العـقل والفـضـلا

وأســعــد مــا تلقــاه نفس من المنى

رضى باسم يسـتـعـذب الشــمس والظلا

ويختم السنوسي نصه هذا بالدعوة الجادة إلى الإيمان بقضاء الله وقدره والقناعة بالرزق ، والتمسك بالدين لما له من أثر فعال في تجميل الحياة في عيوننا :

فــدع لـيــد الأيام غــربلة القــذى

فـإن لهـا كـفـا تغـربلهـا نخـلا[1]

ولذ بحــمى الإيمان وارض بما قــضى

به الله واعلم أن حكمــتــه أعلى

فللدين فــضل في الحــيــاة لأنهــا

بغـيـر الهـدى تغـدو جحـيمـا به نصلى

---

(١) غربلة القذى : أي نخلة ، والقذى مايقع في العين وماترمي به .

وثق أن من أعطى الحياة جمالها
وأقواتها لم يهمل الدود والنملا [1]

وفي نص آخر يعمق الشاعر إيمانه بقضاء الله وقدره ، محاولاً فلسفة قضيتي الفقر والغنى ، ومعرضاً ببعض المذاهب الغربية التي ترى أنها قد حققت المساواة بين الناس في كل الأمور لاسيما الرزق الذي يعتبر الدعامة الأساسية التي قامت عليها تلك المذاهب ، وذلك لارتباطه بقضيتي الفقر والغنى بين الناس .

والحقيقة التي لا يأباها العقل المستنير « أن محاولة التسوية بين الناس في كل الأمور من ضروب المستحيل لأن الفوارق بين الناس في نعم الدنيا أمر حتمي وسنة من سنن الوجود ، وطبيعة الخلقة والتكوين ، وأي محاولة تبذل لإيجاد تلك التسوية بأي وسيلة وعن طريق أي مذهب من المذاهب البشرية سيكون مصيرها الفشل الذريع لمعارضتها للسنن الكونية وللنظام الذي اختطه خالق الكون له » [2] .

يقول السنوسي مخاطباً همومه ، ومعرضاً ببعض المذاهب الغربية [3] :

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص٥٦٠ .

(٢) الإسلام في شعر حمام، د. طاهر عبداللطيف عوض، ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص١١٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص٧٥٥-٧٥٦.

يا همـوم الحيـاة إن فـــؤادي ... لا يبـاليك فـاقـصـري أو تمادي
إنني في سكينة من هـدى الديـ ... ـن ونور اليـقين ذخـري وزادي
كـتب الله لي حـيـاتي ورزقـي ... فـتنـحي يا فلسـفـات العـبـاد
من شـيـوعـيـة يصيـر بهـا الإنـ ... ـسـان ترسـا في آلة الحـداد
رأسمالية يزيد بهـــا الإنـــ ... ـسان بؤسا فـي سعيه لازدياد [1]

ويفصح عن إيمانه بالله ، ويعرض لقضيتي الفقر والغنى ، ليصل في نهاية المطاف إلى حقيقتهما ، فهما امتحان من الله لعباده :

أنا آمنت بالذي خلق الكـــو ... ن وما فـيه من هدى أو فـســاد
خـالق الليل والنهار ومنشـــي ... ناضـر الزهـر في الصخور الصـلاد
مـا الذي يأكـل الغني إذا جـا ... ع سـوى الخـبـز وهـو في كل واد
والغنى فـي يد الغني امتحـان ... هـو من هـو له على ميـعـاد
وكـذا الفـقـر للفـقيـر ابتـلاء ... سـوف يـجزي بـه كريم الأيـادي
فلماذا هـذا التهـالك والدنـ ... ـيا خـيال أو رؤيـة في رقـاد [2]

---

(١) جاء هذا البيت في ديوان الشاعر على النحو التالي :

ورأسمالية يزيد بها الإنســـ ... ـان بؤساً في سعيه لازدياد

ويقاء الواو في بداية الشطر الأول يجعل البيت مكسوراً.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٥٦-٧٥٧ .

ويتجلى إيمان السنوسي بقضاء الله في تسليمه بحتمية الموت دونما تبرم أو سخط ؛ وذلك لعلمه بأن الحياة الدنيا مسافة سيجتازها الإنسان في رحلته فيها ، طالت به تلك الرحلة أو قصرت ، وأن الموت هو النهاية الحتمية لكل حي في هذا الكون عدا الله - سبحانه وتعالى - نلمس ذلك في قوله (١):

كلنا رائح على الموت غادي   وعيون القضاء بالمرصاد

ومجاز هي الحياة فسيان مخب أو سائر في اتئاد

سائق الركب غير ناء عن الركب ولا حائد عن الركب حاد

نحن والدهر والمقادير والأيام أنضاء حلبة وطراد

سنة لم تدع لقلب مريض   شبها في حقيقة الميعاد

ويؤكد إيمانه ذاك بقوله (٢):

فلما تبينت الحقيقة لم أجد

ملاذا سوى ما سنه الله والشرع

إلى الله إنا راجعون وكلنا

سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع

---

(١) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص٦٠٠-٦٠١ .

أبا حسن ما العمر إلا مسافة

من المهد حتى اللحد غايتها القطع

فالسنوسي في هذه الأبيات وفي سابقتها يطلعنا على النهاية التي تنتظرنا ، فكل حي - عدا الله - له مدة مقدرة لايموت حتى يستكملها ، وهذه الحقيقة من شأنها أن تعطي « النفس المؤمنة الرضى والطمأنينة ، وتنزع منها روح القلق المزعج والرعب المدمر ، طالما أن الموت أمر قدره الله على الجميع ، لا يستثني من ذلك أحد مهما كان، وهذا يجعل الإنسان المسلم متصالحاً مع نفسه ومع الحياة ، بل ومع الموت نفسه مادام أنه قانون إلهي أراده الله وقدره »[1] .

ومما يتعلق بالعقيدة الإسلامية وأسسها في شعر السنوسي إيمانه باليوم الآخر؛ حيث البعث والنشور والمحاسبة على الأعمال . نلمس ذلك الإيمان في دعوته الموجهة إلى أخيه المسلم ، حاثاً إياه على الإكثار من الأعمال الصالحة ، فبها وحدها يتفاضل الناس في ذلك اليوم[2]:

أخي إنما الإسلام بر ورحمة وعطف له في راحتيك عبير

ودنياك جسر في الطريق إلى الهدى ففكر إلى ماذا غدا ستصير

(١) الحياة والموت في الشعر الأموي، د. محمد بن حسن الزير، ط(١) ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، ص١٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص٥٤١-٥٤٢ .

فقدم إلى أخراك ماشئت إنـــــه ... لظى جاحم أو نضرة وسرور [(١)]

تعلمنا الدنيا فننسي دروسها ... ونلهو وعند الإمتحان نثور

حماقة طبع آدمي وغفلة ... تعاقب أجيال بها وعصور

مضت منذ قارون بنا وحياتنا ... تدور على أهوائها وتسير

وأنت ملاق كل شيء عملته ... جزاء وفاقا والحساب عسير

كأنا نسينا الموت وهو حقيقة ... لها غدوات بيننا وبكور

ونختم وقفتنا مع شعر السنوسي المتعلق بالعقيدة الإسلامية ، بإيراد أبيات متفرقة، تفصح عن عمق إيمان السنوسي بالله ، وصلته الوثيقة به عند كل أمر يحزُّ به، نلمس ذلك في توجهه إليه دون غيره بالدعاء عندما أسلم للطبيب عينه لمرض أصابها :

يا إلهي أسلمت للطب عيني ... وأنت الطبيب فالطف بعيني [(٢)]

وتوجه إليه بالدعوة ، طالباً منه المغفرة ، وإمداد الحياة بالنور والطهر [(٣)]:

رب إني ظلمت نفسي فغفرا ... نك ربي إني مقر وذاعن

رب إن الحياة زاغ بها السيـ ... ـر وحادت فاشدد عراها وطامن [(٤)]

وأنر بالضياء والطهر مسرا ... ها وزحزح عن سيرها كل مائن [(٥)]

(١) جاحم : الشديد الحر .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص٧٢١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤٨ .
(٤) حادت : عدلت ، وطامن : سكّن .
(٥) مائن : كاذب .

فـلأنت العظيم حـقـا وصـدقـا عـالم بالذي يكـــون وكـائن

٢ - الشعر المتصل بالإسلام ورسالته

الدين هو الدينونة والخضوع لذات غيبية علوية مقدسة ، وشأن المتدين أنه يطلب وراء كل حس معنى يخشع لمعبوده ويسجد لعظمته بحركة نفسية تحمل التقديس والإجابة [١] .

« والإسلام هو الصورة الكاملة للإعتقاد الديني ، فهو إسلام الوجه والضمير لله وحده تعبداً وتلقياً ، وهو منهج حياة كاملة ، شاملة، نزل به الوحي على قلب النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- آيات بينات أخرجت الجزيرة العربية بعد أن كونت مجتمعها الإسلامي الأول ، من عزلتها وفرقتها ، فحملت رسالة الإسلام إلى العالم فحررت أقطاره من العبودية لغير الله وأسقطت عروش الظلم والطغيان ، وركزت قواعد نهضة ربانية ما لبثت أن نشرت ألوية الحضارة والثقافة في أرجاء العالم، فضمت إلى رسالة الهداية الإلهية رسالة التبشير الحضاري في زمن كان العالم الأوروبي يرزح في ظلام الجهل فاستنار بضياء حضارتنا وتحركت فيه

---

(١) الدين، محمد عبدالله دراز ، القاهرة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ص٣٦-٣٧ «بتصرف».

بواعث النهضة بوفود تلامذته على دول الأندلس وبلاد الشرق، ومن ثم عن طريق الحروب الصليبية والبعثات المختلفة» [(١)].

ودار الزمان دورته ، واستنام الشرق وشعوبه الإسلامية إلى ضربات التاريخ العنيفة وتقلبه ، وحكمه ملوك وسلاطين كانوا يمثلون روح التأخر والرجعية والجمود، فنسي المسلمون مبادئ دينهم الصحيح ، وغشيتهم نعاسة الجهل والجاهلية، واستباحوا لأنفسهم ألواناً وضروباً من حياة هي أقرب إلى غرائز السائمات وسكونية الجماد . . . إلى أن تفتحت العيون ذات صبيحة على شعاع فجر أليم تحت ضربات جيوش الاستعمار وغزواته الحديثة التي أفاق على أثرها وجدان الشعب الإسلامي، وأخذ يتلفت يمنة ويسرة ، لكي يرى استباحة الأرض، وإراقة الدماء ، واستعباد النفوس [(٢)].

ولم يكتف المستعمرون بذلك ؛ لأن تلك الأمور التي سبق ذكرها لا تعدو أن تكون وسائل لتحقيق هدف أسمى لم يأل الغربيون جهداً في سبيل تحقيقه ، وهو محاولة استئصال العقيدة الإسلامية من جذورها ، وإحلال مذاهبهم وفلسفاتهم الهدامة محلها كبديل صالح للحياة المعاصرة ، وقد

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ، ط(١) ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص: ١٤٠.

(٢) الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر، د. محمد علي أبوريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص٣ «بتصرف».

وجدت تلك المذاهب والفلسفات الغربية من يروج لها بين ظهرانينا بدعوى أن « الدين يحارب التقدم ويدعو إلى الجمود»[1] متكئين على مقولة ماركس: «الدين أفيون الشعوب»[2] ومقولة لينين: «إن الدين مخدر للشعوب مؤخر لها عن النهوض والكمال» [3].

وهذه المقولة إن صدقت على بعض الديانات التي شهدها العالم فإنها لاتصدق على الإسلام، ولكنها وجدت المناخ الملائم، والأرضية الهشة التي ساعدت على احتوائها، وحتى تعود الأمة الإسلامية إلى رشدها «كان لابد من حركة إحياء وتوعية لفهم آفاق الدين الإسلامي ورسالته باعتباره المكون لشخصية الأمة والشائد لبنيانها الأصيل »[4] فانطلقت الحركات الإصلاحية لتشمل أقطار العالم الإسلامي، وواكب الشعر تلك الحركات، ولم ينقطع مده حتى بعد اختفاء تلك الحركات وانتهائها، حيث ظل الشعراء الملتزمون يؤدون واجبهم على أكمل وجه، وسيظلون كذلك مادامت الخصومة بين الكفر والإيمان قائمة .

(١) رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح، د. عبدالرحيم محمود زلط، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٣ ص٢٢٠.

(٢) الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطية الغربية، د. عبدالحميد متولي، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٦م، ص: ٣٢٢.

(٣) هذا هو الإسلام، محمد عبدالقادر العماوي، القاهرة، دار الفكر الحديث، ١٩٧٣م ط(٣) ص: ١٣-١٤.

(٤) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، ص ١٤١.

ولشاعرنا قصائد عدة في هذا المجال ، تدور أغلبها حول الإشادة بالرسالة الإسلامية، والدفاع عنها ، والدعوة الجادة إلى اعتناقها، واهتم في بعضها باستطلاع آفاقها العبادية ، ممثلة في بعض الشعائر الإسلامية : كالصلاة ، والصوم والحج .

(أ) الرسالة الإسلامية :

أفاض شاعرنا في الإشادة بالرسالة الإسلامية ونورها الذي انبثق عنها ؛ ليهتك أسمال الجاهلية البالية في صورها المتعددة ، معلناً العدالة والرحمة والمساواة، ودافع عنها أمام كل من حاول النيل منها ، ودعا إليها ؛ لأنها الرسالة الوحيدة التي تسعى لخير الإنسانية جمعاء ، في كل زمان ومكان ، دون التفات إلى لون ، أو جنس، أو لغة ، أو نسب .

وقد اهتم السنوسي في إشادته بالرسالة الإسلامية ببيان الأثر الذي أحدثه نورها المنبعث من الجزيرة العربية في الحياة بأسرها ، حيث يقول [1] :

لمعت على الوادي المقدس شعلة ... تركت دجى الدنيا نهاراً مسفرا

مست شرارتها الحياة فأشعلت ... مثلا أشف سنا وأكرم جوهرا

هزمت أشعتها الظلام وزلزلت ... (كسرى) وراء الخافقين و (قيصرا)

(١) الأعمال الكاملة ، ص١٦-١٧ .

طلعت على التأريخ وهو سخافة … كبـرى تخـط به الخرافـة أسطرا

العنصرية تستبيح كيـانه … وشوائـب التميـيز تخزمه برى[١]

وشـريعـة الغـابات تنتظم الدنا … والحق مطلول الدمـاء مـهـدرا[٢]

ويواصل الشاعر إشادته بالرسالة الإسلامية وبالدور الذي نهض به مبلغها عن ربه، حين شرع - منذ البدايات - يدك صروح الظلم والطغيان بواسطة ذلك النور الذي حمله ودعا إليه، لتنقشع بفضله الغياهب، ويهتدي به الضالون في مهامه الحياة ودروبها المظلمة، محققاً المساواة بين العباد، فلا رئيس ولا مرؤوس، ولا سادة ولا عبيد، ولا غني ولا فقير. فالكل تحت ظلها سواء، تتم المفاضلة بينهم عن طريق التقوى والأعمال الصالحة ولا شيء سواها.

يقول السنوسي في ذلك [٣]:

فـإذا ابن عـبـدالله يرفع صـوته

ويدك مـا شـاد الضـلال وسـورا

في دعـوة كـالشـمس سـاطعـة السنا

تهـدي الضليل وترشـد المتـحـيرا

(١) تخزمه برى: أي تشكه، والخزامة: بره، حلقة تجعل في أحد جانبي منخري البعير.

(٢) مطلول: الطل: هدر الدم؛ وقيل هو: أن لايثأر به أو تقبل ديته.

(٣) الأعمال الكاملة، ص١٧-١٨.

الفـضل للأعـمـال في دسـتـورها
لا للـمناصب والمناسب والثـرا
وإذا البـرية تحت ظل لوائهـا
إسلامهـا القربى وتقواها العرى[1]
أم تؤلفـهـا العـقـيدة نسبـة
ومن العـقـيدة مـا يفـوق العنصرا

ويمضي في حديثه عن الرسالة الإسلامية ، يجلي قيمها ومبادئها التي عملت على إرساء دعائمها وترسيخها ، وهو في ذلك يتجاوز مجرد الإشادة بها ليدفع عنها سيل التهم الموجهة إليها ، عن طريق طعنه في المذاهب الغربية الوافدة ، التي خططت لهدم العقيدة ومحوها من الوجود .

يقول السنوسي مؤكداً أن الإسلام هو دين العدل والمساواة ، وأنه النظام الأصلح للحياة والأحياء في كل زمان ومكان [2] :

والعـدل في نظم الإسـلام قـاعـدة
قـوية تتـحـدى كل تيـار
إن المبـادئ والأهداف واضـحـة
للمـؤمنين وليـست هذر مـهـذار

(١) العرى : الواحدة : عروة، وهي مايوثق به .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص٣١٣.

والله لو عرف الإسلام معرفة

نقية من أضاليل وأوضار[(١)]

لما ارتضى غيره حكما لدولته

من بات يخبط في ظلماء معصار

وتتضح تلك المبادئ والقيم التي أرسى دعائمها الإسلام أكثر مما تتضح في عالميته التي تجاوزت حدود المكان والزمان ، لتشمل عالمي الجن والإنس ، محققة مبدأ المساواة بينهم . نلمس ذلك في قوله[(٢)] :

رسالة لم تكن للعرب بل نزلت — للعالمين بلا حصر ولا عدد

فكل من أعلن التوحيد معترفا — بالله ربا بلا ند ولا ولد

فإنما هو منا لا يفرقه — عنا لسان ولا لون على جسد

ويواصل السنوسي دفاعه عن الإسلام ورسالته ، مبينا حاجة الإنسانية له ؛ لأنه بالنسبة لها كالزمام للدابة ، حيث يعمل على توجيهها وهديها في دروبها المتشعبة . تجد ذلك في قوله[(٣)] :

هو الزمام وما الإنسان ليس له

دين سوى حيوان سائب سرب[(٤)]

(١) أوضار : أوساخ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص٥١٨ .
(٣) المصدر السابق، ص٥٣١ .
(٤) الزمام : المقود ، وسائب : سيب الشيء : أي تركه يسيب حيث يشاء ، وكل دابة تركتها وسومها، فهي سائبة . وسرب : السرب : الذاهب الماضي .

وسوف يبقى هدى الإسلام منتصرا
على الطواغيت والإلحاد والريب
وكل إفك وبهتان يراد به
محو الحقيقة لا ينجو من العطب [١]

ويؤكد أن الدين ظل الله في ملوكته ، وأنه من تمام نعم الله على عباده، وصورة من صور رحمته بهم ، فهو الطريق الموصل لرضائه عنهم ، معرضاً بالماركسيين ومن لف لفهم وسار على دروبهم في افتراءاتهم واتهاماتهم للدين بأنه أفيون الشعوب .

يقول السنوسي في ذلك [٢] :

فالدين ظل الله في ملكوته ... والله بالإنسان جد رؤوف
من قال إن الدين أفيون الورى ... فهو الشقي بعقله المخطوف

ويعرض بهم في نص آخر ، مؤكداً تمسكه بإيمانه بالله ، وبدينه الإسلامي، تاركاً لهم تمسكهم بمذهبهم الذي سيؤدي بهم إلى الهلاك .

يقول السنوسي معتزاً بدينه [٣] :

فماذا ينقم الأعداء منا ... وماذا يدعون ويفترونا

(١) إفك : كذب ، والعطب : الهلاك .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .

سوى إيماننا بالله ربا وبالإسلام تشريعا متينا
أبالإسلام ينبذنا الأعادي كفى شرفا بذلك لو يعونا
لنا إسلامنا ولهم هواهم سواء كان (مركس)[1] أو (لنينا)[2]

ثم يلتفت إلى الدعوة الجادة لاعتناق الدين الإسلامي ، ويحث على العمل بتعاليمه قولاً وفعلاً، واتخاذه منهجاً في الحياة، نقتفي آثاره، ونهتدي بأنواره .

يقول السنوسي موجها دعوته إلى أخيه الإنسان في كل مكان :

يا خليلي الدين نور القلوب وطبيب الحياة أي طبيب
لا تدع للأسى إلى قلبك الشفاف دربا ولا تلن للخطوب
كم رأينا وكم سمعنا فدع قلبك يرتاح من عناء عجيب

(١) هومؤسس « الاشتراكية العلمية » ولد في مدينة ترير سنة ١٨١٨م بألمانيا، وفي السابعة عشر من عمره دخل جامعة بون الكريسمان وانتقل بعد ذلك إلى جامعة برلين، ثم حصل على دكتوراة في الفلسفة من جامعة فينا. انظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ص أنيس منصور ط(٧) ١٩٨٦م، الزهراء للإعلام العربي من ص ٤٩-٥١ .

(٢) اسمه فلاديمير الليتش أوليانوف ، وأصبحت شهرته لينين . ولد في مدينة سمريسك والتي تسمى الآن أوليانومسك تيمناً به سنة ١٨٧٠ . يعد المسئول الأول عن قيام الشيوعية في روسيا، وهو تلميذ كارل ماركس، يعد من أخطر الرجال أثراً في التاريخ. انظر ذلك في «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ص من ص ٦٥-٦٦ .

ودع الـفلسفـات واسـتلـهم الإيـ　　ـمان وانضح به جفاف النضوب[1]

ويعمق أثر الدين في حياة الإنسان ، مستعيناً في ذلك بمشاهد من الحياة، يحسها الإنسان المدعوويعيها. نقف على ذلك في قوله[2] :

أرأيت الزهور من غـيـر مـاء　　كـيف تذوي وتنتـهي للفناء

أرأيت الحـيـاة من غـيـر نـور　　كـيـف تغـدو في ظلمـة عـمـيـاء

هكـذا الـدين إنه شـعـلة القلـ　　ـب ونبع الظمـاء في الصـحـراء

فـاتخـذه ركـيـزة وعـمـادا　　وضـمـادا لكـل جـرح وداء

(ب) الافـاق العبـادية :

لشاعرنا قصائد عـدة عبر فيها عن مدى تعلقه بالشعائر الإسلامية ، جلى فيها خصائص تلك الشعائر وآفاقها ، ولم يتوقف عند ذلك الحد ؛ بل نراه في كثير منها يتخذها ميداناً لإراقة آلامه ، وبث آمـاله التي تنأى عن الذاتية وتتوجه إلى الجماعة ، وأعني بالجماعة أمتنا الإسلامية وقد تغشاها السبات العميق ؛ فتأخرت عن الركب، ومناخاً ملائماً لمعالجة أدواء تفشت في مجتمعنا الإسلامي . وأول ما يصادفنا من تلك القصائد التي تدور حول هذا الجانب قصيدته (أذان الفجر) و « أذان الفجر بعـد هدأة الليل

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .

يشعل في النفس جذوة الإيمان ويشيع فيها الاطمئنان ويدفع بالفكر في مسارب الطبيعة لتتأمل صنع الله الذي أتقن كل شيء »[(١)].

وهكذا كان السنوسي في وصفه لصوت الأذان ، وقد تعالى في هدأة الأسحار ، يشق ذلك السكون المطبق على الكون ، مرددة أصداءه العذبة البطاح والأجواء ، زارعاً الطمأنينة في النفوس ، ماسحاً عن القلوب الكئيبة عناءها ، ساكباً الرضا فيها ، مشرعاً آفاق الكون لكل ذي لب وبصيرة وإحساس بالجمال ؛ ليتأمل كيف أتقن الله صنعه .

يقول السنوسي واصفاً تلك الدعوة ، واثارها في أحاسيسه ومشاعره[(٢)]:

ارتفاع الأذان فوق المــآذن ... في انبلاج الصباح والليل ساكن

دعــوة تحمل الحيــاة إلى الكو ... ن وســكانه قــرى ومــدائن

ونــداء من السمــاء إلــى الأر ... ض إلــى ظاهر عــليها وباطن

ولقــاء بين الملائــك والإيــ ... ـمان والمؤمنين من غيـر آذن

وانطلاق إلى الفلاح إلــى الخيــ ... ـر إلى الحق والهدى والمحاسن

ويواصل الشاعر رحلته مع ذلك الصوت ، واصفاً آثاره في الطبيعة

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص١١٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٥ .

والنفوس، متجاوزاً ذلك إلى أثره في الحياة بأسرها [1]:

كلما ردد المؤذن لفظا ... شعشع النور وانجلى كل غاين

نغمات كأنها نسمات ... رفرفتها خمائل وجنائن

تتغذى بها النفوس وترتا ... ح ارتياح الربى بقطر الهواتن

تمسح الأرض من غبار الملاهي ... ودخان الهوى ولهو المفاتن

كل حرف من لفظه كل معنى ... من معانيه يستثير الكوامن

رددته منابر وقباب ... تتعالى ورجعتها ملاسن

ويتجاوز أثر تلك الدعوة في الحياة إلى اللحظات التي تعقب صلاة الفجر فيجد فيها مجالاً للتأمل في بديع صنع الله، وفسحة للاستمتاع بجمال الطبيعة البكر وهي تستقبل يوماً جديداً. يقول السنوسي في ذلك [2]:

أذن الفجر يا فؤادي ولاحت ... قسمات الضياء فاسمع وعاين

وتأمل رؤى تشف ودنيا ... تتجلى سرائر وعلاين

أشرقت فامحى الظلام وزالت ... كسف من سحائب ودجائن

وكما عاش السنوسي بأحاسيسه ومشاعره وبألفاظ تهمي عذوبة مع أذان الفجر -تلك الدعوة الإلهية الموجهة لعباده كي يؤدوا واجباً عليهم-

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٧.

عاش في تجربة حية موحية مع شعيرة أخرى، ينتظرها المسلمون في كل زمان ومكان، يحدوهم الأمل في أدائها على أكمل وجه ؛ حتى ينالوا رضا الله وغفرانه، وتلك الشعيرة هي صيام شهر رمضان . ولرمضان مكانته في نفوس المسلمين حيث فضله الله على سائر الشهور، وشرفه بأن نزل كتابه العزيز فيه ، وفيه ارتفعت راية الإسلام خفاقة يوم بدر الكبرى .

وشاعرنا في رحلته الوجدانية مع هذه الشعيرة يتجاوز-كعادته- وصف أثرها في النفوس ، إلى معالجة بعض الأدواء المتناثرة في مجتمعه الإسلامي الواسع .

يقول شاعرنا مخاطباً شهر رمضان خطاب المؤمن الراغب والمؤمل في نشر العدل والاسلام والأمن والإيمان في هذا العالم المترامي الأطراف [1] :

ملك الشهور وسيد الأيام ... رمضان يا إشراقة الإسلام

يا نفح أرواح زكت ومشاعر ... رقت ونبع تسامح وتسام

رفرف على الدنيا باجنحة الهدى ... وامنح عوالمها ندي سلام

وانضح على أكبادها وقلوبها ... روح الصفاء ورقة الأنسام

وأنر بنورك وهو نور قداسة ... وضياء مرحمة كثيف قتام[2]

(١) مجلة المسلمون، العدد (٣٨) في ٢٥/ ٩/ ١٤٠٢هـ.

(٢) القتام والقتم : الغبار .

ويصف فرحة المؤمنين بحلول هذا الشهر الكريم ، وتغير أحوالهم فيه ، بقوله[١] :

تتهلل الدنيا بوجهك طلعة ... وتفيض بالإحسان والإنعام
وتشف فيك الكائنات نقاوة ... فكأنها روح بلا أجسام
وتجوع فيك من الخطايا أنفس ... تخمت بشهوتها مدى الأيام
وتموت من أخلاقها وطباعها ... روح التكالب والسعار الطام[٢]

ويناشد هذا الشهر أن يساهم بروحانيته في طمس بعض الأدواء الاجتماعية، وتطهير أرواح الناس من الشوائب العالقة بها قائلاً[٣] :

رمضان إنك للقلوب حبيبها ... وطبيبها في حكمة ونظام
دعنا نجوع من الوضاعة والخنى ... والزور لا من شربة وطعام[٤]
واغسل (بفرشاة) الطهارة ألسنا ... سودا من الأدران والأوهام

وكما استوقفه أذان الفجر بألفاظه العذاب ، شاقا أسمال الليل ، ورمضان بروحانيته، استوقفه الحج ومنظر الحجاج وقد أقبلوا من كل فج

(١) مجلة المسلمون ، العدد (٣٨) في ٢٥/ ٩/ ١٤٠٢هـ.

(٢) السعار : شدة الجوع .

(٣) مجلة المسلمون، العدد (٣٨) في ٢٥/ ٩/ ١٤٠٢هـ.

(٤) الوضاعة : الذل والهوان والدناءة ، الخنى : الفحش في الكلام .

مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾[1] مهللين مكبرين ، طامعين في مغفرة المولى عز وجل ، وملبين نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾[2] .

و « للحج ميزة فذة بما يحمله من دلالات ومعان جادة ؛ لأنه رحلة وجدانية يتخلى فيها المستجيب للنداء الأزلي عن الأهل والمال والوطن ، ينحدر في الوهاد ، ويعلو النجاد . . . متطلعاً بشوق إلى تلك البقاع الطاهرة ، والفجاج الزاهرة »[3] .

والسنوسي شاعر رقيق الشعور ، رهيف الحس ، سريع الاستجابة لدواعي الشعر ، فقد أيقظت مشاعره ، واستدرت عواطفه تلك الوفود التي سارعت بتلبية النداء ، وتلك الوحدة المنسجمة بين المسلمين في الغاية والهدف ، فانطلق خياله سابحاً في آفاق مفعمة بالإيمان والحب ، معبراً عن ذلك الموقف الخالد ، وتلك المشاهد الحية[4] :

(١) سورة الحج : الآية ٢٧ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ١٣٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٨ .

في مــثل هذا اليــوم من كل عــام
يزدهر الحــجــر ويزهو المقـــام
مــقـــام إبراهيم ســـامي الخطا
وحــجـر إســمــاعـيل نعم الغـلام

ويسترسل في وصف تلك المشاهد المليئة بالحياة والحركة، مشيراً إلى عظمة الإسلام الذي ألف بين تلك القلوب ، ووحد غايتها وهدفها في هذه الحياة[1] :

أخلصت التـوحـيـد واستـسلمت ... للـــــه رب الكون رب الأنام
تملأ بالتكبير قــلــــب السمـا ... على اختـلاف في اللغى والكلام
تطـــوف أو تسـعـى إلى غـاية ... واحـدة في السـعي والاسـتـلام
وحــدها الإســلام دين الـهــدي ... والحـــق والإيمان دين الســلام

ويصف الحجـاج في ذلك الموقف الرهيب وقـد تجـردت أرواحـهم من شائبات الهوى، وأعلنت حبها المحض لربها، في جو تسمو فيه الروحانية، وتتضوع منه نفحات الإيمان الصادق[2] :

تجـــردت من شـائبـات الهـــوى ... أرواحـهـا وانطلقت من حطام[3]

(١) المصدر السابق ، ص : ٤٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٤٥١ .

(٣) حطام : المراد به هنا حطام الدنيا وهو : كل ما فيها من مال يفنى ولا يبقى .

يغـمـرها الإيمان في نشـــــوة روحـيـة تسـمـو سـمـو الغـمـام
تهـيم بالله وتهـفـو جـــــوى ياحـبـذا ذاك الجـوى والهـيـام !

٣ - استلهام التاريخ الإسلامي :

تاريخنا الإسلامي أسفار متلاحقة بالبطولات ونماذج التضحية والفداء، انبعث من بطحاء مكة المكرمة، من قلب الجزيرة العربية التي كرمها الله بالأماكن المقدسة[١] التي انطلقت من على ثراها قوافل تاريخنا الإسلامي في المسير، متجاوزة ماجاورها من مناطق وبقاع إلى آفاق المعمورة.

خط الرسول - ﷺ - أولى صفحات ذلك التاريخ بشروعه في تبليغ قومه رسالة ربهم، وتحمله في سبيل ذلك أذاهم وعنتهم وقسوتهم.

وعندما أحس - ﷺ - بصلابة أرض مكة، وعدم صلاحيتها لاحتواء أنوار تلك الرسالة في بادئ الأمر، توجه إلى طيبة الطيبة، ومنها كانت البداية الحقيقية لتاريخنا الإسلامي، حيث شرع الصحابة - رضوان الله عليهم - بقيادة الرسول - ﷺ - يكتبون ذلك التاريخ المليء بالبطولات والمفاخر، بدءاً من الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ص : ٩٥ «بتصرف».

رسول الله - **ص** - لنشر تعاليم الرسالة السماوية الخاتمة، التي ارتضاها خلق الكون لعباده ؛ رحمة بهم ، فكانت بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، ومؤتة ، وفتح مكة ، وحنين ، وتبوك .

واستمر أولئك الرجال - بعد فقدهم لقائدهم - يكتبون تاريخنا المشرق بدمائهم الزكية .

ففي عهد الخلفاء الراشدين والعهود التي تلته امتد خط الجهاد الإسلامي حتى وصل نور تلك الرسالة إلى أماكن ماكان له أن يبلغها لولا توفيق الله لجنده الأبرار ، وصدق وإخلاص أولئك الجند لربهم ولرسالتهم التي حفزهم نشرها إلى الدخول في معارك ضارية ، لم ولن يهملها تاريخنا الإسلامي المزدهي بها كاليرموك ، والقادسية، وذات الصواري، وحطين، وعين جالوت وغيرها .

وقد وقف شاعرنا أمام هذا التاريخ الحافل بالبطولات والأمجاد - وقفة تنم عن إعجاب كبير ، وحب عميق لأولئك الرجال الذين منحوا ذلك التاريخ - حتى يكتب على ذلك النحو - أرواحهم، وأراقوا في سبيله دماءهم ، وتفصح عن ألم مر يسري في أوردته ومكامن وجدانه ، وهو يرى أحفاد أولئك الرجال قد شتتتهم الفرقة، وشقت عصاهم رغباتهم

الدونية الموقوتة، واستشرى الوهن في أجسادهم، وتغلغلت الذلة والمسكنة في أعماقهم، آخذة بمجامع قلوبهم، ففقدوا على إثر ذلك العزة التي كانت لهم ومعها المكانة التي ورثها لهم آباؤهم وأجدادهم.

وشاعرنا - من خلال وقفته مع تاريخنا الإسلامي ، والتقليب في صفحاته- يسعى إلى إشعال فتيل الهمة في نفوس أبناء أمته ، وبعث الروح التي خمدت في أجسادهم عن طريق إثارتها - تواق إلى صحوة تنقشع لها الغياهب التي لبدت سماء أمتنا الإسلامية ، لتعود من جديد قوية مرهوبة الجانب، متصدية لبطش المستعمرين ومخططاتهم، ومحررة أراضيها التي وقعت في أيديهم، مكملة دورها الريادي في نشر تعاليم الرسالة الإسلامية، وتعمير هذه الأرض ومن ثم قيادتها كما كانت في سابق عهدها.

وإذا أجلنا النظر فيما استلهمه السنوسي من روائع تاريخنا الإسلامي، وقام بصياغته صياغة وجدانية مؤثرة - لوجدناه قد اهتم بإبراز جانبين من جوانب ذلك التاريخ الحافل بكل جميل، فوقف أمام أبطال الإسلام والمسلمين ، ثم مع الأمجاد الإسلامية التي حققها أولئك الأبطال .

(أ) من أعلام أبطالنا :

تاريخنا الإسلامي « ثري بشخصيات بارزة في كل مجالات الحياة، فهناك أبطال معارك ، وأساطين سياسة ، ورجال حكم، وعلم ، وقضاء ، وفكر ، ونماذج عدل، وعناوين كرم، وإيثار، وأحلاس عبادة وزهد »[(١)].

واهتمام شاعرنا بأولئك الأبطال « امتداد لاهتمامه بالإسلام عقيدة ومنهج حياة، كما أن استدعاءه للصفوة من ذاكرة التاريخ بهدف ربط القارئ بالتاريخ الإسلامي في عصور ازدهاره ، ومن ثم يمكنه ذلك من تقديم أمثلة حية لناشئة الأمة لحملها على الاقتداء بهذا السلف الصالح ، ومحاولة تمثل حياتهم وأسلوب تعاملهم»[(٢)] تغذيه رغبة جامحة في نقل أمته - عن طريق استدعائه لتلك الشخصيات بمعطياتهم - « من واقع الهزيمة التي تعيشها على أيدي المستعمرين والإحباط والفرقة والتخلف والمهانة الحضارية إلى واقع أكثر إشراقاً وسطوعاً ونضارة . . . فيه الحرية والانتصار والحضارة، ويستشعر فيه المسلم أنه صاحب كيان وذو قيمة ، بعد أن أصبح في هذا القرن مثل اليتيم على مأدبة اللئيم »[(٣)].

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص : ٢١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢١٧ .

(٣) محمد ﷺ في الشعر الحديث ، د. حلمي القاعود، ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص: ٢٠٣-٢٠٤ .

ولو عدنا إلى الشخصيات التي استدعاها في شعره لوجدناها شخصيات لها ثقلها في تاريخنا الإسلامي ، ويأتي في مقدمة تلك الشخصيات هادي البشرية وسيدها محمد - ﷺ - « النبي الذي صدع برسالة السماء فقاد أمته إلى طريق الهدى الرباني ، وحدها بعد فرقة ، وحرر فكرها وشعورها ، وانطلق بها أمة رائدة. . . قد حباه الله من رفيع الشمائل وكمال الخصال ما جعل منه برعاية الوحي إنساناً فريداً في مقومات شخصيته وخلاله ، لذا كان الاحتذاء بسيرة النبي -ﷺ- يمنح من القوى المعنوية والطاقات الإنسانية مايرقى بمستوى النهضة والقيادة»(١) .

وقد خلت قصائد شاعرنا التي حلق فيها مع آفاق الشخصية المحمدية ، من المزالق التي شوهت جانباً كبيراً من المدائح النبوية عند بعض الشعراء في بعض الأقطار الإسلامية(٢) ، والسبب في ذلك راجع إلى «خلو المجتمع من المنازع الصوفية والعصبية ، وإلى أثر الدعوة الإصلاحية وحرصها على تنقية العقيدة مما يكدر صفوها»(٣) .

والمتأمل في قصائده تلك يجد أن اهتمامه كان منصباً على الإشادة

---

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ص: ٤٧ .

(٢) كدعاء الرسول ، والتوسل به ، وطلب النفع ، ودفع الضر ، ووصفه بما لايليق به كما يفعل غلاة الصوفية وغيرهم.

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص: ١٦١ .

بالرسول -ﷺ-، وتجلية خصاله الربانية، وتصوير بطولته العظيمة، وجهاده في سبيل الله.

ومن نماذج شعره في مدح الرسول -ﷺ- قوله [1]:

(محمد) خير خلق الله قاطبة
خلقا وخلقا على السراء والنكد

نديم (جبريل) يسقيه فما لفم
(وحيا) يرتله شاد إلى غرد

ويصور حرصه - عليه الصلاة والسلام - على هداية الناس إلى الصراط المستقيم، والطريق الحق، وصبره على كل مايواجهه في سبيل تحقيق تلك الغاية، في قوله مستلهما موقفه مع كفار قريش [2]:

ظلت تناصبها البغضاء معلنة
رجال مكة في حقد وفي حسد

وأحمد المجتبى يرجو هدايتهم
يزداد ودا ويزدادون في اللدد[3]

ويجد في موقفه -ﷺ- من محاولات كفار قريش المتلاحقة لثنيه

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١٧.

(٣) اللدد: الخصومة الشديدة.

عن مواصلة دعوته إلى عبادة الله وحده، وثباته - عليه الصلاة والسلام - على موقفه - مايقوي من عزيمة أبناء أمته ، ويرفع من روحهم المعنوية في مواجهتهم لأعدائهم المتربصين بعقيدتهم الإسلامية ، ساعين إلى طمس معالمها ، واستئصالها من جذورها .

يقول السنوسي واصفا ثبات الرسول - ﷺ - [1] :

رسموا خطة القضاء على النو   ر وهبوا كالزعزع الهوجاء[2]

والرسول العظيم كالطود إيما   نا وكالنجم في السنا والسناء

يتحدى قوى الضلال بقلب   عامر باليقين والأضواء

ويجلي عمق إيمان الرسول - ﷺ - بخالقه ، وثقته في عطفه ورحمته ، ونصره له ، في قوله مستلهما الحديث الذي دار بينه وبين صاحبه في الغار [3] :

يا صاحبي لا تخف الله يحرسنا

بلطفه وللطف الله أسرار

من علم العنكبوت النسج تحكمه

على فم الغار نسجا فيه إمرار

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦٣ .

(٢) الزعزع الهوجاء : الريح الشديدة التي تقلع البيوت .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٣- ٥٣٤ .

وسخر الطير تبني العش جاثمة

تزق أفراخها فيه وتمتار[(1)]

الله والله لا تخفاه خافية

وليس يعجزه مكر ومكار

ومن الشخصيات الإسلامية التي وقف عندها شاعرنا شخصية أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - وقد حملت لنا تلك الوقفة روحه المعجبة بمواقف تلك الشخصية البطولية في حياة الإسلام والمسلمين ، مركزاً على أهم تلك المواقف والذي يكمن في تصديه للمرتدين عن الإسلام بعد وفاة الرسول - ﷺ - ، وأثناء فترة خلافته .

يقول السنوسي في ذلك [(2)] :

يا (ثاني اثنين) إن الدين في خطر

وأنت للدين مذ أسلمت نصار

هذا (مسيلمة الكذاب) في نزق

وذا (طليحة) أفاك ونعار[(3)]

---

(1) تزق : تطعمها بفيها . تمتار : تمتد .

(2) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٧ .

(3) نزق : النزق : الخفة والطيش والحمق ونعّار : أي عاصي .

وذي (سجاح) وهذا (مالك) وهما
في كلمـــا دبرا طبل وزمـــار
ثبت للخطب لم ترهبك ثائرة
ولا هفـــا بك أوغـــاد وأغـــرار
وقلت قـولتك الغـراء ترفـعـهـا
كالسيف في وجه من خاروا ومن ثاروا
والله لو منعـوني حـبل راغـيـة
قـاتلتـهم ليس إلا ذاك إقـرار
الدين كل وليس الدين تجـــزئة
بعض صحيح وبعض منه أصـفـار
يا للوديع الرقيق القلب أين مضت
تلك الوداعة فهو اليوم جبار !
أعدت للمسلمين الفجر مبتسما
من بعد ما كاد يمحو الفجر فجار

ويواصل شاعرنا تقديمه لبعض الشخصيات المؤثرة في حياة الإسلام والمسلمين ، فيتوقف هذه المرة عند شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مشيدا بألمعيته ، ومشيراً إلى شدته في الحق ، وبعد نظرته ، حيث يقول[1] :

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٢ .

العبقري الذي يخشى صرامته

(إبليس) أنى مشى في السهل والجلد[١]

الملهم الألمعي الذهن تحسبه

من الذكاء يرى الأشياء من صدد[٢]

ذو (درة) ما رآها قط ذو أسر

إلا ارعوى ولو استعلى بعرق عدي[٣]

ويستلهم بعض المواقف التي خلدها تاريخنا الإسلامي للخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - مبتدئاً بمبيته في فراش الرسول ﷺ - ليلة الهجرة ، ثم بجلاء موقفه -رضى الله عنه - من الأحداث التي حفلت بها فترة خلافته [٤] :

فكان ما كان وامتدت يدا بطل

(مكرم الوجه) عبل الزند والعضد[٥]

(١) الجلد : الأرض الصلبة .

(٢) صدد : قرب .

(٣) أسر : القوة والحبس .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٣ .

(٥) عبل : ضخم .

(أبي الحسين) الذي ضحى بمهجته

(فدى النبي) المفدى ليلة الرصد[1]

العابد الزاهد الأواب من خضعت

لقوة الروح فيه قوة الجسد

فقاوم الريح والأنواء مهتديا

بالحق لم ينحرف عنه ولم يحد[2]

سياسة الفضل والإيمان ليس لها

إلا الوضوح وإن كان الطريق ردي

وسار ضد قوى التيار في ثقة

بالله يحمي حماه من هوى ودد[3]

---

(١) كناه الشاعر : بـ(أبي الحسين) بدلاً من كنيته الأصلية (أبا الحسن) حتى لاينكسر الوزن الشعري الذي جاء إطاراً لقصيدته التي منها هذا البيت .

(٢) الأنواء : جمع نوء ، وأصله : الليل في شق ، والمراد بها هنا : الأثقال .

(٣) الدد : اللهو واللعب .

ويشير إلى أهم أحداث فترة توليه أمر المسلمين قائلا[1] :

فكانت (الجمل) الشوهاء عاصفة

لم تبق ركنا ولم تترك عرى وتد

وشق (صفين) صف المسلمين إلى

صفين يضرب بعض بعض في حرد[2]

ولم تزل شعلة الإيمان في يده

حتى مضى فمضت محلولة العقد

ونتوقف في نهاية جولتنا ، مع وقفات السنوسي مع أعلام المسلمين وأبطالهم العظام - عند عمر بن عبدالعزيز الذي يعد بحق المجدد البارع الذي أعاد للإسلام رونقه وبهاءه المعروف عنه .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٢) حرد : الغيظ والغضب .

يقول السنوسي وقد أخذه العجب بتلك الشخصية الفذة [1] :

ولاح في الأفق وجــــه في أســـرته

يضيء إشــعـــاع قــديس وروح نبي

أهلا (أشج) بني مـــــروان يا بطلا

سـمت به سـمعـة الإسلام والعـرب

ثم يصف حال أبناء الأمة الإسلامية في عهده قائلا [2] :

واسـتـقـبل الدهر عـهـداً لا نظيـر له

في كل مـاسـجل التـاريخ من حـقب

هديا وعـــدلاً وإيماناً ومـــرحـــمـــة

ووحـدة صـاغـهـا الإسلام من ذهب

يمشـون في ظلهـا الضـافي وقـائدهم

دين ينيـــر خطاهـم في دجى الدرب

يحـدو سـراهم ويشـدو في مـواكـبـهم

قـرآنهم وحـديث المصطفى العــربي

نقـيـــة لم يشــبـــهـــا مـــا يكدرها

من التـــفـــاخـــر بالأعـــراق والنسب

(١) الأعمال الكاملة ص : ٥٢٦-٥٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٥٢٨ .

إلى أن يقول [١]:

أسطورة تلك لا والله بل بشر
مشى على الأرض مشي الغيث في الجدب[٢]
قرأت تاريخه يوما فرف فمي
شوقا لتقبيل ذاك العطر في الكتب

(ب) الأمجاد ومعارك الفتوحات الإسلامية:

يطوف شاعرنا في دروب أمجادنا التليدة عبر صور الفتوح والانتصارات التي مهرناها بقوافل الشهداء الأبرار، ففتحنا بها عيون البشرية على الهداية والنور[٣]، فيرى المسلمين الأوائل وقد دكوا أسوار فارس، وزلزلوا عرش قيصر، وانطلقوا يبلغون رسالة ربهم في كل أرجاء المعمورة:

وإذا تلكم الصحارى حديث الـ ـفرس والروم من قريب وناء
وإذا تلكم الجزيرة يمتدُّ سناها عبر الذرى والسماء

(١) المصدر نفسه: ص ٥٣٠.

(٢) الجدب: القحط والمحل، وهو نقيض الخصب.

(٣) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ص: ٩٧ «بتصرف».

وإذا خـــالد وعــــمــــرو وزيد　　فلـك دائــــــر على الأجــــواء
يرسلون الضـيـاء فـي كل أفـق　　ويـــــداوون كـــل ســـقم وداء
وينيـرون بالعـدالــــة والإســ　　ـلام درب الحـيـاة والأحـيـاء
ويهـيـبـون بالشـعـوب إلى الحـــ　　ـــق نقـيـاً من دعـوة الأدعـيـاء
حـملوا مشـعل الـعقيـدة والإيـ　　ـمان والـعدل والحـيا والـوفاء
ودعـوا كـــل أمـة تنشـد الحـــ　　ـــق إلى كلمـة وحكم سـواء [1]

ويقف على ما شاده المسلمون في المغرب العربي في تلك الحقبة الزمنية السالفة، والتي استطاع المسلمون فيها دك الصعوبات التي اعترضت طريقهم وهم يحملون الرسالة الإسلامية، ساعين إلى نشرها :

على الشاطئ الرقراق في المغرب الأقصى
قــرأت أحـاديثـا من المجـد لا تحـصى
مـسطرة من عـــهـــد مـــوسى وطارق
وعــقــبـة لم تنصل شـروحـا ولا نصـا
ســواطع ملء البــحــر والصــخــر والذرى
تزيد ائتـلاقـا كلمـا زدتهـا فـحـصـا [2]

---

(١) الأعمال الكاملة ص : ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٦٢٤ - ٦٢٥ .

ويمضي السنوسي مستلهماً الأحداث التاريخية ، قارئاً معالمها في كل زاوية من زوايا المغرب العربي ، وفي كل مظهر من مظاهره :

إذا غمغمت فيها الرياح حسبتها
صهيل جياد تحمل العرب الخلصا[1]
وإن لاح قرص الشمس خلف جبالها
رأيت شعاع الفتح يحتضن القرصا
تأملتها والذكريات يهزني
صداها كما تهتز أمواجه رقصا[2]

ويستدعي - من ذاكرة التاريخ - الشخصيتين اللتين بنتا المغرب دينياً وحضارياً، مستلهماً موقف طارق بن زياد ، عندما وقف في جموع المسلمين خطيباً، بعد أن قام بإحراق السفن التي كانت بحوزتهم :

كأني أرى موسى أمامي بخيله
وأسمع وثب الخيل والركض والقمصا[3]

(١) غمغمت : الغمغمة والتغمغم : الكلام الذي لايبين ، وقيل : هما أصوات الثيران عند الذعر، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٦٢٥ .

(٣) القمص : يطلق على الخيل إذا استن أي : رفع يديه وطرحهما معاً.

ولمح المواضي والسفين وطارق
يخوض عباب اليم واليم قد غصا
وخطبته كالرعد تقتحم الذرى
وإيمانه لايعرف الخوف والحرصا
مآثر للإسلام وهاجة السنا
قبابا وألبابا سوامق لا وقصا[1]
وكم لهدى الإسلام في الأرض من يد
بها صفحت مستعمراً ورمت لصا[2]

ثم تبدأ تلك الصور في التلاشي، ويحل محل ذلك الفخر والاعتزاز بما كان للمسلمين من دور فعال في قيادة أمم الأرض قاطبة - ألم طاغ، وحسرة مرة؛ لما آلوا إليه الآن من ضعف وهوان أفقدهم القدرة على المحافظة على أراضيهم، والتصدي لبطش المستعمرين.

يقول السنوسي متألماً من الحاضر الذي تعيشه أمته، مستحضراً صورة زاهية من صور ماضيها المشرق[3]:

(١) الوقص: أي قصر العنق، والمراد هنا: أن تلك المآثر عالية لا منخفضة.

(٢) الأعمال الكاملة ص: ٦٢٥ - ٦٢٦.

(٣) المصدر السابق ص: ٤٨٠ - ٤٨١.

هدأ الليل فـاهدئي يامـشـاعـر ودعــيني من الرؤى والخــواطر
هدأ الليل وانطوت فـي دياجيـ ـه قلوب كليـــمــة ونواظر[1]
لم تعد مهجتي يرف هــواهـا للحــون المنى وعــزف المزاهر[2]
بات قلبي يحن شوقا إلى المـــا ضي وروحي تئن حـزنا لحـاضـر
أنا من أمة رعى اللــــه ماضيـ ـها لقـد كـان جوهراً من جـواهر
كان منها الهادي إلى الحق والحا مـــي حـمـاه من كل طاغ وفـاجـر
كـان منهـا مـحـمـد وأبو بكـ ـر وعـثـمـان والزبيـر وعـامـر
وعلـــي وطلحة والمثنـــى وأبو حـفص والشـهـيـد ابن ياسـر
نفر كـالنجوم إن أظلـم الليـ ـل أضـاءت بهم سـمـاء المفـاخـر
ليس منهـــم إلا جـواد وإلا فـارس للفـوارس الصـيـد قـاهر

ويبلغ حزن الشاعر مداه وهو يرى أحفاد أولئك الأبطال وقد عانقهم الذل على أيدي أعدائهم[3]:

كيف أضحى أحفادهم يا فلسطيـ ـن صغـــارا لا يأنفون الصغائر[4]
بردت في دمائهم نخـــوة العـــز وماتت تلك السجايا الحرائر[5]

(١) قلوب كليمة : جريحة .
(٢) المزاهر : واحدها مزهر : وهو الدف الذي يضرب به .
(٣) الأعمال الكاملة ص : ٤٨٢ .
(٤) صغاراً : الصغر والصغارة : خلاف العظم ، والصغائر : الآثام والذنوب .
(٥) نخوة : النخوة : العظمة والكبر والفخر ، والسجايا : واحدها سجية : الطبيعة والخلق .

ثم ييمم وجهه شطر الماضي هرباً من الحاضر الأليم ، مستلهماً بعض المواقف البطولية التي صنعها رجال الإسلام الأوفياء ، ذاكراً بعض أسماء أولئك الرجال الذين كانت لهم صولاتهم وجولاتهم في مسرح الأحداث في مختلف فترات تاريخنا الإسلامي ، يقول السنوسي طالباً - لأولئك الرجال والقادة - الرحمة إزاء ماقدموه للإسلام والمسلمين [1] :

رحم الله خالـــــداً والمثنى وابن أيوب والفتى الحمداني
فلقد ضعضعوا قوى كل دهقا ن وعلج وأنقذوا كل عاني [2]
حين كانت قوى الطغاة تهز الـ أرض من فارس ومن رومان

٤ - الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين :

من الأمور المسلم بها أن لكل أمة من الأمم رصيدها الضخم الحافل بالمعارف والأمجاد ، وأن ذلك الرصيد لم يولد فجأة ، ولم يأت من فراغ ، وإنما كان ثمرة لسعي مضن وعمل دؤوب .

ولأن الحياة في تغير مستمر فإنه قد يترتب على ذلك التغير تراجع أمة عن مكانتها ، وتقدم أخرى . وحتى تستطيع تلك الأمة - التي تراجعت عن الركب وفقدت مكانتها - العودة مجدداً إلى سابق عهدها ، فإنه يتحتم عليها الرجوع إلى ماضيها وتجاربها فيه ، ومحاولة الاستفادة مما حواه ذلك

(١) الأعمال الكاملة ص : ٥٦٨-٥٦٩ .

(٢) دهقان : الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس ، العلج : الرجل الضخم من كفار العجم .

الماضي بين صفحاته؛ حتى تستند عليه في نهضتها المعاصرة باعتباره ركيزة أساسية ؛ ودعامة قوية ينبني عليه مجدها الآتي ، مع محاولة الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، والإفادة من حضارتها.

وأمتنا الإسلامية واحدة من تلك الأمم التي فقدت مكانتها وتخلفت عن الركب، بفعل الفرقة والشتات، وجهل معظم أبنائها بتراثهم العريق، وانبهارهم بالحضارة الغربية التي كانت ثمرة من ثمرات حضارتنا الإسلامية التي امتدت في عصور القوة إلى أصقاع أوروبا . وحتى تعود أمتنا لتسنم أم الأرض من جديد فإنه يتوجب عليها العودة إلى تراثها ومحاولة الاستفادة منه، مع أخذ مايفيدها من الحضارات الحديثة التي أسهم في وجودها ورقيها العلم الحديث بفروعه المختلفة.

ذلك لأن «إحياء هذا التراث ، وإيجاد الجسور بينه وبين الجيل الحاضر والأجيال التالية، يحقق معنى التواصل الإنساني في مسيرة الأمة، ويجعل من نهضتها بناء متماسكاً ، ومتناسقاً، ومتمازجاً، كل حلقة فيه تفضي لما يليها، وكل عطاء فيه ركيزة لما فوقه، ومثل هذا الترابط في بنية الأمة بأفقه التاريخي، يجعلها مستعصية على شتى محاولات الاختراق الهدام، ويمنحها حصانة ذاتية تحول بينها وبين أية عملية تسلل غريبة إلى كيانها، فتفسد تواصله، وتمزق روابطه»(١).

---

(١) الغارة على التراث الإسلامي ، تأليف جمال سلطان ، ط (١) رمضان ١٤١٠هـ ، أبريل ١٩٩٠م، ص: ١٠.

وقد أظهر شاعرنا - في شعره الذي اهتم فيه بإبراز هذا الجانب المشرق- مشاعر الاحترام والتقدير لحضارتنا الإسلامية وتراثها المنبثق عنها، وحرص على تبصير أبناء أمته بدور حضارتهم الإسلامية الرائد، وإبراز الفوارق بينها وبين الحضارات الغربية الحديثة، وتوجيههم إلى بعث تلك الحضارة وتراثها، والاستفادة من معطياتها، مع أخذ مايفيدهم من الحضارات الحديثة التي أسهم في رقيها العلم الحديث، بدلاً من تقليدها والانجراف في متاهاتها.

وأول ما اهتم شاعرنا بإبرازه في هذا الجانب دور الرسول - ﷺ - والرسالة الإسلامية في بناء تلك الحضارة، ومن ثم نشرها في الآفاق، والأسس القوية التي قامت عليها.

فعن دور الرسالة الإسلامية التي انبثقت أنوارها من جزيرة العرب في بناء تلك الحضارة، يقول شاعرنا [١]:

من الجزيرة مهد العنصر العربي
ومولد النور والإيمان والكتب
توهجت سور القرآن وانطلقت
أضواؤها في مدار الشمس والشهب

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥٢٥ - ٥٢٦.

تبني الحضارة في الآفاق سامقة
بالعلم والفن والأخلاق والأدب
وترفع القيم الشماء عالية
أعلامها من ذرى صنعا إلى حلب
وتطلق العقل من أسر القيود إلى
سر الوجود بلا خوف ولا رهب
بحثا وفحصا وتنقيبا وتجربة
عن الغوامض والأسرار والحجب[1]
حتى غدا الكون مفتوح الذراع لهم
بحراً وبراً وصخراً غير محتجب

ويبين دور الرسول - ﷺ - في نشر تعاليم تلك الرسالة التي حملت إلى جانب الدعوة إلى عبادة الله أهم الأسس التي تنبني عليها حضارات الأمم، ويأتي في مقدمتها المساواة والمحبة والرحمة والعدل، يقول السنوسي في ذلك[2]:

محمد رائد الدنيا وقائدها
إلى المحبة أجناسا وألوانا

---

(١) الحجب : واحدها حجاب وهو: الستر .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٣٩٤ .

شـريعـة كـشـعـاع الشـمس نيـرة
النـاس في ظلهـا كـالمشط أسنانا
فاءت إليها شعوب الأرض واعتصمت
بحـبلهـا وسـمت أمنا وإيمانا

وعندما لمس اهتمام أبناء أمته بالحضارةالغربية ، وابتهاجهم بما توصل إليه الغربيون ، حرص على توجيههم إلى الاستفادة من الجانب المشرق فيها بدلاً من الانجراف في متاهاتها ، وتقليدها في زندقتها وإلحادها ، يقول شاعرنا في ذلك مبدياً تذمره وحزنه [1] :

تفـرق الجـمع وانحلت شكيـمتـهم
وانهـار إيمانهم بالله فـانهـاروا
نقلد الغـرب إلحـادا وزندقـة
ومن تحلله نجني ونشـتـار [2]
ولا نقلده علمـا وتقنيـة
ولا انطلاقـا له نفع وأثمـار

(١) المصدر السابق ص : ٥٤٠ .

(٢) نشتار : نجني ، من شار العسل يشوره : اجتناه من خلاياه ومواضعه .

ثم يدعوهم إلى الالتفات إلى تراثهم، والانكباب عليه، ودراسته دراسة جادة مستفيضة، ومن ثم نشره والاستفادة من معطياته في نهضتهم المعاصرة، قائلا[1]:

لقد هيئت أسبابنا وتدعمت ... وسائل نشر بالمعارف تزدان

وإن نحن فتشنا الكنوز وإنها ... لعمر العلا والمجد در وعقيان[2]

ظفرنا بما لم يلحظ الدهر مثله ... ولا تحتويه في المتاحف حيطان

ويسترسل في دعوته لأبناء أمته وتوجيههم إلى الاهتمام ببعث تراثهم العريق والاستفادة منه[3]:

أفيضوا على الألباب من صحف العلى

روائع تهواها قلوب وأذهان

أفيضوا شآبيب العلوم زواخراً

لها القلب حقل والمشاعر وديان[4]

أفيضوا شعاع الفكر يجلو حنادسا

تخبط سار في دجاها وركبان[5]

---

(١) شعراء الجنوب ص : ٨٨-٨٩ .

(٢) در : واحده درة ، ، وهي : اللؤلؤة العظيمة ، والعقيان : الذهب .

(٣) الأعمال الكاملة ص : ٨٩ .

(٤) شآبيب : جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر وغيره .

(٥) حنادس : الحندس : الليل الشديد الظلمة .

فـمن هاهنا رنت على الأفق صـيـحـة

تنبـه غـاف من صـداها ووسنان

ومن هاهنا شـمس الهـداية أشـرقت

ومن هاهنا قـاد السـفـينة ربان

وتشاء الأقدار أن يزور شاعرنا العراق ممثلاً لبلاده في وفد أدبي، فجادت شاعريته بقصيدة استيقظ فيها حسه الحضاري، عندما انثالت عليه رؤى الحضارة التي شهدها ذلك القطر، كما تراءت له جياد المثنى، وسعد، والمقداد، ومنابر عدد من العلماء والأدباء والشعراء، ودنيا من الزهو والمتعة والخلود.

يقول السنوسي واصفاً أشواقه لرؤية (بغداد) التاريخ والحضارة، مستلهماً ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام والمسلمين والثقافة والأدب [١]:

حـملت ملء فـؤادي صـبـوة وهوى

إلى عـبـيـر الشـذى من ورد بغـداد

وجـئت أمـلأ عـيني من مـآثرها

ومن مـفـاخـر آبائي وأجـدادي

(١) الأعمال الكاملة ص : ٧٦٩-٧٧٠.

ومـــا بناه لهـــا المنصـــور من قـــيم

ومن مناقـــب أعـــمـــال وأمـــجـــاد

وأســـــتظل بأفـــيـــاء مـــعـطرة

تخــضل بالســـحـــر ملء الشط والنادي

ويوغل شـاعـرنا في مـاضي بغـداد المشـرق، مـسـتـدعـيـاً بعض شخصياتها، ملمحاً إلى براعتهم وجهودهم كل في مجاله وميدانه[1]:

عن المثنى عن البـــدر بن حـــارثة

عن ابن ياســر عن ســعــد ومــقـــداد

ويواصل استدعاءه للشخصيات المؤثرة في حياة بغداد قائلاً[2]:

عن النواسي عن الطائي عن نفـــر

من الفطاحل كـــانوا زينة الضـــاد

عن جعفر[3] عن أخيه الفضل[4] عن غـرر

أيامـــهم مـــحض أعـــراس وأعـــيـــاد

---

(١) المصدر السابق ص : ٧٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٧٦٨ - ٧٦٩ .

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، أبو الفضل (١٥٠ - ١٨٧ هـ = ٧٦٧-٨٠٣) وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم . ينظر معجم الأعلام، عبدالوهاب الجابي، ص : ١٧٠ .

(٤) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (١٤٧ - ١٩٣هـ = ٧٦٥-٨٠٨) وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع . ينظر معجم الأعلام، عبدالوهاب الجابي، ص : ٥٩٤ .

عن سـادة قـادة في كل مـجـتـمع
لـهـم صـدى بين أجـواد وزهـاد
ملء المحـاريب من تقـوى ومن ورع
ملء المنابر من شـعـر وإنشـاد
ملء المحـافل يهـتـز الندى بـهم
ملء الجـحـافل من صـيـد وقواد[1]
أيام تعـتـصـم الدنيـا بمعـتـصـم
وتهـتـدي بهـدى المهـدي والهـادي

ومن مظاهر إخلاص السنوسي لحضارة أمته واعتزازه بتراثها دفاعه عن لغتها أمام كل من حاول التقليل من شأنها، أو دعا إلى هجرها، وإشادته بثروتها، وقدرتها على احتواء المعارف الإنسانية التالد منها والطريف[2] :

لغة ضاهت اللغـات فـفاقتـ ـها حديثا وأعجزتها كتابا
بهرتها ترسلا خلب الألبـ ـاب منها وحيرتها اقتضابا
هي في مستوى البيان سماء جـاء فرقانها يشع شهابا
أشرقت حولها (الحياة) وظلت مطمح الفكر منظراً ولبابا

(١) المحافل : واحدها محفل: وهو مجتمع الناس، والجحافل : الجيوش الكثيرة.

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (٨) جمادي الثانية ، سنة ١٣٦٧هـ، ص: ٢٥٥.

خـضلت بالرواء لفظا ومـاسـت   في حـلاها كـواعـبـا أترابا[1]
وسـعت حكمـة الدهور فـصـولا   وزهــت (بالعلوم) بابا فـبـابا
حكمت في اللغـات دهراً وكـانت   ملتـقـى دافق (الفنون) شـبـابا
وغـدت منبـرا تـــرف عليـه   نبـرات العـلا وتسـمـو خطابا

٥ - الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد :

اجتـاحت الأمة العـربيـة والإسلاميـة في العصـر الحديث عـواصف عـاتية ، تمثلت في الحملات الاستعمارية الشرسة التي شنتها عليها معظم دول أوروبا ، ساعية إلى توسيع رقعتها ، والاستحواذ على الخيرات والنعم التي تكتنزها أراضيها ، إضافة إلى نشر مذاهبهم وفلسفاتهم الإلحادية الهدامة ، والترويج لها بين أبنائها في محاولة جادة لطمس معالم العقيدة الإسلامية ، واستئصالها من جذورها ، وإحلال فلسفاتهم ومذاهبهم محلها كبديل صالح للحياة المعاصرة ، كما سبق أن وضحنا .

ولم يكن الشعراء بمعزل عن تلك المعارك الدائرة في مختلف أقطار الأمة العربية والإسلامية ، فقد أدركوا غايات المستعمرين ، وأحسوا بجهامة الخطر المحدق بأمتهم ؛ فشرعوا يبصرون أبناءها بذلك الخطر ، حاملين لواء الجهاد بالكلمة ، منددين بالاستعمار ، مصورين فظائعه ،

(١) كواعبا : الكاعب : الجارية التي نهد ثديها ، وأتراباً : الترب : اللدة والسن ، يقال : هذه ترب هذه أي : لدتها .

مشعلين الثورة في حنايا أبناء أمتهم ضد المستعمرين، ناشدين الحرية لإخوانهم المتضررين من ويلاتهم.

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين أدركوا الخطر وحجمه، فشرع - منذ البدايات - يدعو أبناء أمته إلى الجهاد ؛ دفاعاً عن أراضيهم، وعقيدتهم، وحرماتهم.

وقد سلك شاعرنا في دعوته للجهاد مسالك شتى : فتارة يعرض لنا صوراً دامية تحمل لنا - بصدق - ما يعانيه بعض أبناء أمتنا على أيدي المستعمرين ؛ وذلك لإشعال نار الثورة في حنايا أبناء أمته القاعدين عن خوض غمار الحرب، ودفعهم إلى مشاركة إخوانهم في جهادهم لأعدائهم.

وتارة يتوجه إليهم باللوم والتقريع على تقاعسهم عن الجهاد، مطالباً إياهم بالتخلي عن آمالهم في بلوغ مايطمحون إليه عبر الطرق السلمية، مؤكداً لهم أنه لاخلاص لهم إلا عن طريق الجهاد .

ثم نراه في بعض شعره يدعوهم إلى الجهاد، ويحثهم عليه في صورة مباشرة، مؤكداً لهم أن العصر ومنطقه يفرض عليهم ذلك .

وعندما ينتفض بعض أبناء أمته الواقعين تحت نير الاستعمار معلنين الجهاد، حاملين السلاح والإرادة، مزودين بإيمانهم بالله، واثقين من نصره لهم، طالبين من أراضيهم أن تقبل منهم أغلى مايملكون : أرواحهم

ودماءهم، وبقايا أجسادهم المتناثرة؛ كي تغسل تلك الأدناس العالقة بها - نجده يشد على أيديهم، رافعاً من روحهم المعنوية، محفزاً إياهم على المضي قدماً في طريق الجهاد المقدس، ثم محتفلاً ببعض الانتصارات التي حققوها في مختلف الأقطار الإسلامية.

يقول السنوسي واصفا ما يعانيه بعض أبناء أمته على أيدي المستعمرين[1]:

هناك فوق ذرى (الأوراس) معركة
وقودها عزة الإسلام والشمم
والنار تلتهم الأرواح كاسحة
والأرض تقذف بالأشلاء والرمم[2]
والمسلمون الغيارى يبذلون دما
حرا يحررهم من ربقة الغشم[3]
شبابهم وصباياهم وصبيتهم
في الريف والسيف والآكام والقمم[4]

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٢٨٠-٢٨١.

(٢) الرمم: العظام البالية.

(٣) ربقة الغشم: أي قبضة الظلمة الغاصبين.

(٤) السيف: ساحل البحر.

يستقبلون المنايا في مثابرة
ذودا عن الدين والأعراض والحرم
والثكل واليتم والبأساء قائمة
في كل بيت على السكان منهدم
عارين إلا من الإيمان يشعلهم
حمية في صراع الظلم والظلم

ويلتفت إلى أمته - بعد عرضه لتلك المشاهد الدامية - متسائلاً عن موقفها وأبنائها إزاء مايحدث على بعض أراضيها (١) :

كيف أصبحت وماذا تصنعين وإلى أي مكان تنظرين ؟!
قد تساوى الشرق والغرب معاً ما الذي نرجو من المستعمرين ؟!

ويشتعل السؤال في عالم الشاعر ، مستنكراً صمت أمته عما يحدث على بعض أراضيها من قبل المستعمرين (٢) :

أمتي قد (بلغ السيل الزبى)(٣) وبغى حتى على المستضعفين
أفما آن لنا يا أمتي أن نرد الصاع للمستهترين ؟

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٦١) في ٢٩/ ١٢/ ١٤٠٢هـ.

(٢) المصدر نفسه، في ٢٩/ ١٢/ ١٤٠٢هـ.

(٣) بلغ السيل الزبى : مثل عربي يضرب لمن جاوز الحد، انظر ذلك في مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج(١) ط(٢) ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، مطبعة السعادة بمصر، ص: ٩١.

وحتى لا تفقد أمته كل أراضيها - وهي منتظرة تدخل هيئة الأمم ومجلس الأمن - نجده يدعو إلى الجهاد ، ويحث أبناء أمته عليه ، موضحاً لهم حقيقة العصر الذي يعيشونه [(١)] :

إنه المنطــق الأصـــيل لعصر ... مستريب يجفو الهدى والرشادا

لم يعد فيه للضعيف مكان ... بعدما أصبح الفضاء مهادا

فإليه إلى الجهاد فقد أضـ ... ـحى قريباً ما كان ينأى بعادا

فإليه إلى الجهاد فلا والـلـ ... ـله يمحو الظلام إلا الجهادا

ويواصل دعوته إلى الجهاد ، حاثاً أبناء أمته على التضحية بأرواحهم ، فداء لأوطانهم ، وحفاظاً على حرماتهم وأعراضهم من دنس المستعمر ورجسه .

نقف على ذلك في قوله [(٢)] :

يا أخي يا أخا العروبة والإسـ ... ـلام قم ننفض الأسى والحدادا

قم بنا نكتب البطولة بالـدمِّ ... زكياً فقد سئمنا المدادا

ثم نراه يوجه أبناء أمته إلى جهاد أعدائهم ؛ ليجددوا عزة الإسلام ، مسترشدين في جهادهم بهدى القرآن الكريم [(٣)] :

---

(١) الأعمال الكاملة ص : ٤٩٣ .

(٢) المصدر السابق ص : ٤٩٠ .

(٣) المصدر السابق ص : ١١١ .

هزوا الجـــزيرة من أركـــانهـــا حـــردا

وأشـــعلوا الشـــرق من أقطاره غـــضـــبـــا

ذودا عـــن الحـــق إيمـــانـــا بـقــــــــوتــه

من غـــالـــب الحق عـــدوانا به غـلـبـــا

واســـتـــرشـــدوا بهـــدى القـــرآن تنجـــدكم

عـــزائم صـــرع البـــاغي بهـــا وكـــبـــا

وجـــــدوا عـــــزة الإســـــلام إن لـه

في جـــيـــد كل عظيم منة وحـــبـــا[1]

إن الحـــيـــاة جـــهـــاد والجـــدير بهـــا

من غـــالـب العـــاصـــفـــات الهـــوج والنوبا

وعندما تثور بعض أراضي أمته على مغتصبيها ، يبارك شاعرنا تلك الثورة، ويحتفل بما تمخض عنها من انتصارات .

من ذلك قوله واصفاً ثورة أبناء الجزائر على أعدائهم [2] :

تفـــجـــر واديهـــا وفـــاضت جـــبـــالـهـــا

ودمــــــدم بـالموت الزؤام ســـــحـــــاب

(١) حبا : الحِب : القرط من حبة واحدة .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ١٨٨-١٨٩ .

وصـــاغت من (النيـر) الفـرنسي صـارمـا
عنت منـــه (لـلمسـتـعـمـرين) رقـاب[1]

ويواصل وصفه لتلك الثورة محتفلا بما أسفر عنها من نصر مؤزر لأبناء الجزائر على أعدائهم [2]:

تـصـــــدعـت الأســـــوار وانـدك حاجز
ومـــزق من ذاك الســـتـــار حـــجـــاب
مــشـــينا على الألغـــام والشـــوك واللظى
وقـــدمـــا ســـرينا والســـيـــوف ركـــاب
وهـبـت عـلـى أرواحـنـا ونـفـــــــوسـنـا
نســـائم من فـــجـــر الخــــلاص رطاب
ويـشـت لـنـا الـدنـيــــا نـدى وتـهـلـلـت
وضـــاقت بأقـــدام اللصـــوص رحـــاب

٦ - الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية :

الوحدة العربية والإسلامية حلم استوطن أعماق الشعراء المسلمين، وأمل طالما تطلعت إليه أبصارهم ، وهم يرون أمجادهم التي شادها آباؤهم

(١) عنت : ذلّت وخضعت والنير : الخشبة التي تكون على عنق الثور بأداتها.

(٢) الأعمال الكاملة ص : ١٩٤-١٩٥ .

وأجدادهم تتهاوى على مرأى منهم ومسمع ، بينما يغطُّ أحفاد أولئك الأبطال في سبات عميق ، متمادين في إشعال نار الفرقة بانقساماتهم ، حتى أضحوا بدداً بعد طول اجتماع ، وأمست بلدانهم نهباً لكل من هب ودب ، وقد كانوا أولي عزة ومنعة .

ومما ساعد على تعميق ذلك الإحساس في عالم الشعراء الوجداني ، وحفزهم على الإلحاح في دعوتهم لتلك الوحدة - هبوب العواصف المدمرة التي اجتاحت الكثير من الأمصار الإسلامية ، والمتمثلة في الحملات الاستعمارية الشرسة من قبل الغرب على العالم الإسلامي .

ولو نظرنا إلى الشعر العربي الذي احتفل بهذه الدعوة ، نجد الشعراء فيه قد انقسموا إلى قسمين : منهم « من يريدها جامعة العروبة الشاملة لكل من ينطق بلسان عربي دون نظر إلى دين أو طائفة أو مذهب ، وإنما تكون هذه الجامعة من مجموعة الأمم التي تضمها وحدة اللسان والجنس والعادات والتقاليد ، وهي بهذا المعنى أعم من الجامعة الإسلامية التي تضم كل من شهد أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فيدخل في الجامعة العربية المسلمون والنصارى دون نظر إلى تعدد النحل ، وتشعب المذاهب ، واختلاف الطوائف ، وهي أخص من الجامعة الإسلامية من ناحية أخرى ؛ لأنها تنفي غير قليل من الأمم التي تدين بالإسلام وليست عربية الأصل واللسان ، كإيران وأفغانستان والهند وكردستان وتركية وباكستان ومعتنقي

الإسلام عامة في أوروبا وفي غيرها . . . »[1] .

وواضح من خلال هذا التقسيم خطر ما يصبو إليه شعراء القسم الأول وخطؤه، فهم ينظرون إلى اللغة وحدها كأساس تقوم عليه تلك الوحدة، دون اعتبار للدين الذي هو أساس الوحدة المرجوة . وتلك الدعوة إلى عدم اعتبار الدين في مفهوم الوحدة دعوة جاهلية ، عمل على غرسها في نفوس الداعين إليها أعداء ديننا الإسلامي الحنيف، والكارهون لوحدة أمتنا الإسلامية المرجوة ، وذلك « لأنها تقوم على الرابطة اللغوية فتخرج المسلمين من غير العرب وتدخل غير المسلمين من العرب، وفي هذا توجيه مباشر للبحث عن انتماء مضاد يحول المسلمين إلى طوائف متناحرة»[2] .

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين رأوا ضرورة الوحدة، ولن أجانب الصواب إذا ما قلت : إنها كانت همه الأكبر ؛ لإحساسه بالخطر المحدق بأمته الإسلامية، ولإدراكه المبني على نظرة ثاقبة أنه لا أمل يرجى للمسلمين في استعادة أمجادهم إلا عن طريقها .

وهو في دعوته إلى تلك الوحدة نراه أكثر إلحاحاً على الوحدة العربية

(١) معروف الرصافي ، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسيةوالاجتماعية، د. بدوي طبانة، ط(٢) ص: ١٤٤ .

(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص: ٢٧٥-٢٧٦ .

لا على أساس قومي؛ بل لإحساسه العميق بأن تحقق تلك الوحدة في العالم العربي أولاً سيؤدي - حتماً - إلى الوحدة الإسلامية المنشودة؛ لأنها - في نظره - الأساس الذي سينبني عليه صرح الأمة.

وهذا الإحساس المتنامي في عالم شاعرنا الوجداني لم يأت من فراغ، وإنما ولّدته وساعدت على تضخمه عدة أمور يضطلع بها عالمه العربي المترامي الأطراف، فهو قلب العالم الإسلامي النابض، وإليه يتجه روحياً ودينياً، وإليه ينظر كمهد للإسلام، ومشرق لنوره، ومعقل للإنسانية، وموضع للقيادة العالمية[١].

والذي ساعدنا على التأكيد بأن دعوته إلى الوحدة العربية لاتمت إلى القومية بصلة؛ موقف بلاده العدائي من تلك الدعوة التي تنادي بالوحدة العربية لا على أساس ديني، فقد عملت - منذ البدايات - «على صب الإسلام في العروبة، ورفضت أن تبحث الأمور بنظرة عربية مستقلة[٢]»، ورأى حكامها «أن الدعوة إلى العربية فرع من الدعوة الإسلامية، وأن الاقتصار على فكرة (العروبة) عصبية جاهلية نهى الشرع عنها[٣]».

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبوالحسن الندوي، ط(٩) عام ١٣٩٧هـ-١٩٧٣م، ص: ٢٩٧-٢٩٨ «بتصرف».

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، ط(٥) عام ١٩٨٦م، ص: ٣٣٠.

(٣) المرجع السابق ص: ٣٣١.

ولعل المتأمل في شعر السنوسي الذي دعا فيه أبناء أمته إلى ضرورة الوحدة، يقف على ماسبق أن أكدناه.

فهو في دعوته إلى الوحدة العربية لم يغفل الوحدة الإسلامية، فهما عنده متلازمتان، وخير مايؤكد ذلك قوله (١):

وما العروبة والإسلام إن نظرت
عيناك إلا سنا وجه لدينار

وعندما يتوجه إلى أبناء أمته العربية حاثاً إياهم على الوحدة، لا ينظر إلى اللغة وحدها كرابط وأساس لتلك الوحدة، وإنما يدخل معها الدين باعتباره الموحد لشملها.

نقف على ذلك في قوله (٢):

يا أيها العرب الكرام تكتلوا ... صفا بوجه الحادثات متينا
جمعتكم الفصحى ووحد شملكم ... دين أضاء العالمين قرونا
فتأهبوا للحادثات ويدووا ... ريبا تحوم إزاءكم وظنونا
وخذوا الطريق على البغاة وحاذروا ... أذنا وراء حديثكم وعيونا

وقد انتهج شاعرنا في دعوته للوحدة عدة وسائل، فتارة ييمم وجهه شطر تاريخنا الإسلامي المليء بالتضحيات والبطولات، فينقل لناصوراً

(١) الأعمال الكاملة: ص: ٣١٢.

(٢) شعراء الجنوب ص: ١٠٥.

حية نابضة ، تحكي لنا بصدق أمجاد وبطولات أمتنا الإسلامية التي تحققت على أيدي أبطال الإسلام الأفذاذ، الذين اعتصموا بحبل الله ولم يتفرقوا، فتمكنوا بسبب ذلك من دك أسوار الظلم والطغيان الذي كان متفشياً في المعمورة قبل نزول خاتمة الرسالات حاثاً - عن طريق عرضه لتلك الصور الزاهية - أحفاد أولئك الأبطال على اقتفاء آثارهم، والسير على منوالهم؛ لما في ذلك من خير للإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم.

وتارة يعمد إلى الحاضر الأليم، فيعلن حزنه وألمه وشكواه من الحالة التي آلت إليها أمتنا الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها .

ثم نراه يدعوإليها في صورة مباشرة ، ويرسم صورة مستقبلية لحال أمته في ظل وحدتها .

ومن شواهد دعوته الضمنية للوحدة العربية والإسلامية ، قوله مشيداً بوحدة المسلمين ، وبالانتصارات التي تحققت في ظلها مع قلة عددهم وعدتهم آنذاك(١) :

إخــوان صــدق لغيــر الله مــاســجــدوا
ولا اســـتكانـوا ولا مـــدوا يدا ليـــد

مـــهـــاجــــرون وأنصـــار يقـــودهم
(مــحــمــد) للعلى والمجــد في صــعــد

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥١٩-٥٢٠ .

فيالق في سبيل الله خافقة
أعلامها الغر في سهل وفي نجد
تدعو إلى الحق في سر وفي علن
في قوة تتحدى كل ذي صيد
حتى أضاء الهدى في الأرض وانطلقت
شعوبها من هوى طاغ ومضطهد
وزلزلوا عرش (كسرى) في ضخامته الـ
ـكبرى بإيمانهم لا كثرة العدد

فشاعرنا في هذه الأبيات ، يقدم لنا صورة زاهية ، من صور ماضي أمته في ظل الوحدة التي كانت تعيشها ، واعتصام أبنائها بتعاليم دينهم الحنيف وتمسكهم به ، غير آبهين بقلة عددهم ، منازلين أعتى قوى الأرض في سبيل نشر تعاليم الرسالة الإسلامية الخالدة .

ولعل السنوسي - عن طريق هذا الاستلهام لماضي أمته - يرغب في تبصير أمته وأبنائها بما يتوجب عليهم عمله حتى تتم لهم تلك الوحدة ، وتحقيق مايطمحون إليه في ظلها ؛ ولهذا نراه يوجه أمته إلى محاسبة نفسها ، والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي ، حتى يكون أساس وحدتها المنشودة متيناً وقوياً .

نلمس ذلك في قوله مخاطباً أمته [1] :

حاسبي النفس وعودي للهدى واحسمي شأنك بالجد الرصين

وخذي أمرك جدا خالصا واقطعي الشك بآيات اليقين

ضحكات الأمس عادت أدمعا والأهازيج بكاء وأنين

سنة الأيام صحو وكرى فلماذا نحن دوما نائمين ؟

وعندما يلتفت إلى حاضر أمته ، ويقف على حالها فيه ، يعزو ذلك إلى تفرق أبنائها، واستملاحهم لحياة الذل والهوان في قوله [2] :

بردت في دمائهم نخوة العز وماتت تلك السجايا الحرائر

فهم القوم عدة وعديدا لو تصافت قلوبهم والسرائر

ويؤكد دور الفرقة والشتات في ذهاب قوة أمته وأمجادها بقوله [3] :

يا لقومي من طغمة حاريتنا بانقساماتنا أذى وكيادا

ولأهلي من نكسة في حزيران أناطت بعارضينا السوادا

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٦١) في ٢٩/ ١٢/ ١٤٠٢هـ.

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٤٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص : ٤٨٩ .

ثم يدعو إلى الوحدة في صورة مباشرة ، ويحذر من تمادي الفرقة ، مبيناً مايترتب عليها من عواقب وخيمة في قوله [1] :

والبأس أقتل داء دب في أمم
تعاورتها الليالي فانثنت نصبا

فاستشعروا العزم وامضوا رافعين به
لواءكم في مجال البأس منتصبا

فإن من أحكم الأقوال تجربة
(أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا)[2]

وإن أبلغ ما تمنى به فئة
وقوفها ضد طغيان العدا شعبا

ويؤكد علو المسلمين في ظل اتحادهم واعتصامهم بحبل الله بقوله[3] :

ولم تزل عروة الإسلام جامعة
(كالجاذبية) للأرواح تعتلق

---

(١) المصدر السابق ص : ١١٢ .

(٢) تضمين لصدر بيت للشاعر أحمد شوقي ، انظر الشوقيات ، ١/ ٧٦ ، دار الفكر ، والبيت بكامله :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا   وفاز بالحق من لم يأله طلبا

(٣) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، ص : ١٢٠ .

والمسلمـون هم الأعلون مـا اعـتـصـمـوا
بالله واتحـــدوا في الرأي واتفـــقـــوا

ويرسم صورة مستقبلية لأمته ، في ظل وحدتها المنشودة ، واعتصام أبنائها بحبل الله جميعا في قوله :

وإذا المسلمـون هبـوا جـمـيـعـا ... مـــن قـصي من البـلاد ودان
وغــدوا غـدوة الغـيـورين للحـــق ... وحــفـوا بـــراية القـرآن
أقـبل النصـر مشـرقا وعليهـــم ... من رضى الله بسـمة الرضـوان[1]

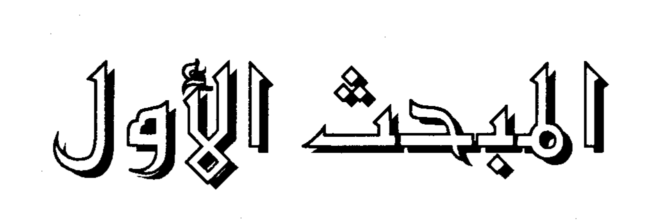
(١) الأعمال الكاملة ص : ٥٧٠ .





معاني الشعر الإسلامي





المعاني والأفكار

المعاني والأفكار

المعاني والأفكار هي روح الأدب ومادته الأولى ، وأي أدب يخلو من هـذا العنصر المهم ، فهو كلام ساقط لا يعتد به ، ولا ينظر إليه ، مهما بالغ الأديب في تزويقه وبهرجته .

ويبلغ العمل الأدبي - شعراً كان أو نثراً - الذروة ؛ إن وفق مبدعه في المواءمة بين معانيه السامية وألفاظه ، مع مزجه بين تلك الأفكار وعاطفته ؛ لأن ذلك المزج من شأنه أن يكتب لأدب ذلك الأديب الحياة والخلود في ضمائر الناس ووجداناتهم .

ولو عدنا بعد هذه الإلمامة - التي أكدنا فيها أهمية المعاني والأفكار في العمل الأدبي - إلى المعاني والأفكار التي دار حولها أغلب شعر شاعرنا الإسلامي ، لوجدناها معاني سامية ، تستمد ذلك السمو من الموضوعات التي دارت حولها ، ومن الينابيع الثرة التي استقى شاعرنا منها معظم معانيه .

ويأتي في مقدمة تلك المعاني التأكيد على أهمية العقيدة الإسلامية ، وبيان أثرها في الحياة والأحياء ، والدفاع عنها أمام كل من حاول النيل منها ، ومحاولة بعث معالمها في نفوس معتنقيها ، وإحيائها في نفوسهم من جديد .

كما اهتم بتبرئة الإسلام من الدعاوي التي يرددها خصومه ، والإشادة به وبقيمه ومثله العليا التي أرسى دعائمها في الأرض ، وبالدعوة الجادة إلى اعتناقه ؛ لأنه دين الحق ، والعدل ، والمساواة ، والنظام الشامل الصالح لكل زمان ومكان .

واهتم - أيضاً - بدعوة المسلمين إلى الوحدة ، وحثهم على الجهاد ؛ أملاً في استعادة أمته الإسلامية لمكانتها السابقة ، التي كانت عليها في عهد رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام، وقادة الإسلام المخلصين .

كما اهتم بتدعيم السلوك الإسلامي ، من خلال وقفته مع بعض الأدواء المتناثرة على سطح الحياة في مجتمعه، ودعوته إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الحميدة ، ونبذ ما يتنافى معها . وحث على طلب العلم ، وبين أثره في حضارة البشرية وتقدمها ، لأنه من نعم الله الكثيرة على عباده إن أحسن استغلاله وتوجيهه إلى خير وسعادة الإنسانية جمعاء .

وهناك قضايا عصرية وقف عندها السنوسي طويلاً ، وأهمها قضية السلام، فقد تحدث عنه في صدق وبراعة ؛ لكونه مطلباً ضرورياً في حياة غصت بألوان الدمار ، والتشرد والضياع ، تهفوإليه نفوس الناس في كل مكان ، وتتحراه أحداقهم العطشى .

ومن شواهد ذلك قوله [١] :

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٧٩) في ٢٠/ ١/ ١٤٠٣هـ .

رب يا رب إن شعب فلسطيـ ـن سجين ولاجئ وشريد
وهو يرنو إلى السلام بعين قرحتها الوعود والترديد
عطش الناس للسلام ومازا لوا عطاشا فهل إليه ورود
آه لو يخفق السلام على الأر ض وتلغى من جانبيها الحدود

وأهم مايميز معاني وأفكار السنوسي في شعره الإسلامي - بالإضافة إلى سموها وجلالها - وضوحها ، وامتزاجها بأحاسيسه ومشاعره . وخير مايؤكد ذلك قوله مشيداً بالدين الإسلامي ، والقيم والمبادئ التي أرسى دعائمها في الأرض، معرضا بالمذاهب والفلسفات الغربية والمروجين لها [1]:

إن دين الإسلام دين المساوا ة ودين السلام وهو الودود
ليس في شرعه التعصب للجنـ ـس ولا اللون وهوشرع فريد
يلتقي الناس فيه شرقا وغربا سادة في ظلاله وعبيد
في تعاليمه هدى النفس تسمو بسناه نوازعا وتسود

وهو كذلك دليل على رحمة الله بعباده ، لا كما يراه الماركسيون بأنه أفيون الشعوب[2]:

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٧٩) في ٢٠/١/١٤٠٣هـ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠٦ .

فــــالدين ظل الله في ملكوتـــه والله بالإنســـــان جـــد رؤوف
من قــال إن الدين أفيــون الــورى فــهــو الشــقي بعــقله المخطوف

ويؤكد أهمية الدين في الحياة ، ويبين حاجة الإنسانية له ، بقوله[1] :

هو الزمـــام ومـــا الإنســـان ليس له
دين ســـوى حـــيـــوان ســـائب ســـرب
وســوف يبــقى هدى الإســلام منتــصــراً
على الطواغـــيت والإلحـــاد والـريب
وكل إفـك وبـهــــتـــــان يـراد به
مــحــو الحــقــيــقــة لا ينجــو من العطب

فالأفكار والمعاني التي حملتها لنا الأبيات السابقة جليلة وسامية ، وهي بالإضافة إلى ذلك واضحة وجلية ، وفي ذلك دليل على أن تلك الأفكار قد أخذت منه كيانه كشاعر يحس ويتفاعل ، فهي قد ملأت عليه وجدانه وخلجاته ، فأتى عليها من جميع أطرافها بعد أن حدد دائرتها ، وخاص في أعماقها .

ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا : إن جميع المعاني التي دار حولها شعر شاعرنا الإسلامي - معاني مطروقة ، حيث سبق للشعراء تناولها ،

(١) المصدر نفسه : ص ٥٣١ .

سواء الذين عاصروا الشاعـر ، أو الذين سبقوه بمـراحل زمنية ، قريبة كانت أو بعيدة ، وإنما يتفاوت الشعراء في الإحساس بتلك المعاني، والتفاعل معها ، كما يتفاوتون في كيفية أدائها ، وفي طرقهم في التعبير عنها .

وذلك التفاوت بين الشعراء هو الذي يدفعنا إلى الإعجاب والتفاعل مع شاعـر دون الآخر ، وهذا ماستفصح عنه دراستي لأسلوب الشاعر ، ومظاهر صدقه الفني والشعوري فيها .

ونحن إن أمعنا النظر في المعاني التي دار حولها شعرشاعرنا - لوقفنا على تأثره العميق - في أغلبها - بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والسيرة النبوية ، وتاريخنا الإسلامي الخالد .

وسنحاول في الصفحات التالية الوقوف على أهم تلك المعاني ، والمصادر التي استمدها واستوحاها منها .

أولاً : استيحاء بعض معاني القرآن الكريم :

استمد السنوسي كثيراً من معانيه التي حرص على توصيلها للمتلقي المعاصر من القرآن الكريم ، والقرآن الكريم كما لايخفى معين لا ينضب للمعاني الجليلة السامية .

ونحن إن أمعنا النظر في تلك المعاني القرآنية التي ضمنها في شعره - نجدها كثيرة ومتشعبة ، وحتى يتسنى لنا الإلمام ببعضها رأينا تناولها في أطر ونقاط محددة ، تبلغنا الغاية ، وتفي بالغرض .

أولا : الاستمداد من القرآن الكريم في تأمل آلاء الله في الكون :

وقف السنوسي وقفات أمام بعض المظاهر الكونية لاسيما الطبيعة، فشدهه جمالها، وفتنه حسن تنسيقها، وامتزج ذلك الجمال الموحي بعظمة وابداع صانعه بوجدانه المفطور على عشق الجمال، فوصف تلك المشاهد فأجاد وأبدع. وقد قاده ذلك الجمال الآسر - في نهاية المطاف - إلى مبدعه وخالقه.

نلمس ذلك في وقفته أمام جبل فيفاء وقد زاحم النيرات بمنكبه الضخم، وازدحمت أرجاؤه بكل ألوان الجمال، حيث يقول[1]:

متحف من أشعة وظلال ... في إطار من نضرة واخضلال

سابح في الفضاء يغمره النو ... ر بفيض من السنا والجلال

يتحدى الذرى ويخترق السحـ ... ـب ويزهو في عزة واختيال

صنعة المبدع المصور جل الـ ... ـله ربي رب العلا والكمال

وفي وصفه للأرض وقد كساها الربيع من حلله القشيبة؛ فأضحت بذلك مصدر سعادة وأنس دائمين لبني البشر :

والأرض في حلل الربيع وروضة ... تلقاك شاعرة تهز الأبكما

فتانة القسمات تحسب أنها ... نقلت من الفردوس رسما محكما

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٠ .

تلقـاك في نفـحـاتهـا ونبـاتهـا فنـــا إلهي الخطوط منظمـا[1]

وفي انبهاره بجمال مدينة فيفاء، حيث يقول [2]:

إنـه فـــوق بيـــاني جـــل مـــن أبـــدع فنـه

كل شـــيء فـــيك حلـــو أنت يا فـــيـــفـــاء جنه

هذه النماذج - التي امتزج فيها جمال الطبيعة بوجدان الشاعر - تشهد بوحدانية وعظمة خالقها، وقد صدقت ذلك الايات القرآنية التي استهدى بها الشاعر في نظرته إلى ذلك الجمال، ومن تلك الآيات، قولـه تعالى: ﴿ **هـو الله الخـالق البارئ المصور له الأسمـاء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾[4].

وهنـاك شـواهد شـعرية تؤكـد اسـتمـداده من القرآن الكريم مايوحى بعظمة الخالق - جل شأنه - من خلال آياته المبثوثة في الكون ومنها قوله [5]:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٠٦ - ٦٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٥) الأعمال الكاملة: ص ٥٤٨-٥٤٩.

جل من سخر الرياح فسارت تتهادى رخية بالسفائن

وأفاض الحيا فأحيا مواتا وأهال الربى فسالت معادن

كلما في السماء والأرض مبسو ط لمن يتقي ويخشى الملاعن

فهذه الأبيات الموحية بعظمة الخالق مستمدة من آيات القرآن الكريم الكثيرة التي أكدت كل ذلك في مواضع متعددة، منها قوله تعالى ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾[1].

ثانياً : استمداده من القرآن الكريم مايؤكد قضاء الله وقدره :

الإيمان بقضاء الله وقدره واحد من الأسس التي تقوم عليها عقيدتنا الإسلامية، والآيات التي تدعو إليه كثيرة، وهي بالإضافة إلى كثرتها متنوعة؛ لأنها تخدم موضوعات عدة تهم الإنسان في دنياه، وتوصله إلى رضا الله في آخرته.

وقد استمد السنوسي في دعوته إلى الإيمان بقضاء الله وقدره شيئا من آي الذكر الحكيم، خاصة في مجال الرزق الذي يعد من أهم الأسباب في

(١) سورة البقرة، الآية : ١٦٤ .

نشوء بعض الفلسفات والمذاهب الإلحادية في عالمنا المعاصر، نلمس ذلك في قوله [1]:

يا همـوم الحيـاة إن فـؤادي ... لا يبـاليك فـاقـصـري أو تمادي

إنني في سكينة من هدى الديـ ... ـن ونور اليـقين ذخـري وزادي

كـتب الله لي حـيـاتي ورزقي ... فـتنحي يا فلسـفـات العـبـاد

وفي قوله [2]:

وثق أن من أعطى الحياة جمالها ... وأقواتها لم يهمل الدود والنملا

فهذه الشواهد تدور حول إيمان الشاعر بقضاء الله وقدره، خاصة في مجال الرزق، وعلنا لانجاوز الصواب إن قلنا: إن تلك الشواهد بما حملته من معاني مستمدة من قول الله تعالى: ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ [3] وقوله تعالي: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ [4].

(١) الأعمال الكاملة: ص ٧٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦٠.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٤) سورة هود، الآية ٦.

ثالثاً : استمداده من القرآن الكريم مايؤكد اليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر من أهم أسس العقيدة الإسلامية ، وخير مايدل على ذلك أن الله – سبحانه وتعالى – قد قرنه بالإيمان به في قوله تعالى : **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر . . . ﴾**[1] .

والقرآن الكريم يكثر من ذكره ، ويسميه أسماء متعددة ، فهو يوم القيامة ، والبعث ، والساعة ، ويوم الدين ، والحساب ؛ والجمع ، والطامة . . . الخ .

ومن الشواهد الشعرية التي بدا فيها أثر القرآن واضحاً فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر قوله [2] :

أخي إنما الإسلام بر ورحمة　　　وعطف له في راحتيك عبير

ودنياك جسر في الطريق إلى الهدى　　　ففكر إلى ماذا غدا ستصير

فقدم إلى أخراك ماشئت إنه　　　لظى جاحم أو نضرة وسرور

وقوله [3] :

وأنت ملاق كل شيء عملته　　　جزاء وفاقا والحساب عسير

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٥٤١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٤٢ .

فالمعاني التي تدور حولها هذه الأبيات مستمدة من قول الحق - جل شأنه - : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ (١)، ومن قوله تعالى : ﴿ **وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين** ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ **وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزآء الأوفى** ﴾ (٣).

ومما يتصل بإيمان الشاعر باليوم الآخر إيمانه بحتمية الموت وحقيقته ، نلمس ذلك في قوله :

كلنا رائح على الموت غـادي	**وعـيـون القـضـاء بالمرصـاد**
ومـجـاز هي الحـيـاة فـسـيـا	**ن مـخب أو سـائر في اتئـاد**
سـائق الركب غير ناء عن الركـ	**ـب ولا حـائد عن الركب حـادي**
سنة لم تدع لقلب مريـض	**شـبـهـا في حـقـيـقـة الميـعـاد(٤)**

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣ .

(٣) سورة النجم، الآية : ٣٩-٤١ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

وقوله أيضا [١] :

إلى الله إنا راجعون وكلنا   سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع

فالمعاني التي تحتويها هذه الأبيات مستمدة من قوله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[٢] ومن قوله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾[٣] .

رابعاً : استمداده لبعض قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، والإشارة لبعض معجزاتهم والأحداث التي رافقتهم .

ومن ذلك إشارته لقصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه ، حين ألقوه في النار ؛ لتكسيره أصنامهم، وخروجه منها سليماً، في قوله [٤] :

فالنار إبراهيم لم   يعبأ بها ونجا سليما

خاض اللظى لم يرتعد   فرقا ولم يرهب خصوما

كانت على إيمانه   برداً وكان بها كريما

(١) الأعمال الكاملة : ص ٦٠١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٥٧ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٤٩٨ .

فالسنوسي يستمد هذه القصة بأحداثها من قوله تعالى : ﴿ **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يانار كوني برداً وسلاما على إبراهيم** ﴾[1].

ومن ذلك إشارته لقصة موسى - عليه السلام - مع أهله ، بعد أن أبصر ناراً فطلب من أهله المكوث حتى يتسنى له المجيء منها بقبس ، ليفاجأ بالنور الإلهي . نلمس ذلك في قوله[2] :

نور على البطحاء لماح الذرى يهدي القرون ضياؤه والأعصرا

آنست فيه سنا من القبس الذي موسى تشوفه هدى وتنورا

فهذه الإشارة لتلك القصة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما آتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى** ﴾[3].

ويشير إلى قصة الرسول - ﷺ - مع قومه ، وخروجه من مكة واختبائه ورفيقه الصديق - رضى الله عليه - في الغار بقوله[4] :

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٥ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٩ - ١٢ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

نجمان في كنف الرحمن مالهما سواه في الغار لا حام ولا جار

أبصرت أشباح أقدام وهمهمة وألسنا تتناجى تلك آثار[1]

ففر قلبك من جنبيك محتضنا بدرا تغذيه أفلاك وأقمار

خوفا عليه وحرصا أن يحيط به من عصبة الشر أوغاد وأشرار

يا صاحبي لا تخف الله يحرسنا بلطفه وللطف الله أسرار

فالإشارة التي تحتويها هذه الأبيات مستمدة من قول الله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** ﴾[2] .

ويشير إلى إحدى معجزات سيدنا عيسى - عليه السلام - في قوله مخاطبا طبيب العيون [3] :

فلتكن في يديك أسرار عيسى وهداه ومعجزات الأمين

ففي هذا البيت إشارة إلى إحدى معجزات عيسى - عليه السلام - ،

---

(١) همهمة : الهمهمة : الكلام الخفي ، وقيل : ترديد الصوت في الصدر .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٧٢١ .

وهي إبراء الأكمه ، وقد أكدها القرآن في قوله تعالى : ﴿ **أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص . . .** ﴾ (١) .

خامساً : استمداده لبعض الآيات الحاثة والمرغبة في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله :

وشواهد هذا الاستمداد كثيرة في شعر السنوسي ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله (٢) :

إن الحياة جهاد والجدير بها
من غالب العاصفات الهوج والنوبا

وقوله (٣) :

فإليه إلى الجهاد فلا والـ ـله يمحو الظلام إلا الجهادا

وفي قوله حاثاً على الجهاد بالمال (٤) :

أخي إنها أرضي وأرضك أشرقت بآبائنا طوبى لهم ومآب
فكل (ريال) من يديك رصاصة لكل (فرنسي) طغى وعذاب

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٤٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

فهذه الشواهد تستمد حضورها ووجودها من الآيات القرآنية الحاثة على الجهاد، كما في قوله تعالى: ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده ..** ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[2].

سادساً: استمداده من القرآن لبعض الآيات المرغبة في الإخوة والوحدة الإسلامية، وعدم الاختلاف:

نلمس ذلك في قصيدته (فرحة اليمن) التي منها هذه الأبيات[3]:

يا للسلام يهز بالـ ... ألحان أعطاف الموات
قرت به عينا وأكـ ... ـبادا قلوب الأمهات
وتعانق الإخوان واطـ ... ـرحوا أكاذيب العداة
رفعوا قضيتهم عن الـ ... أهواء فوق النيرات
وغدوا إلى أرض النبـ ... ـوة والأخوة والهداة
زمرا إلى زمر حثيـ ... ـثي السير من كل الفئات

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) الأعمال الكاملة: ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

وعلى رحـــاب النور مـــــن أرض الهـــدى والمكرمـــات
نحـروا خـلافـات الهـــــوى وسمـوا إلى أسـمى الصـفـات

فالمعنى الذي تتضمنه هذه الأبيات وتدور حوله مستمد من قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾[1].

ومن شواهد دعوته إلى الوحدة الإسلامية ، وتحذيره من الفرقة والاختلاف قوله[2]:

ولم تزل عـــروة الإســـلام جـــامـــعـــة
كـــالجـــاذبيـــة للأرواح تعـــتـلق
والمسلمـون هـم الأعلون مـا اعـتـصـمـوا
بالله واتحـــدوا في الرأي واتفـــقـــوا

فالمعنى الذي يدور حوله البيت الثاني مستمد من قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[3].

سابعاً : استمداده من القرآن الكريم بعض صفات المؤمنين :

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٢) مجلة المنهل المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤هـ، ص ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

ومن أبرز تلك الصفات التي امتاز بها المؤمنون إقامتهم العدل في الأرض، نلمس ذلك في قوله [1]:

عرب بنوا الدنيا بناء محكما بالعدل وهو أساس كل بناء

وقوله عن الصحابة - رضوان الله عليهم - [2]:

يرسلون الضياء في كل أفق ويداوون كل سقم وداء

وينيرون بالعدالة والإسـ ـلام درب الحياة والأحياء

والآيات التي تحث على تحري العدل كثيرة جداً، وتشمل شتى أمور الحياة، إلا أن أقرب الآيات لمعاني أبيات السنوسي قوله تعالى: ﴿ **ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ [3].

ومن تلك الصفات التي تخصهم دون غيرهم الإيثار، نلمس ذلك في قوله[4]:

قد أفلح المؤمنون المؤثرون على نفوسهم واستحقوا النصر من أمم

وهذه الصفة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ **والذين تبوؤا الدار والإيمان**

(١) الأعمال الكاملة: ص٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨١.

(٤) الأعمال الكاملة: ص ٢٨٤.

من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾(١).

ومن تلك الصفات الوفاء بالعهود والمواثيق ، نلمس ذلك في إشادته بالمسلمين حيث يقول(٢) :

حتى غدا من مفاهيم الحياة لهم … البر (بالعهد) قربى والوفا نسبا

ومن تلك الصفات العفو عند المقدرة والإحسان (٣) :

وعفى العاهل العظيم وأضفى … حلمه واسعا وأرخى الستارا

وحمى الأنفس المباحة للسيـ … ـف اقتدارا وعف عنها اقتدارا

ورعى أرملا وضم يتيما … وأغاث اللهيف والمحتارا

فهذه الصفات مستمدة من قوله تعالى : **﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾**(٤) وقوله تعالى : **﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾** (٥).

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .

ومن تلك الصفات الصبر ، نلمس ذلك في قوله [1] :

الشاكرين إذا مس الحياة ندى والصابرين على الآلام والحزن

فهذه الصفة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ [2] .

ومن قوله تعالى : ﴿ **إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [3] .

ثانياً : استيحاء بعض معاني الحديث النبوي :

استلهم السنوسي في تجاربه التي عرضنا لها في دراستنا بعض المعاني التي تضمنتها بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ومن ذلك قوله واصفاً اتحاد العرب والمسلمين :

أملى إرادته وضم صفوفه والتف من قطر إلى البيضاء

تتباين الأسماء في تعريفه كالجسم وهو موحد الأعضاء [4]

فالسنوسي في وصفه هذا يستلهم قول الرسول - ﷺ - : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه) [5] .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٦٤٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٣٣ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٤١ .

(٥) فتح الباري ، الجزء العاشر ، ص ٤٥٠ .

ويستلهم قول الرسول - ﷺ - : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] في قوله [2]:

ونحن في كل دنيا الضاد ماخلصت قلوبنا نحن قلب واحد حان

حان على كل جرح يشتكي ألما من نكسة جرحتنا في حزيران

ويأخذ من قول الرسول - ﷺ - : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)[3] قوله [4]:

مدينة النور عاد النور منطلقا من لابتيك قويا مثلما كان

وفي حديثه عن المساواة التي أوجدتها الرسالة الإسلامية يستلهم قول الرسول - ﷺ - : « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى . . . »[5] . نلمس ذلك في قوله [6]:

رسالة لم تكن للعرب بل نزلت للعالمين بلا حصر ولا عدد

فكل من أعلن التوحيد معترفا بالله ربا بلا ند ولا ولد

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٧٠ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٥٨٤ .

(٣) فتح الباري ، الجزء الرابع ، ص ٩٣ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٣٩٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٥) ص ٤١١ .

(٦) الأعمال الكاملة : ص ٤١١ .

فإنما هو منا لا يفرقه عنا لسان ولا لون على جسد

ويقتبس من قول الرسول -ﷺ- : «ما قعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وتغشتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»(١) في حثه على طلب العلم والإشادة بأهله كما في قوله (٢) :

صرح تظلله الأملاك خاشعة للعلم في جيله السامي إلى الأمم

وفي قوله حاملاً على بعض أبناء مجتمعه المستهترين ببعض القيم الإسلامية(٣) :

حقروه وانتهروه وابتدعوا رأيا هدى الإسلام ينتقده

سألوه في زهو وغطرسة ماذا هويته وما بلده

فهو هنا يستهدي بقول الرسول -ﷺ- : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)(٤).

ويستمد من قول الرسول - ﷺ - في الحث على الجماعة والتحذير من الفرقة: «ما من ثلاثة في قرية فلا يؤذن ولا تقام فيهم الصلوات إلا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المجلد (٢) ص ٤٤٧ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٢٩٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

(٤) فتح الباري ، الجزء الخامس ، ص ٩٧ .

استحوذ عليهم الشيطان عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[1] .

نقف على ذلك في قوله معللاً سقوط فلسطين في أيدي اليهود :

ولن تكون فلسطين التي ذهبت في غفلة حين عاث الذئب بالغنم[2]

ثالثاً : استلهام بعض أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي :

استلهم السنوسي في بعض شعره - الذي دارت حوله دراستنا - كثيراً من أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، خاصة في شعره الذي حاول فيه استنهاض همم أبناء أمته ، وحثهم على الاقتداء بمن سبقهم في كل أمور حياتهم .

ومن ذلك استلهامه لأحداث الهجرة النبوية ومارافقها من أحداث ، ابتداء بموقف كفار قريش من هجرته إلى المدينة المنورة ؛ خشية على مكانتهم إن وجد الرسول - ﷺ - من يناصره فيها ، وتدبيرهم لأمر الخلاص منه ، وانتدابهم لذلك شاباً من كل قبيلة ؛ حتى يتفرق دمه - عليه السلام - بين القبائل ، فيصعب على بني هاشم المطالبة بدمه ، ويقبلون بالدية[3] ، ثم يعرض لنجاة الرسول - ﷺ - من مكيدة كفار قريش ،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٦) ص ٤٤٦ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٢٨٣ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (١) ص ٤٨٠-٤٨٢ .

وخروجه من بينهم بعد أن قام بذر التراب على رؤوسهم .

يقول السنوسي في ذلك [1]:

رصدوا داره كما يرصد الجا ... ني وثاروا عليه كالغوغاء[2]

وطغى مكرهم فشاه وشاهت ... أوجه مزقت رداء الحياء

ونجا سيد النبيين والرسـ ... ـل محاطا بهالة بيضاء

مر من بينهم مرور شعاع الـ ... ـبرق بين السحابة الدكناء[3]

ويشير إلى خروج سراقة بن مالك في طلب الرسول - ﷺ - وصاحبه؛ طمعاً في جائزة كفار قريش ، ويعرض لما حفلت به تلك المغامرة- من قبل سراقة - من أحداث أسفرت عن رجوعه[4] ، وتبشير الرسول - ﷺ - له بسوار كسرى بن هرمز [5] كما في قوله :

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٢٦٣ .

(٢) الغوغاء : أصل الغوغاء : الجراد حين يخف للطيران ، ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر .

(٣) السحابة الدكناء : أي السحابة السوداء .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (١) ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٥) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، المجلد (٢) دار صادر ، بيروت ص ١٠٥ .

هذا ســـراقـــة قـــد جنت مطامـــعـــه

حـــسـا ونفـــسـا وجـــســـمـــا فـــهـــو رادار

تألقت مـــقلتـــاه وامـــتطى فـــرســـا

يعـــدو به في ســـبـــيل الشـــر دينار

رآكـــمـــا ورأى مـــوتا يحـــيط به

ولاح من تحـــتـــه قـــبـــر وحـــفـــار

مـــادت به الأرض حـــتى صـــاح من فـــزع

آمنت يارب فـــاغـــفـــر أنت غـــفـــار

تبـــسـم المصطفى في وجـــهـــه طربا

مـــبـــشـــرا بســـوار مـــا به عـــار

وعـــاد أدراجـــه في قلبـــه عـــجب

وملء عـــينيـــه أحـــلام وأشـــعـــار(١)

ويلتفت إلى التاريخ الإسلامي مستلهماً في قصيدته التي خص بها أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - مواقفه البطولية والشجاعة ، ويأتي في مقدمتها موقفه من موت الرسول - ﷺ - وتصديه لمن أنكروا تلك الحقيقة .

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

يقول السنوسي مستلهمـا موقـف عمـر بن الخطاب - رضى الله عنه- من موت الرسول -ﷺ- والقائلين به [1] :

أمـات حـقـا رسـول الله لا وأبو حـفص يهـدد من قـالوا ومن مـاروا

ففي هذا البيت إشارة إلى مقـولة عـمر بن الخطاب : (إن رجالا من المنافقين يزعمـون أن رسول الله -ﷺ- قد توفي ، وإن رسول الله - ﷺ - مامات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهـب موسى بن عـمران ، فقد غاب عن قـومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهـم بعد أن قيل : مـات ، ووالله ليـرجـعن رسول الله - ﷺ - كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهـم زعموا أنه مات) [2].

ثم يشـيـر إلى مـوقف الصـديق - رضى الله عنه - مما قـاله عـمـر بن الخطاب - رضى الله عنه - مستلهمـا ما جاء في خطبته بعد تأكده من موت الرسول - ﷺ - حيث قـال : (أيهـا الناس، إنه من كـان يعبـد مـحمـداً فإن مـحمـداً قد مات، ومن كان يعبد الله تعالى ، فإن الله حيٌ لايموت ، قـال ثم تـلا هــذه الآية ﴿ وما مـحمـد إلا رسـول قـد خلت من قبـله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضـر الله شيئاً

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٦-٥٣٧ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (٢) ص ٦٥٦ .

وسيجزي الله الشاكرين [(١)] ﴾ [(٢)] في قوله [(٣)] :

وقـفت في جـمـعـهم كـالنجم مـؤتلقـا
وفي مــحــيــاك إيمان وتذكــار

من كـــان يعــبــد طه إنه بشــر
قــد مــات والله حي وهو قــهــار

ومــا مــحــمــد يا لله هل نسـيت
آياتـهــا وهـي إعــلام وإنـذار !

فلنعــبــد الله في صــدق وفي ثقــة
النـور بين يـدينـا كـــيف نحــتــار

ويعرض لموقف أبي بكـر -رضـى الله عنـه- من المرتـدين عــن الإسلام ، مضمنا مقولته في مانعي الـزكـاة : (والله لو منعوني عناقاً كانوا يـؤدونها إلى رسـول الله - ﷺ - لقـاتلتهم على منعها) [(٤)] فـي قوله [(٥)] :

وقلت قــولتك الغــراء ترفــعــهــا
كـالسـيف في وجـه من خـاروا ومن ثاروا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (٢) ص ٦٥٦ .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٧ .

(٤) مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، المكتبة الفيصلية ، ص ١٧٢ .

(٥) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٩ .

والله لو منعوني حبل راغية
قاتلتهم ليس إلا ذاك إقرار

ويستلهم بعض ماجاء في خطبته عند توليه أمر المسلمين في قوله[1] :

والضعيف المحق فينا قوي رغم أنف القوي من أعدائه

فالمعنى الذي يدور حوله البيت السابق مأخوذ من قول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- : (. . . والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أريح عليه حقه ، إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف ، حتى آخذ الحق منه ، إن شاء الله)[2] .

ويشير إلى مقولة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في حثه على الاهتمام بشئون الرعية : (والذي بعث محمداً بالحق ، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب ، قال أبوزيد : آل الخطاب يعني نفسه ، مايعني غيرها[3]) في قوله[4] :

قالها قبل أن أقول أبو حفص فكانت أنموذجا للخلائف
أنا لو ضاع في العراق بعير جئت يوم الحساب والحشر خائف

وفي وقفته مع الأمير الزاهد عمر بن عبدالعزيز يستلهم ماسمعه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في إحدى جولاته الليلية متفقداً أحوال

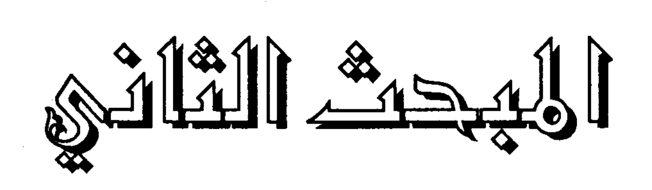
(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢٩) ج(١١) ذو القعدة ١٣٨٨هـ.
(٢) مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ١٧١ .
(٣) تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، ج(٤) ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٤) الأعمال الكاملة : ص ٧٠٩ .

رعيته، حين استوقفه صوت أمٍ تطلب من ابنتها خلط ما جاد به ضرع شاتها بالماء، حتى يزداد فيفي بمتطلبات يومهما الآتي، وسروره - رضى الله عنه- برفض الفتاة؛ لخوفها من الله ربها ورب عمر. وطلبه من ابنه عاصم الذي كان مزمعاً على الزواج أن يتزوج بتلك الفتاة التي كانت -فيما بعد- جدة عمر بن عبدالعزيز[1] نقف على ذلك في قوله[2]:

وراح يروي أبو حفص حكايته
واستغرقا في حديث شيق[3] عذب
عن الفتاة التي قالت وقد غضبت
لن أمذق الماء يا أماه بالحلب[4]
واستنكرت أن يراها الله واقفة
تبيع ألبانها بالغش والكذب
فأنجبت عمر الثاني لأمتها
فكان فاروقها جدا بلا لعب

---

(١) خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار الشروق، بيروت، يناير ١٩٧١، ص ٥١٤-٥١٥ «بتصرف».
(٢) الأعمال الكاملة: ص ٥٢٧-٥٢٨.
(٣) استخدم الشاعر كلمة (شيق) للحديث الممتع، والصواب (شائق).
(٤) أمذق: أخلط.



التجربة الشعرية والصدق الفني

التجربة الشعرية والصدق الفني

القصيدة الشعرية : هي التعبير عن تجربة شعورية كاملة في صورة موحية .

والتجربة : هي الحدث الوجداني أو العاطفي الذي ينبع من نفس صاحبه وعقله ومن كل حواسه ودخائله النفسية والفكرية الظاهرة والباطنة (١) .

والتجربة الشعرية - في حد ذاتها - ليست هي الغاية في العمل الأدبي ، ولكن الغاية هي الانفعال والإثارة التي تحدثه فينا التجربة ، وقدرتها على الارتفاع بنا ولو للحظات إلى عالمها عن طريق الانفعال بها والتفاعل معها ؛ لأن التجربة لاتعدو أن تكون المحرك أو الدافع إلى ذلك التعبير .

وليس ثمة فرق بين أن تكون التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها ، أو أن تكون عامة أحس بها الشاعر حوله ، فعمد إلى جمع عناصرها ، ولم شتاتها ، وقام بمعايشتها والاندماج فيها ، ثم عبر عنها ونقلها إلينا ؛ ليحملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك .

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ص ٨ ومابعدها ، واتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د . محمد نايل ، ص٣٨ ومابعدها «بتصرف» .

والصدق الفني لايراد به مطابقة الحقيقة والواقع دائماً، لأن ذلك من شأن العلم ولكن المراد به «صدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي يحس بها فعلاً، وإعلان عقيدته التي اعتقدها» (١) سواء طابق ذلك التعبير الواقع بكل حذافيره أو لم يطابقه.

ويعد الصدق الفني الفارق الأول بين أصالة الموهبة الأدبية وفقدانها عند أديب ما، وهذا ما أكده سيد قطب بقوله : « ولن يكون للشاعر طابع خاص، ولن يستطيع أن يصلنا بالكون الكبير ، إلا إذا كان صادقاً. . ولكن أي صدق ؟ لسنا نعني الصدق الواقعي، فذلك مبحث يهم الأخلاق ، وإنما نعني صدق الشعور بالحياة وصدق التأثر بالمشاعر أي الصدق الفني » (٢) .

وبناء على ماتقدم نستطيع أن نقول : إن صدق التجربة - سواء أكانت ذاتية أم عامة - هو الذي يميز أعمال الأديب أو الشاعر من غيرها ، ويسمها بسمته، ويطبعها بطابعه الشخصي الذي يميزه عن غيره من الأدباء والشعراء .

وأبرز عناصر التجربة الشعرية هي : الأحاسيس ، والعقل ، والخيال، والموسيقى ، كما يرى الدكتور شوقي ضيف (٣) .

---

(١) عنصر الصدق في الأدب، د. محمد النويهي، ص ٢٣٨، ط ١٩٥٨م، القاهرة.

(٢) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ص ٣٥ .

(٣) في النقد الأدبي، ط(٥) ص ١٤٦-١٥٢ .

ويرى الدكتور محمد غنيمي هلال : أن لكل تجربة شعرية عناصر مختلفة، فكرية، وخيالية، وعاطفية، والشاعر يتخذ منها مواد تصويرية، إذ يستعين بها على جلاء صورة تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير [(١)].

وتلاحم تلك العناصر الأربعة وتضافرها في التجربة الشعرية يحقق لها النجاح المأمول، فالمشاعر والأحاسيس هي غاية العمل الأدبي ، والفكر هو الذي يقوم بتنظيم المشاعر وتنسيقها، ويؤلف بين خواطر الشاعر، والخيال هو الأداة التي تثير العاطفة ، وهو الذي يخرج التجربة إلى العالم النفسي. . . والموسيقى هي التي تمنح التجربة الأنغام التي تتناسب مع مشاعرنا وعواطفنا [(٢)].

والشعر الذي عرضنا له بالدراسة تحققت في أكثره عناصر التجربة الشعرية الناجحة فتجاوزت المناسبة، وبلغت درجة الإبداع والتفوق لتوافر أبرز عنصرين فيه، وهما : سمو الأفكار، وحرارة وقوة العاطفة، إضافة إلى الخيال والصور الشعرية واللغة والموسيقى [(٣)]. . « وتلازم

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٦٤ «بتصرف».

(٢) النقد العربي الحديث ومذاهبه ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ط الفجالة الجديدة بمصر، سنة ١٩٧٥م، ص٨٤ «بتصرف».

(٣) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، ص٧٦٧ «بتصرف».

العنصرين (فكر وعاطفة) هو المقياس الأساسي والمسير الحقيقي للشعر، فلا يرتفع الشعر الهادف إن فقد عنصر العاطفة والانفعال، ولا يسمو إذا تجرد من قيمته الفكرية وهدفه الرفيع، وتمرغ في الضلالة والفساد، وإن تحققت فيه العناصر العاطفية» [١] .

وجل الشعر الذي عرضنا له بالدراسة توافرت له الفكرة الصالحة والعاطفة الصادقة، وقد سبق لي دراسة المعاني والأفكار في شعر السنوسي الإسلامي، لذا سأفرغ لدراسة عنصر العاطفة والمشاعر في تجاربه الشعرية.

ومعيار القيمة في العاطفة « هو صدقها، أي قدرتها على أن تجعل العمل الفني يشق طريقه وسط زحمة الموجودات ليبرز بدلالة ويلوح برسالة . والصدق هنا ليس الصدق العلمي ولا الصدق الأخلاقي، لكنه الصدق الذي ينم على أن العمل الأدبي يخبر بشيء يتوافق مع الحياة ومع المحصلات الوجدانية دون أن يكون له أثر من شأنه أن يؤدي إلى النفور أو الشذوذ . إنه الصدق الفني الذي ينبع من منطق العمل الأدبي، أو من موضوعيته بكل أبعادها وتفصيلاتها» [٢] .

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٦٧ .

(٢) النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، د. أحمد كمال زكي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص٩٣ .

ولو نحن عمدنا إلى تطبيق هذا المعيار على الشعر الذي دارت حوله دراستنا لوجدناه متحققاً في جل الأغراض والموضوعات التي طرقها الشاعر، حتى في المدح - الذي هو أقرب الأغراض الشعرية من المناسبات التي أنكرها معظم النقاد؛ لتجردها كما يرون من الصدق الشعوري والفني- نجح السنوسي في التعبير عن مشاعره وعواطفه تجاه الممدوح، وأراق فيه همومه وطموحاته ورغباته البعيدة، إما متمنياً تحقيقها من قبل ممدوحه، أو مشيداً بتحققها على يديه .

نلمس ذلك في مدحه للملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل -رحمهم الله- ولن أجانب الصواب إن قلت : إن هم الوحدة الإسلامية ، والعودة بأمتنا إلى سابق عهدها، يكاد يغلف كل قصائده المادحة، فهو دائم الحث عليها، والتنويه بها، وهذا مايجعلنا نستبعد أن يكون السنوسي من طلاب الجوائز والمكافآت عن طريق مدائحه، وإنما هو شاعر قضية، دأب - منذ بداياته الشعرية - على الدعوة إليها والمنافحة عنها. نجد ذلك في قوله ضمن مديحه للملك سعود - رحمه الله - :

مولاي يا أمل الإسلام في زمن
للشرق فيه صوى شتى بها الطرق[1]

---

(١) صوى : حجارة تكون علامات في الطريق .

إن العـــروبة قـــد ألقت إليك يدا
وصـافحـتك فـمـر مـا شئت ننطلق
في راحـتيك سـراج الحق فـاسـر بنا
وهـنـا يـشـع عـلـى آثـارك الألـق
سـمـوت بالوحـدة الكبـرى إلى أفق
للدين مـؤتمر فـيـه ومـتـفق
نهج أنرت سـبـيل السـالكين به
حـتى تقـاربت الأبعـاد والشـقق[1]

إلى أن يقول [2]:

إليك تتـجـه الأرواح يجـذبهـا
هذا المحـيـا وترنو نحـوك الحـدق
تـنورتـك ودنيـاها ممزقـة
روح على المسـجـد القـدسي تحـترق
حـامت بأجنحـة شـلاء واهيـة
تعلو وتهـبط خـفـاق بهـا الفـرق

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤هـ، ص ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٠ - ١٢١ .

تلفــــتت فـــإذا الأيك الذي نشــأت

في ظله قـــد جــــفـــاه الظل والورق

أنت المؤمل لليــــــوم الأغـــــر إذا

هزت فلسطين ســـيـــفـــا والظبـــا علق

فالسنوسي - كما هوواضح في هذه الأبيات - يتجاوز المديح إلى الإفصاح عن حلم يراوده تحققه، وأمل تؤرقه مرارة انتظاره ، ولهذا نراه يحث على تحقيق ذلك الحلم، ويرسم عزة المسلمين في ظل تحققه، ويشعل فتيل دعوته إلى الوحدة الإسلامية؛ بتركيزه على القضية الفلسطينية التي تعد جرحا عميقاً في صميم أحشاء أمتنا العربية والإسلامية، ويشد على يد الملك سعود - رحمه الله - في دعوته إلى تلك الوحدة المرجوة التي ستكفل عودة كل الأراضي الإسلامية التي سلبت في ظل الفرقة التي منيت بها أمتنا الإسلامية على يد أبنائها .

أما رثاء السنوسي فقد كان حافلاً بالمشاعروالأحاسيس، والعاطفة الصادقة، وقد وقفنا على شيء من ذلك في دراستنا لشعر الرثاء عنده، سواء في رثائه لأبيه أو لأصدقائه أو لبعض حكام بلاده من آل سعود. وإن كانت مرثيته للملك عبدالعزيز -رحمه الله- قد حملت في طياتها بعض المبالغات ، إلا أنها مبالغات مقبولة وحسنة لتوافر عنصر الصدق الفني فيها، وهذاما اشترطه الدكتور محمد غنيمي هلال في قبوله

للمبالغات في قوله : « ليس من الصواب قبول المبالغة، ومايتصل بها على وجه الإطلاق ولا رفضها كذلك ولا تعميم القول بقبولها في حال الاعتدال والتوسط كما ذهب إلى ذلك النقاد العرب القدامى، بل الصواب أن نقبل هذه الوجوه وما سواها على أساس الصدق فإذا لم تزيف الحقائق ولم تصور غير الواقع، ولم توهم الباطل كانت مقبولة، بل قد تكون دعامة الصدق الفني لتصوير المعنى، وإثارة الخيال، وتوصيل أعمق الحقائق إلى العقل والقلب» (١).

ومعنى ذلك أنه لا بأس من المبالغة التي يقصد بها إبراز عاطفة صادقة واستجلائها ؛ لأن هذه المبالغة في هذه الحالة تكون أداة لزيادة قدراتنا على تمثل هذه العاطفة ولا تكون حاجزاً بيننا وبين تصورها . . وهذه المبالغة المقبولة يوحي بها الخيال الفني، والخيال الفني كما يرى الدكتور محمد النويهي : « ليس معناه محض الاختلاق ولا إطلاق حرية التزييف ، بل معناه رؤية حقائق الوجود بدرجة من الوضوح والحدة والصفاء أكبر مما توجد عليه في الطبيعة، أو أكبر مما يستطيع الناس العاديون أن يروها» (٢).

---

(١) النقد الأدبي الحديث، ص ٢٢١ .

(٢) عنصر الصدق في الأدب ، د. محمد النويهي، ص ٥٣ .

وإن نحن تأملنا ماجاء في قصيدة السنوسي في رثاء الملك عبدالعزيز-رحمه الله- لوجدنا مبالغاته فيها مما أجازه النقاد ورأوا فيها قدرة على جلاء المعاني وتوضيحها . ومنها قوله واصفاً وقع نبأ وفاة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على أبناء أمته الإسلامية [1] :

ضجت شعوب الأرض لما قيل قد
أودى المناضل عن حماها الرامي
ريعت لمصرعك النفوس وزلزلت
قمم النهى وشوامخ الأحلام

وقوله [2] :

نبأ كقصف الرعد هز دويه
قلب (العراق) وذاب قلب (الشام)
ضجت له (مصر) الشقيقة لوعة
وارتاع في (صنعا) فؤاد دام
وتفطرت (لبنان) حزنا وانطوت
(عمان) في شجن من الإيلام

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٨ .

فالمبالغات التي تحفل بها هذه الأبيات، مكنت الشاعر من تصوير هول المصاب على نفسه، وعلى نفوس أبناء أمته الإسلامية الذين كانوا يرون فيه قائداً إسلامياً، يعول عليه إن حزّ بهم الضر، وعمقت مكانة الملك عبدالعزيز- رحمه الله- في نفوس من هم حوله. وهذا يدلنا على أن مبالغة الشاعر هنا من النوع المقبول الذي أجازه معظم النقاد.

أما غزل شاعرنا فقد وضحت عليه آثار العقيدة الإسلامية، فجاء لذلك عفيفا في مجمله، يربط فيه بين جمال المرأة المادي والمعنوي. وقد تجاذبته - كما تفصح تجاربه فيه - عاطفتان:

إحداهما: تحمل لنا روح السنوسي المحبة في أيام شبابه، وقد قرّ تيار ذلك الحب كما يقول الشاعر [1].

وثانيتهما: تفصح عن إعجاب السنوسي بجمال المرأة الحسي والمعنوي، وتفاعله مع ذلك الجمال. نلمس ذلك في قوله [2]:

مدت أناملها تزيـ ... ـح خصائلا كالليل ظلمه
فبدا ضياء الفجر فو ... ق جبينها نورا ونسمه
قلبي يحب وإنما ... في حبه خلق وحشمة
ويهيم بالغيد الحسا ... ن ولا يبيح لهن حرمه

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٤٤.

فهذا النموذج لايشف عن معاناة للشاعر، وإنما يشف عن تعلقه بالجمال، وعشقه له، وهو كما ترى لم يبتعد فيه عن الطهر والعفة التي طبعت سائر قصائده الغزلية. وهذا يدلنا على أثر العقيدة في توجيه شعره الغزلي.

وفي وصفه للطبيعة نقف على صدق عاطفته في تفاعله مع جمالها الحي، وليس أدل على ذلك من قصيدتيه: (جبل فيفاء) و (موكب السحاب) فقد توفر لهاتين القصيدتين مايرتفع بهما إلى مصاف التجارب الشعرية الخالدة، من روعة في الأداء وصدق في التعبير.

يقول الشاعر واصفاً شموخ ذلك الجبل وبعض مظاهر الجمال فيه [1]:

جبل تعشق النجوم مجاليـ ـه وتصبو إلى ذراه العوالي

يزحم النيرات منكبه الضخـ ـم ويحتك بالسها والهلال

مشرئب إلى السماء برأس صلف في شموخه متعال

إلى أن يقول [2]:

يا لتلك الذرى الموشاة بالزهـ ـر نضيرا وبالثمار حوال !

أو لتلك الربى يرف شذاها بعبير الصبا ونفح الشمال !

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

ولذاك السحاب والماء يجري   من خلال الصخور جري الصلال !

فشاعرنا - في هذه الأبيات - مأخوذ بارتفاع جبل فيفاء الشاهق، ومفتون بكل مظاهر الجمال فيه، ولهذا جاء وصفه له في غاية الإبداع والروعة. وفي ذلك دليل على أن عالمه الوجداني قد تفاعل مع ذلك الجمال، فرأى فيه مالم تره عيوننا، فهو لم يعد - كما تفصح صور السنوسي - حجارة جامدة لا حياة فيها، وإنما استحال إلى إنسان يزاحم الكواكب بمنكبه الضخم، متعالياً على الناس في صلف وغرور، ومتباهياً بما وهبه الله من مظاهر جمالية آسرة، تتمثل في انتشار الأشجار والنباتات ذات الروائح العطرية على سفحه وبين جنباته، وانسياب مياه الأمطار بين صخوره وشعابه - صباح مساء - في أشكال جمالية أخاذة ؛ تجلي كآبات النفوس، وتشهد لمتأملها بعظمة خالقها. وهذه الحقيقة هي التي وصل إليها الشاعر في نهاية المطاف، حيث يقول [1]:

صنعة المبدع المصور جل الـ   ـله ربي رب العلا والكمال

وفي شعره الاجتماعي، يتضح الصدق في حمله على بعض العادات التي طرأت على أبناء مجتمعه، كتقليدهم للغربيين في ملابسهم، وفي طريقة سيرهم، وفي قصات شعرهم. أو في حمله على بعض الأدواء التي

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

تتنافى مع أخلاقنا الإسلامية، كالنفاق، والكبر، والسخرية. والحث والترغيب في أمور أخرى كان لها حضورها في مجتمعنا الإسلامي، إلا أنهاأخذت في الاختفاء تدريجياً، كالتواضع والقناعةوالرحمة. وخير مايؤكد صدق عاطفة الشاعر في شعره الاجتماعي قوله متألماً من النفاق والمنافقين، ومنفراً من الاختلاط بهم[(١)]:

يالنفسي من أنفس تقذف الحبـ ... ـر عداء على الثياب النظيفة!
وعلى كل جانب من قذاها ... قذر يزكم الأنوف وجيفه
خضت في بحرهاوكنت غريراً ... فطفا موجها وكانت حصيفه
أوجه كالبلاط لا تنبت الزهـ ... ـر وإن كانت المياه كثيفه
وقلوب مثل الكهوف ظلاماً ... والضحى يغمر الوجود مخيفه

وقوله مرغباً في التواضع، وداعياً إليه[(٢)]:

وكبير القلب تلقاه على ... كل حاليه عظيما وخطيرا
هو كالبحر جلالا رائعاً ... وهو كالروض زهوراً وعطورا
نفسه في يده مبسوطة ... تزرع الخيروتبنيه قصورا
وضياء البشر في غرته ... خلقا سمحا وإيمانا غزيرا

(١) المصدر السابق، ص ٤٣٩-٤٤٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١٦ .

ففي هذين النموذجين يتضح لنا مدى صدق عاطفة شاعرنا في شعره الاجتماعي، فهو في النموذج الأول يوضح أثر النفاق على الناس الأبرياء منه، ويقدم لنا المنافقين في صورة تدعونا إلى الحذر منهم وعدم الاختلاط بهم.

وفي النموذج الثاني، يرغب في التواضع ويحث عليه، عن طريق تقديمه لذلك الإنسان المتواضع في صورة تدعونا إلى الإعجاب به، وتحملنا على الاقتداء به.

وصدق العاطفة ملمح بارز في شعره الوطني، سواء في قصائده التي بدا فيها الفخر واضحاً وجليا بماضي وطنه وحاضره، أو في حثه على الارتقاء به، والتغني بمظاهر الجمال فيه، والدفاع عنه أمام كل من حاول النيل منه.

ومن شعره الوطني الذي بدت فيه عاطفة الشاعر صادقة وقويه قوله (١):

هاهنا ربوة كناصية الشمـ ـس تمد الشعاع في الأرض مدا

باركتها يد الإله فأضحت لبناة العلى سريرا ومهدا

الرياض الرياض عاصمة العر ب ملاذ القلوب شيبا ومردا

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٢.

منتـدى أمـتي وقلب بـــلادي شــرفــا باذخــا وركنا أشــدا [1]

بلـد في دمــائنا من هـواهــا قــوة تـطرد الجــراثيـم طردا

إلى أن يقول [2]:

أين منك الخـيـال والليل يجلــو في سنا أفـقـهـا المتـوج عـقـدا

وأديم الثـرى يفـوح عـبيــــرا عـبهـري الشـذا أقـاحـا وورداً [3]

والذرى تنطح السـحــاب سناء والســنا يقــدح الكواكب زندا

والدروب الفـســاح ترسم خطـا كــسطور الكتــاب شكلا وقــدا

وظلال الغـصـون تمتـد كـالشعـــ ـر على متنهـا أثيثـا وجعـدا [4]

وعلى كــــل رفـرف وجــدار تـتجلى الفنون قـوسـا وعـقـدا

وعلى كل قـمـــة ومنــــار علـم شــيــد الصــروح وهـدا

الهـدى حـولهـا يواكـبـه العلـــ ـم وركب العلوم بالدين يحـدى

مــرفـأ الســالكين في حلك الشـــك ومـرسى اليـقين جـزرا ومـدا

فالأبيـات التي أمامنا تفصح عن حب الشاعر لوطنه، وإعجابه بمظاهر جماله.

---

(١) شرفاً باذخاً: أي عالٍ.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ١٠٣-١٠٥.

(٣) عبهري: رقيق.

(٤) الأثيث: الشعر الطويل الغزير، والجعد: الشعر القصير.

وقد أبدع في تصويره لتلك المظاهر الجمالية، في لغة عذبة موحية، وخيال خلاق يألف بين الأشياء المتناثرة، ثم يقدمها لقارئه في صور فريدة، تروي ظمأ النفس والشعور.

ولم يتوقف شاعرنا عند تلك المظاهر التي جعلت وطنه أثيراً لديه، وإنما أتبعها بما يستوجب ذلك الحب، فبين الأسس التي قام عليها وطنه، والمكانة الرفيعة التي يحتلها في نفوس أبناء أمته الإسلامية، ولم ينس وهو مندمج في تجربته أن يشيد بمن له الفضل في ذلك، قائلاً [1]:

باركتها يد الإله فأضحت لبناة العلى سريراً ومهدا

أما في شعره الذي عرضنا له في دراستنا تحت عنوان (موضوعات الشعر الإسلامي) فتبدو العاطفة الصادقة في كل تلك الموضوعات، وإن تخلفت - قليلا - في بعض شعره الذي حلق فيه في آفاق عقيدتنا الإسلامية؛ وذلك لطغيان عنصر الفكر فيه. ولكن هذا لايعني انتفاء عنصر العاطفة من تجاربه في هذا الموضوع، لأنه يسعى - عن طريق عرضه لمثل تلك القضايا - إلى التأثير في عواطف المتلقين وعقولهم في آن واحد، لحملهم على الاستجابة.

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٠١ .

ومن نماذج شعره في هذا الجانب قوله [(١)]:

فدع ليد الأيام غربلة القذى

فإن لها كفا تغربلها نخلا

ولذ بحمى الإيمان وارض بما قضى

به الله واعلم أن حكمته أعلى

فللدين فضل في الحياة لأنها

بغير الهدى تغد وجحيما به نصلى

وثق أن من أعطى الحياة جمالها

وأقواتها لم يهمل الدود والنملا

ففي هذه الأبيات نحس بصدق عاطفة الشاعر المنسابة في ذلك التوجيه المباشر لأخيه المسلم إلى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، والإيمان المطلق بقضاء الله وقدره، والثقة في رحمة الله وعطفه.

ونلمس صدق العاطفة وقوتها في عدد من التجارب التي تندرج تحت ذلك الإطار، ومن أبرزها قوله مناجيا خالقه [(٢)]:

رب إني ظلمت نفسي فغفرا   نك ربي إني مقر وذاعن

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٤٨ .

رب إن الحيـــــاة زاغ بها السيـ ـر وحادت فاشدد عراها وطامن

وأنر بالضيـــاء والطهر مسرا ها وزحزح عن سيرها كل مائن

فلأنت العظيم حقا وصدقا عـالـم بالذي يكون وكائن

فصدق العاطفة ملمح بارز في هذه الأبيات، ولا يعقل أن يكون الشاعر هنا كاذباً، فهو يتوجه إلى خالقه، طالباً منه المغفرة على ما ارتكبه في حق نفسه، راجياً أن يسود الطهر والصفاء على سطح الحياة الدنيا.

وفي شعره المتعلق بالإسلام ورسالته نشعر بسريان العاطفة وصدقها في إشادته بالرسالة الإسلامية، وجلاء قيمها ومبادئها، ودفاعه عنها، والدعوة إليها.

ومن نماذج شعره في هذا الجانب قوله (١):

رسالة من هدى الرحمن بلغها (محمد) وفدتها روح (عمار)

نحيا عليها ونسمو ضاربين بها قوى الضلالات في عزم وإصرار

ونفتديها بأرواح وأفئدة خفاقة ذات إيمان وإيثار

ونجد صدق العاطفة وقوتها في دعوته لاعتناق الدين الإسلامي، كما في قوله (٢):

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٥٠-٥٥١.

يا خليلي الدين نور القلـــــوب وطبـيب الحـيـاة أي طبـيب
لا تدع للأسى إلى قلبـــك الشــــفـاف دربا ولا تلن للخطوب
كم رأينا وكم سـمـعنا فـدع قلـــبك يرتـاح من عناء عـجـيب
ودع الفلسفات واسـتلهم الإيـــمان وانضح به جفاف النضوب

فالشاعر - في هذه الأبيات - حريص على راحة وسعادة أخيه الإنسان في كل مكان، تدفعه إلى ذلك عاطفة إنسانية نبيلة، تحب الخير وترجوه للجميع. ولهذا نراه بعد أن عايش حلاوة الدين الإسلامي، وأحس بالراحة التي يمنحها لمعتنقيه - يحث أخاه غير المسلم على اعتناقه، ومشاركته في التلذذ بتلك الحلاوة والاستمتاع بتلك الراحة.

أما شعره في الآفاق العبادية والمناسبات الإسلامية فصدق العاطفة ملمح بارز فيه، وذلك لأن صلته بالتجربة قوية قوة النزعة الإسلامية في نفسه وسيطرتها على مشاعره وانفعالاته.

نقف على ذلك في قصيدته (رمضان) [(١)] التي ضمنها مناجاته لذلك الشهر العظيم، بالإضافة إلى شكواه الممضة من الحالة التي وصلت إليها أمته الإسلامية من ضعف وهوان، ومعالجة بعض الأدواء المتناثرة على بساط الحياة الممتد.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٤-٣٢٩.

وفي قصيدته (اليوم الخالد) (١) وصف بديع لوحدة المسلمين المتمثلة : في اللبس ، وفي التوجه ، وفي الغاية .

وفي قصيدته (أذان الفجر) (٢) وقف مع ذلك الصوت وقفة تنم عن مدى عمق إيمانه ، ومدى يقظة حسه الشعري في إدراك الجمال الذي تكتنزه تلك الدعوة ، وقدرتها على تنقية أجواء النفس البشرية ، مما يعلق بها من شوائب وأدران .

وقد كان شاعرنا صادق العاطفة في دعوته إلى تلبية تلك الدعوة ، والتبكير في السعي ؛ طلباً للرزق . وصادقاً في تفاعله مع صوت الأذان وهو يشق أسمال الليل وسكونه الممتد على الأفق .

وفي قصائده المستلهمة لتاريخنا الإسلامي الخالد نجد تجارب شعورية صادقة ، تفصح عن عشق الشاعر لذلك التاريخ الحافل بالأمجاد والبطولات في شتى المجالات ، وألم دفين لما آل إليه حال أمته في العصر الحاضر .

ومن نماذج تجاربه في هذا المجال قوله في قصيدته (عقدة الأسى) مخاطباً أمته الإسلامية (٣) :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٥-٥٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦٧-٥٦٩

أتريدين أن يكون بيـانـــــي ... رائع اللفظ عـبـقـري المعـاني ؟
كـيف يا أمـتي وأنـــى وفي جنـ ... ـبيك جـرح يهـزني من كـيـاني ؟
كلمـا أبصـرته عـيناي فـاضــت ... بالأسى لاهبـا وبالدمع قـاني [1]
أنطقـيني إذا أردت بيـــــوم ... قـادسي مـدمـدم أرجـواني [2]
أنطقيني بوثبـــة ذات ومـــض ... واحلـلي عـقـدة الأسى من لسـاني
فلقـد كـدت من أسى ألفظ النفـ ... ـس علـى كـل لفـظة من بيـاني
لـم هذا وكـيـف يا نسل عـدنا ... ن وقـحـطان والسنا والسنان ؟
أيعـيث الذئاب فـينا ونحـتـا ... ر ونـنهـار يـالـــه من هوان ؟!
رحـــم اللـــه خـالدا والمثنى ... وابـن أيـوب والـفـتى الحـمدانـي
فلقـد ضعـضعـوا قـوى كل دهقا ... ن وعلـــج وأنـقـذوا كـل عـاني
حين كـانت قـوى الطغـاة تهـز ال ... أرض مـن فـارس ومـن رومـانـي

فالسنوسي في هذه الأبيات استطاع أن يندمج مع التجربة ، ويتفاعل معها ، ويهبها من عاطفته وذاته الشيء الذي جعلنا نشاركه الحنين لماضي أمتنا الإسلامية المشرق ، والتطلع إلى عودته .

---

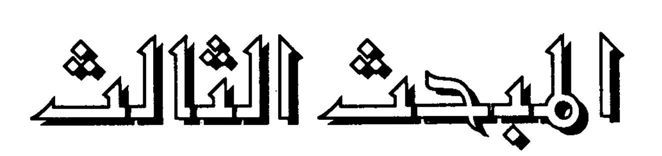
(١) قاني : شديد الحمرة .

(٢) مدمدم : دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض وطحطحته ، ودمّهم يدمهم دماً : طحنهم فأهلكهم ، وأرجواني : الأرجوان هو : الأحمر الشديد الحمرة .

والمتأمل في تلك الأبيات يجد أن السنوسي لم يسرد لنا ذلك الماضي سرداً تاريخياً مجرداً، إنما صبغه بأحاسيسه ومشاعره ، فاستاف نكهة الأمجاد الإسلامية في سابق عهدها وفي مختلف أقطار المعمورة على أيدي قادة الإسلام الأفذاذ، أمثال : خالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة، وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدولة الحمداني .

وفي دعوته للجهاد، والوحدة الإسلامية، كان صدق العاطفة وقوتهاملمحا بارزا، خاصة وإن وحدة المسلمين - كما سبق أن أكدنا - كانت هم الشاعر الأكبر الذي سعى إلى تحقيقه، وألح عليه، بعد أن أفقدت الفرقة والشتات الأمة الإسلامية قوتها ومجدها وعزتها، وحكمت عليها بالذل والهوان على أيدي المستعمرين، الذين نكلوا بعدد كبير من أبنائها، وأباحوا أعراضهم وحرماتهم .





الوحدة العضوية

الوحدة العضوية

تعد الوحدة العضوية من معالم التجديد في الشعر العربي الحديث، ويراد بها «وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع. وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها. ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر» (١).

فالقصيدة كما يرى العقاد: «ينبغي أن تكون عملاً فنياً، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدتها، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني عنها غيره في موضعه، إلا كما تغني الأذن عن العين، أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة، أو هي كالبيت المقسم، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها»(٢).

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٣٧٣.
(٢) الديوان، عباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، ج(٢) ص ١٢٠ ط(٣).

ويرى العقاد أيضاً أن هذه الوحدة من أهم مقومات القصيدة ، وهي بغيرها تفقد سماتها ومكانتها كعمل شعري . وفي ذلك يقول : «ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها ، فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوي على خاطر مطرد أو شعور كامل بالحياة» (١) .

والوحدة المعنوية في القصيدة ، تقتضي ترتيب الأفكار ، واستقصاء كل فكرة -على حدة- قبل الانتقال إلى غيرها ، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : «تقتضي هذه الوحدة استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصيدة ، قبل الانتقال إلى الفكرة التالية ، بحيث لايصح الرجوع - بعد - إلى الفكرة الأولى في القصيدة ، وإلا بدا الفكر مضطرباً ، واختلت بنية القصيدة» (٢) .

وهذه الوحدة التي حدد معالمها العقاد ، ودعا إلى جعلها مقياساً من المقاييس التي ينبغي أن نفهم وندرس بها شعرنا العربي - يرى معظم النقاد ومن بينهم الدكتور بدوي طبانة ، إمكانية تطبيقها على الشعر المسرحي والملحمي ، أما في الشعر الغنائي فيرى أن نترك للشاعر حريته في التعبير عن عواطفه بترتيب ماسبق منها إلى ذهنه ، ومايتعاقب عليه من الأخيلة

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٧٥ .

والصور ؛ وذلك لأن طبيعة الشعر الغنائي « أن يكون انفعالات يتلو بعضها بعضاً وليس انفعالاً واحداً متصلاً، وذلك لتعدد الانفعالات وتباينها نوعاً وقوةً وضعفاً »[1].

أما الوحدة لعضوية في الشعر المسرحي وشعر الملاحم فهي « أرسخ ، ومقاييسها أوضح ؛ لأنها ترجع إلى ترتيب أجزاء الحكاية أو الخرافة، وأثر ذلك في نفسية الأشخاص وتوالي الأحداث، فإذا اختلت الوحدة بأن نقلنا منظراً مسرحياً إلى غير مكانه، أو جزءاً من الملحمة إلى غيرموضعه، انهار العمل الفني من أساسه»[2].

ولعل خير كلام قيل في الوحدة التي ينبغي أن تتوافر في النص الشعري، كما ينبغي أن نفهم، وكما ينبغي أن نقيس به الشعر العربي وغيره من ألوان الشعر الغنائي، ما قاله مصطفى السحرتي عنها، فهي عنده «الرباط الذي يضم التجربة، والصور، والانفعالات، والموسيقى، والألفاظ في وشاح خفي أثيري، وبهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة، وتلمح هذه الوحدة إبتداء، من دوران أبيات القصيد دوراناً منطقياً شعرياً، وتنقل هذه الأبيات تنقلاً فكرياً، ويتأتى هذا الدوران المنطقي من

(١) قضايا النقد الأدبي، د. بدوي طبانه، المطبعة الفنية الحديثة، ص ٤٨ «بتصرف».

(٢) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج(٢)، ص: ٢٥١.

توفر التجربة الشعرية، وعرضها عرضاً جميلاً، وصياغتها صياغة محكمة - صياغة لا هي بالطريقة المجرجرة، ولا بالقصيرة الكاشفة، فإذا اختلطت التجربة، أورفّ عليها اللبس اضطربت الوحدةوتخلع بنيانها»[1].

ونحن في دراستنا للوحدة العضوية، ومن ثم تطبيقها على شعر السنوسي الإسلامي، نذهب مذهب الأستاذ مصطفى السحرتي في رؤيته للوحدة العضوية في القصيدة الغنائية، وذلك لأن الوحدة في الشعر القصصي والملحمي والمسرحي وحدة موضوع، أما الوحدة في الشعر الغنائي هي وحدة مشاعر وأحاسيس في المقام الأول، تقوى إذا التقت هذه المشاعر مع الموضوع.

وقد توافر لمعظم قصائد السنوسي - التي عنينا بدراستها - وحدة الموضوع ووحدة المشاعر، وذلك لاستقلال معظم قصائده بموضوع واحد «تدور حوله الأفكار والمعاني، وتتجاوب مع المشاعر والعاطفة والخيال في البناء الفني للقصيدة وحينئذ يتلاءم المضمون في العمل الفني مع الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع»[2].

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبداللطيف السحرتي ط(٢) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٨١.

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، ص ١٤٨.

وأكثر ماتبدو الوحدة العضويةواضحة وجلية في قصائده ذات النزعة القصصية، وليس أدل على ذلك من قصائده (ليلة الهجرة [1]، عودة الماضي [2]، موكب السحاب [3]، أنشودة الصقر [4]، الفيلسوف والطائر الأعمى [5]، الكيان الكبير [6]، فارس الأحلام [7]، اليتيم السعيد [8]، وعصبة السفاح [9]).

وسنقتصر من هذه المجموعة على قصيدتين لنبين من خلالهما معالم الوحدة العضوية في قصائده ذات النزعة القصصية .

ففي قصيدته (ليلة الهجرة) استلهم السنوسي بعض الأحداث التي شهدتها تلك الليلة العصيبة، كما عرض لما ترتب على نجاة الرسول - ﷺ - من انتشار للرسالة الإسلامية بعد أن كثر أعوانه .

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١-٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤-٥٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٥-١٣٢ .

(٤) المصدر السابق، ص ١٧٢-١٨٧ .

(٥) المصدر السابق، ص ٦٢٨-٦٣١ .

(٦) المصدر السابق، ص ٥٨٥ - ٥٨٩ .

(٧) المصدر السابق، ص ١٣٣-١٤٢ .

(٨) المصدر السابق، ص ٤٠٦-٤٠٩ .

(٩) جريدة الندوة ، العدد (٦٤٠٨) في ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ.

والشيء الملحوظ في هذه القصيدة أن السنوسي لم يتعرض لكل الأحداث التي سايرت هجرة الرسول - ﷺ - إلى لحظة وصوله إلى المدينة المنورة، وإنما اكتفى منها بما يخدم موضوع قصيدته تلك، والتي تدور حول أثر ليلة الهجرة في انتشار أنوار الرسالة الإسلامية في آفاق المعمورة، وانحسار مد الظلم والطغيان الذي كان متفشياً فيها.

فهو يبدأ في تلك القصيدة بتمهيد بين فيه أثر تلك الليلة وفضلها وتفردها دون سائر الليالي، ثم يعرض لبعض أحداثها، واصفاً تعاطف الطبيعة ومظاهر الكون مع الرسول - ﷺ - نلمس ذلك في قوله [1]:

بين إشراقة الهدى من حراء ... وانطلاق الشعاع نحو قباء

ليلة ماتنفس الصبح عن مثـ ... ـل سناها على ثرى الصحراء

فردة فذة تنوء بسر ... أبيض في دجنة سوداء[2]

جثمت حوله تضم جناحيـ ... ـها حنوا عليه كالورقاء[3]

والسكون العميق يملأ قلب الـ ... أرض والكون عامر بالرجاء

وعيون السماء من كل نجم ... رصد للعصابة الرصداء

يطأ الأرض نورها في خفوت ... ويرى لائذاً بكل خباء

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) دجنة: ظلمة.

(٣) جثمت: أي لزمت مكانها ولم تبرحه.

كم أنفاسه الدجى واقشعــر الـ ـليل رعبا واربد وجه الفضاء[1]

فالسنوسي في هذه الأبيات، يصف تلك الليلة منذ أن جثمت على الكون موارية بظلامها الكثيف رسول الله - ﷺ - ، ويصف تعاطف بعض مظاهر الكون والطبيعة مع الرسول - ﷺ - ، ويجسم خشيتها عليه. ثم ينتقل إلى إبراز المكيدة التي دبرها كفار قريش للقضاء على رسول الله - ﷺ- ويجلي موقفه من مكيدتهم، فيقول[2]:

ومشت عصبة الجريمة والكيـ ـد إلى غاية لها نكراء

رسموا خطة القضاء على النو ر وهبوا كالزعزع الهوجاء

والرسول العظيم كالطود إيما نا وكالنجم في السنا والسناء

يتحدى قوى الضلال بقلب عامر باليقين والأضواء

رصدوا داره كما يرصد الجا ني وثاروا عليه كالغوغاء

وطغى مكرهم فشاه وشاهت أوجه مزقت رداء الحياء

ثم يعرض لنجاة الرسول - ﷺ - من تلك المكيدة، ويصف مروره من بينهم بعد أن ذر على رؤوسهم التراب:

(١) كمَّ : حبس، واقشعر ، القشعريرة : الرعدة واقشعرار الجلد، واربد: أي تغير لونه، والربدة: الغبرة.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٢٦٣-٢٦٤.

ونجا سيد النبيين والرسـ ـل محاطا بهالة بيضاء

مر من بينهم مرور شعاع الـ ـبرق بين السحابة الدكناء

ورماهم بحفنة من تراب كللت كل هامة جوفاء

وانثنى ينفض التراب رجال نفض الله كيدهم في الهواء(١)

ويصف ماترتب على نجاة الرسول - ﷺ - ومعه خاتمة الرسالات السماوية من الوأد، إذ مثلت تلك النجاة فتحاً مبيناً للرسالة الإسلامية، فقد كثر معتنقوها، وكثر الداعون إليها، والمدافعون والمنافحون عنها، نلمس ذلك في قوله(٢):

إنها الليلة التي ولد العا لم في مهد فجرها الوضاء

لاح في ثغرها الفلاح على الكو ن وفاح الصلاح في الغبراء(٣)

وسمت في صباحها عزة الإسـ ـلام والمسلمين في علياء

واستدار التاريخ يملي على الدنـ ـيا سطور الرسالة الغراء

وفي الجزئية الأخيرة منها يصف انتشار الرسالة الإسلامية الواسع على أيدي معتنقيها من الصحابة الأبرار، أمثال خالد بن الوليد، وزيد بن حارثة، وعمرو بن العاص - رضوان الله عليهم - الذين حملوا مشعل العقيدة،

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٣) الغبراء: الأرض لغبرة لونها، أو لما فيها من الغبار.

ليضيئوا به آفاق المعمورة، ويرسوا قيمها، ومبادئها، ومثلها. ويتجلى ذلك في قوله[1]:

وإذا تلكم الصحارى حديث الـ ـفرس والروم من قريب وناء

وإذا تلكم الجزيرة يمتد سناها عبر الذرى والسماء

وإذا خالد وعمرو وزيد فلك دائر على الأجواء

يرسلون الضياء في كل أفق ويداوون كل سقم وداء

وينيرون بالعدالة والإسـ ـلام درب الحياة والأحياء

ويهيبون بالشعوب إلى الحـ ـق نقيا من دعوة الأدعياء

حملوا مشعل العقيدة والإيـ ـمان والعدل والحيا والوفاء

ونحن لو تأملنا هذه القصيدة التي استعرض فيها الشاعر بعض أحداث الهجرة النبوية، وما أسفرت عنه من انبثاق فجر الرسالة الإسلامية في آفاق المعمورة - لوجدنا الوحدة العضوية فيها بجميع مظاهرها. فموضوعها الذي تدور حوله هو بيان أثر الهجرة النبوية في انتشار الرسالة الإسلامية، كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل تلك القصيدة.

فهو عرض - أولاً - لوصف تلك الليلة التي أمر فيها الرسول - ﷺ - بمغادرة مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وجلّى تعاطف الطبيعة وبعض

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦٦-٢٦٧.

المظاهر الكونية مع شخص الرسول - ﷺ - وشخَّص مشاعر الرغبة والرهبة التي انتابت تلك المظاهر، ثم تعرض بعد ذلك لبيان مكيدة كفار قريش، وألمح إلى خطتهم التي دبروها للإطاحة بسيد البشرية ورسالته. ثم يعرض للآثار التي ترتبت على نجاة الرسول - ﷺ - تلك الليلة، وما واكب تلك النجاة من انتصارات خالدة سطرها معتنقو الرسالة الإسلامية - بعد أن كثر عددهم، وقويت شوكتهم - في شتى أرجاء المعمورة.

ومن مظاهر الوحدة في هذه القصيدة، استقصاء الشاعر للمعاني الخاصة بكل فكرة على حدة، لذلك لانجد تكراراً للأفكار والمعاني في أحداث تلك القصة من أولها إلى آخرها. فقد رتب الشاعر الأفكار ثم وفى كل فكرة حقها من المعاني اللازمة بها.

وهذا كله دليل على بروز جانب الوحدة العضوية في هذه القصيدة التي استلهم فيها - من السيرة النبوية - بعض أحداث ليلة الهجرة النبوية.

وتتجلى الوحدة العضوية بجميع مظاهرها في قصيدته (الفيلسوف والطائر الأعمى) التي كانت دفاعاً منه عن العقيدة الإسلامية - ممثلة في أهم أسسها، وهو الإيمان بوجود الله، خالق هذا الكون ورازق كل مافيه - ضد من أنكروا وجوده، وربطوا كل مظاهر الحياة التي نعيشها بالمصادفة.

وقد بدأ السنوسي قصيدته تلك بعرضه لمزاعم القائلين بالمصادفة على لسان أحد فلاسفتهم فيقول[1] :

زعـمـوا أن فـيلسـوفـا عظيـمـا دائم الفكر راحـلا ومـقـيـمـا
كـان من سـخـفـه الكبـيـر غـروراً لا يـرى للوجـود ربا رحـيـمـا
ويرى الأرض والسـمـاء شـمـوسـا ويـدورا تألقـت ونجـومـا
والمحـيطات والجـبـال ومـا هـب ومـا دب طائرا وبهـيـمـا
كلهـا صـدفـة بهـا فـاضت الأكـوان لا خـالقـا ولا قـيـومـا

ثم يعـرض السنوسي لوصف إحـدى رحـلات ذلك الفـيلسـوف ، ورؤيته في تلك الرحلة لمشهد من مشاهد الحياة، حمل في بداية الأمر دليلا على مزاعم ذلك الفيلسوف ، فيقول[2] :

كـان فـي رحلـة فأدركه الأيـن فألقى العصـا يروم الجمـوما[3]
وارتمى في ظلال أيك نضـيـر وتراخى يحـاول التـهـويما[4]
فـرأى طائرا على فـرع غـصـن غـائر الناظرين أعـمى سـقـيـمـا

(١) المصدر السابق، ص ٦٢٨-٦٢٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢٩ .

(٣) الأين : التعب والإعياء، ويروم: يطلب ، والجموم: الراحة .

(٤) التهويما : النوم الخفيف .

جـاثمـا فـوق غـصنه في سكون ... وهــــدوء لا يعـرف التـحـويما

فـرأى فـيـه للجـحـود دليــلا ... واحـتـجـاجـا يعـزز المفـهـومـا

ويواصل السنوسي تقديمه لمزاعم ذلك الفيلسوف بعد أن رأى ذلك المشهد:

واستخفت به الحماقة واستلـ ... ـقى من الضحك هازئا منهوما[1]

كـيف يقـتـات ذلك الطيـر إن را ... م طـعـامـا مـحـاولا أن يقـومـا ؟

كيف يسعى لرزقه كيف يمشـي ... فـاتحا محضرا وسينا وجيما[2]؟

ثم يعرض للمفاجأة التي ترتبت على نهاية ذلك المشهد، والتي حملت رداً قوياً وملموساً على مزاعم ذلك الفيلسوف التي رسخت في ذهنه[3]:

لم يرعـه إلا حـفـيف جـناح ... وصـدى طائر يروم الحـثـومـا[4]

ورآه مـرفـرفـا في اعـتـنـاء ... يقـصـد الطائر الضـرير المقـيـمـا

مـد منقـاره إليـه وألقـى ... في يديه المشـروب والمطعـومـا

وغـدا الطائران إلفـا لإلـف ... مـثلمـا يألف الحـمـيم الحـمـيـمـا

ويصف الشاعر في نهاية هذه القصيدة تحول ذلك الفيلسوف من حالة

---

(١) منهوما : النهمة : بلوغ الهمة في الشيء.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٦٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣٠-٦٣١.

(٤) الحثوما : الحثمة : أكيمة صغيرة سوداء من حجارة.

الكفر والإنكار والجحود - التي كان عليها قبل رؤيته لذلك المشهد - إلى الإيمان بالله وتوحيده:

فإذا الفيلسوف من حكمة اللـ ـه ومن لطفه يخر وجوما

فتهاوى خزيا وآمن باللـ ـه تعالى . . وجل ربا رحيما

ملهم الطائر البصير هداه أطعم الطائر الضرير العديما[1]

فهذه القصيدة كما نرى قد تحققت فيها كل مظاهر الوحدة العضوية، فهي من بدايتها إلى نهايتها ، معنية بتتبع ذلك الفيلسوف، وتحوله من حالة الكفر والجحود إلى الإيمان بالله خالقا ورازقا . كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل القصيدة، فقد عرض الشاعر - أولاً - لمزاعم ذلك الفيلسوف الذي ينكر وجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره، ثم يعرض لمشهد من مشاهد الحياة عزز في بادئ الأمر مزاعم ذلك الفيلسوف وقواها في عالمه، ثم بدأ في رصد التحولات في حياة ذلك الفيلسوف، بعد أن وقع بصره على ما قوّض كل تلك الصروح التي اختزنها فكره، بعد رؤيته لذلك الطائر السليم وهو يمد صنوه الضرير بالطعام والشراب؛ لينتهي به ذلك المشهد إلى الإيمان بوجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره التي نبصرها، والتي لانبصرها .

(١) الأعمال الكاملة، ص٦٣١ .

ومن مظاهر الوحدة العضوية في هذه القصيدة، استقصاء الشاعر للمعاني الخاصة بكل فكرة، فنحن لانجد تكراراً للأفكار والمعاني في أحداث هذه القصيدة التي جاءت في أسلوب قصصي جميل، يغري بمتابعته إلى حيث ينتهي ، وعدم التكرار للأفكار والمعاني راجع إلى ترتيب الشاعر لها في ذهنه، ثم منحه لكل فكرة معانيها اللازمة لها.

وتبدو الوحدة العضوية - أحياناً - في بعض قصائده التي خلت من النزعة القصصية ، ويأتي في مقدمة هذه القصائد ، قصيدته (حطم المارد القيود)[(١)] و(اللحن السجين)[(٢)] و (آل سعود في التاريخ)[(٣)] و (انتصار الحرية)[(٤)] و (هوية الإنسان)[(٥)] و (خطر لاجئ)[(٦)] و (الليل والشاعر)[(٧)] و (وعقدة الأسى)[(٨)] وغيرها كثير في شعر السنوسي .

وقد توافرت الوحدة الفنية لهذه القصائد وغيرها، من خلال هيمنة إحساس واحد وشعور واحد على كل منها ، وتضافر الألفاظ والصور في كل قصيدة من تلك القصائد لإبراز الإحساس أو الشعور المهيمن عليها .

(١) المصدر السابق، ص ٢٦-٣١ .
(٢) ص ٩٥ - ٩٧ .
(٣) ص ١٦٤-١٧١ .
(٤) ص ٣٣٠ - ٣٣٤ .
(٥) ص ٣٧٨، ٣٨٠.
(٦) ص ٤٧٦-٤٧٩ .
(٧) ص ٤٨٠-٤٨٢ .
(٨) ص ٥٦٧-٥٧٠ .

ونقف في بعض قصائده الأخرى على هذه الوحدة ، إلا أنها لاتشمل النص بكامله، وإنما تستقل بعدة أبيات منها، فنرى تلك الأبيات بنية حية متماسكة ، تتضافر فيها الألفاظ والصور ؛ لتجلية المعنى الذي يرمي إليه، أو إبراز الإحساس الذي اعتراه فيها .

ومن نماذج تلك الوحدة في بعض قصائد الشاعر، قوله في قصيدته (رمضان) باثاً شكواه لذلك الشهر الكريم من حالة الضعف التي تمر بها أمته الإسلامية، واصفاً تقهقرها أمام الأمم [1] :

رمضان معذرة فإنـ ... ـا لا وراء ولا أمام
نمنا وأسرى المدلجو ... ن وما عسى يجد النيام
طال الطريق بنا وضل ... وهد منكبنا الزحام
ولوى الطموح عنانه ... وانقد من يدنا الزمام
سخرت بنا الأهواء وانـ ... ـطلقت تقهقه في عرام [2]
وتخاذلت همم النفو ... س فلا انطلاق ولا اقتحام
حال يغص بها الكرا ... م شجى ويبتهج اللئام

فالشاعر - كما هو ملاحظ هنا - قد استوفى عناصر الفكرة التي أراد التعبير عنها، فهو هنا يصف حالة التقهقر التي تمر بها الأمة الإسلامية على

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) تقهقه في عرام : أي تضحك بشدة إمعاناً في السخرية.

مرأى ومسمع من أبنائها ، وقد تظاهرت الألفاظ والصور في تلك الأبيات في إبراز تلك الفكرة وذلك الإحساس الذي هيجته في عالمه إطلالة شهر رمضان المبارك وذكريات أول انتصار للمسلمين على الكفر والطغيان.

ونقف على تلك الوحدة في بعض أبيات من قصيدته (جهاد واتحاد) كما في قوله واصفا تحفز أبناء فلسطين للجهاد [1]:

فعلى شاطئ القناة وفي الأر	دن نهرا وقمة ووهادا[2]
نفر يغزلون للنصر فجرا	عربيا يمحو سناه السوادا
نفر أقسموا بربهم الأعـ	ـلى يمينا لأرضهم أن تعادا
وقفوا كالجبال حزما وعزما	وتحدوا الطغاة والمرادا
وتباروا إلى اللظى والمنايا	يرخصون الأرواح والأجسادا
لا يقيمون للصواريخ وزنا	حين تنقض جملة أو فرادا
في الطريق الرهيب طاروا صقورا	ومشوا في ظلاله آسادا

فالوحدة التي ننشدها قائمة في هذه الأبيات ؛ لأن الفكرة التي تدور حولها الأبيات السابقة واحدة ، وتتمثل في تأكيد استعداد أبناء فلسطين لملاقاة عدوهم وتحفزهم له، وقد أسهمت الصور الجزئية التي استعان بها السنوسي في هذه الأبيات في رسم معالم الصورة الكلية التي حققت تلك الوحدة.

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٩٠-٤٩١ .

(٢) الوهاد : المكان المطمئن من الأرض والمنخفض كأنه حفرة .





الشكل والصورة في الشعر الإسلامي





المعجم الشعري

المعجم الشعري

من الأمور البديهية في عالم الشعر أن لكل شاعر معجمه الذي يظهر لنا عن طريقه مفهومه للكون المحيط به ويحدد علاقاته بالآخرين ، ولعل هذا لايكاد ينطبق إلا على الشاعر المبدع الذي لا نرى فيه صورة غيره ، وإن كنا نؤمن بوجودها في مسيرة الشاعر الشعرية قبل أن يتم له النضج [(١)] ، وهذا نفسه ينطبق على شاعرنا ، فبداياته الشعرية نلمس فيها احتذاءه لشعرائنا القدماء - من العصر الجاهلي والأموي والعباسي - في حبكهم للقصيدة وبنائها وإيثارهم للألفاظ الجزلة والفخمة فيها . ومرد ذلك لقراءاته الأولى التي أبان عن أثرها في شعره بقوله : « ولعل قراءتي الأولى للشعر كانت المعلقات ، ثم وجدت في مكتبة والدي مختارات البارودي بأجزائها الأربعة ؛ فكانت مدرستي وجامعتي الأدبية ، فنهلت من شعر الشعراء الذين ضمت أشعارهم تلك المختارات حتى استقامت في لساني ، وجرت على قلمي الكلمة العربية الأصيلة في أسلوبها الفني وديباجتها » [(٢)] .

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبدالله صالح المحسن ، ط(١) ١/ ٧/ ١٤١١هـ - ١٦/ ١/ ١٩٩١م ، ص١٦١ «بتصرف» .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد (٧٣) ، رجب ١٤٠٣هـ ، في حوار أجراه معه أحمد عائل فقيه .

وكما تأثر معجم شاعرنا بقراءاته في كتب التراث ، والمختارات والدواوين الشعرية لشعرائنا القدماء ، تأثر أيضاً بواقعه وعصره الذي يعيشه ، «ذلك لأن الشاعر يعيش وسط المجموع ، وفي إطار فترة تاريخية تتميز عن سابقتها ولاحقتها بمميزات أهمها التطور الحضاري ، الذي يؤثر بصورة أو بأخرى بكل مجريات الحياة ويطبعها بالطابع العصري» (١) ولم يكن الشعر بمنجاة من هذا التطور الذي أثر في مجريات الحياة خاصة في ألفاظه (٢) .

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو الوقوف على معجم شاعرنا الإسلامي ، ومحاولة الإلمام بالروافد التي شكلت ذلك المعجم في شعره الذي عنينا بدراسته . ولعل المتأمل في شعر شاعرنا الإسلامي يقف على عمق أثر ثقافته الإسلامية في ثراء معجمه الشعري الإسلامي ، وتعدد مصادر ذلك المعجم . وسنقتصر - في دراستنا - على مايؤكد تأثر معجم شاعرنا بمصادر ثقافتنا الإسلامية .

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، ص ١٧١ .

(٢) يقول الدكتور عبدالقادر القط عن الشعر إنه «يتأثر بالتطور الحضاري ، وإن لم يتخذ صورة تغير حاسم من مرحلة إلى أخرى» الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ط(٢) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص٣٥٠ .

أولاً : الاقتباس من القرآن الكريم :

يقول السنوسي في قصيدته (أم القرى) التي كانت صدى واستجابة لذلك التجمع الإسلامي الذي شهدته مكة المكرمة ، في أول مؤتمر يجتمع فيه المسلمون لمناقشة أوضاعهم المختلفة ، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لما يعانونه من جراء حالة التفرق والتشتت التي شلت قواهم ، وأفقدتهم عزتهم ومنعتهم :

آنست فيه سنا من القبس الذي   موسى تشوفه هدى وتنورا [1]

فمعظم ألفاظ هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى نارا ، فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى** ﴾ [2].

وفي قصيدته (حطم المارد القيود) يصف السنوسي مشاركة إخوانه العرب ، في دحر العدوان الثلاثي ، وتأميم قناة السويس إلى جانب إخوانهم في مصر :

أسفر الحق من وراء الأباطيـ   ـل وسرنا يحدو سرانا الفلاح

واعتصمنا بعروة الوحدة الوثـ   قى وشدت على القلوب الصفاح [3]

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٥ .

(٢) سورة طه ، الآية ٩ - ١٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٣٠ .

فلفظتا (العروة ، الوثقى) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ [(١)].

وفي قصيدته (بطولة الجزائر) يؤكد إيمان أبناء الجزائر بقضيتهم ، وأحقيتهم باستعادة أراضيهم التي ظن المستعمر البغيض أنها امتداد لأراضيه ، واصفا شجاعتهم وبسالتهم :

هنا جبهة التحرير والحق والهدى تخر النواصي عندها وتصاب[(٢)]

فلفظة (النواصي) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾ [(٣)].

ويمضي شاعرنا في نفس القصيدة ، مؤكدا ومعمقا إيمان الجزائريين بقضيتهم ، وتصميمهم على دحر طغيان فرنسا ، وتحسيسها بمرارة الهزيمة ولوعات الذلة والانكسار ، قائلا :

هنا النار زاد للجياع وها هنا حميم لأكباد الظماء شراب[(٤)]

فلفظة (حميم) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٠ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية ٤١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ١٩١ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٤ .

وفي قصيدته (تأميم وتصميم) التي كانت صدى لذلك التكتل العربي في وجه العدوان الثلاثي الذي شنته بريطانيا وحليفاتها على مصر. يقول مستنكراً على لسان الملك فيصل - رحمه الله - تلك الفعلة الشنيعة ، متناسية مواقف البلدان العربية - بما فيهم السعودية - الجميلة معهم في حروبهم مع الألمان :

فيا خلعاء السين والمنش إننا نذكركم لو تنفع الغادر الذكرى [1]

فألفاظ الشطر الثاني من هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾ [2].

وفي قصيدته (اليوم الخالد) التي كانت استجابة لذلك المشهد الروحاني الجميل ، الذي يجتمع فيه المسلمون من كل حدب وصوب ، في وحدة رائعة في الوجهة، والزي، والغاية. يقول السنوسي :

من كل فج أقبلوا حسرا شوقا إلى البيت العتيق الحرام [3]

فلفظ (فج) مأخوذة من قول الله تعالى : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾ [4].

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٦٠ .

(٢) سورة الأعلى ، الآية ٩ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٤٤٨ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٧ .

ويستلهم موقف الرسول -ﷺ- في ذلك اليوم الخالد وخطبته التي أتم بها للمسلمين رسالة ربهم إليهم قائلا :

اليوم أكملت لكم دينكم وتمت النعمة فيكم تمام [1]

فألفاظ هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [2].

وفي قصيدته (دعوة الحق) التي يرد فيها على متهمي الدين بالجمود والرجعية يتذكر ماضي الإسلام والمسلمين بقوله :

وكنا خير أمته خلالا بدين محمد متمسكينا [3]

فمعظم ألفاظ الشطر الأول مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [4].

ويؤكد في نفس القصيدة وضوح الدين الإسلامي بقوله :

طريقا واضحا لا أمت فيه ولا عوجا هداة مهتدينا [5]

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٤٩ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٣ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٥) الأعمال الكاملة، ص ٥٥٤ .

فلفظتا (عوجا ، أمتا) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ **لا ترى فيها عوجا ولا أمتا** ﴾ (١).

وفي قصيدته التي خص بها أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - يقول :

سيرا - فديتكما - سيرا إلى بلد ... لله في حواريون أنصار(٢).

فلفظتا (حواريون ، أنصار) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** ﴾ (٣).

ويقول في نفس القصيدة :

هذا وقد جاء نصر الله منبلجا ... وأشرقت بالهدى دور وأمصار (٤)

فالألفاظ (جاء نصر الله) من قوله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ (٥).

وفي قصيدته (هي الجزيرة) يؤكد دعوة الدين الدائمة إلى الحق بقوله :

---

(١) سورة طه ، الآية ١٠٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٥ .

(٣) سورة الصف ، الآية ١٤ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٦ .

(٥) سورة النصر ، الآية ١ .

دين إلى الحق يدعـــــو كل ذي شطط

ودعــــوة الحــــق لا تعنو لجــــبار [1]

فلفظة (شطط) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا** ﴾ [2].

وفي قصيدته (قوس حاجب) يحث المسلمين على الوحدة ومن ثم تجديد عزة الإسلام عن طريق الجهاد وقيادة العالم من جديد ، مبلغين رسالة ربهم ، مؤكداً لهم أنهم يستطيعون ذلك فالوقت لازال فيه متسع لهم :

وفي الخصم لمن شدت سواعده سبح يهون به التيار مصطخبا [3]

فلفظة (سبح) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **إن لك في النهار سبحا طويلا** ﴾ [4].

ويقول في قصيدته (بطولة الجزائر)

وإن لم يكـــن إلا عتـو وغلظـة فليس لنا إلا الرصاص جواب [5]

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣١٢ .

(٢) سورة الجن ، الآية ٤ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ١١١ .

(٤) سورة المزمل ، الآية ٧ .

(٥) الأعمال الكاملة، ص ١٩٩ .

فلفظتا (عتو ، غلظة) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ **أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور** ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** ﴾ [2].

وفي نفس القصيدة يقول :

فكل ريال من يديك رصاصة لكل فرنسي طغى وعذاب [3]

فلفظة (طغى) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى** ﴾ [4].

ويقول في قصيدته (إفاقة) :

كأن على الإنسان ضربة لازب عبور الطريق الوعر مهما تزودا [5]

فلفظة (لازب) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾ [6].

وفي قصيدته (أبي) يقول :

وتدجى الدجى الكثيف بجلبا ب التياعي وسابغات حداد [7]

---

(١) سورة الملك ، الآية ٢١ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٣ .
(٣) الأعمال الكاملة، ص ١٩٦ .
(٤) سورة النازعات ، الآية ١٧ .
(٥) الأعمال الكاملة، ص ٣٦٤ .
(٦) سورة الصافات ، الآية ١١ .
(٧) شعراء من الجنوب ، ص ٩٧ .

فلفظة (سابغات) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير** ﴾ [1].

وفي قصيدته (فرحة اليمن) التي كانت صدى جميلاً لروح الأخوة الحقة التي سادت بين الأشقاء في اليمن ، بعد سنوات من الشقاق والحروب الأهلية المدمرة يقول :

وتريق فوق النار ثجاجـــا سخي المعصرات[2]

فلفظتا (ثجاجا ، المعصرات) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا** ﴾ [3].

وفي قصيدته (أبي) التي كانت دمعة حرى كاوية ، أراقها رحيل والده ومغادرته الحياة الدنيا . يقول :

وارسل الطرف رائدا يرجع الطـــر ف حسيرا ولن ترى غير باد[4]

فلفظة (حسير) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ﴾ [5].

---

(١) سورة سبأ ، الآية ١١ .

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٥٠٦ .

(٣) سورة النبأ ، الآية ١٤ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

(٥) سورة الملك ، الآية ٤ .

وعلى لسان فرسان الحرس الوطني يقول :

إي ورب العـــاديـــات فـــــي الضـــحى والموريات
والمغـيـرات صباحـــا ومســـــــاء كـالبـــزات[1]

فالألفـاظ (العاديات ، الضحى ، الموريات ، المغيرات ، صباحا) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ **والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا** ﴾[2].

وفي قصيدته : (بطولة الجزائر) يقول :

أخي إنهـــا أرضي وأرضك أشــرقت بأبــائنا طـــوبى لهم ومـــآب[3]

فلفظتا (طـــوبي) و (مآب) مأخـــوذتان من قـوله تعالى :

﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب** ﴾[4].

ومن مظاهر اقـتـبـاسـه من القـرآن ذكـره لعـدد من الأنـبـيـاء والرسل ، وإشارته لبعض قصصه لأخذ العبرة منها . حيث نجد في معجمه أسماء بعض الرسل والأنبياء. نلمس ذلك في قوله :

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٧٩٢ .

(٢) سورة العاديات ، الآية ١ ، ٢، ٣.

(٣) الأعمال الكاملة، ص ١٩٦ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٩ .

ميلاد (عيسى) ومسرى (أحمد) وهدى
(موسى) ومجمع خطابي ومقدادي[(١)]

وقوله :

مقام (إبراهيم) سامي الخطى وحجر (إسماعيل) نعم الغلام[(٢)]

وقوله :

أجل إنه ما زال شرخا ولم تزل بفي القوافي من مزامير (داوود)[(٣)]

وقوله :

(يوسف) كان الجمال له محنة والطهر في أزره[(٤)]

ومن قصص القرآن التي أشار إليها السنوسي قصة (عاد وثمود) في وصفه لشجاعة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وهمته التي دفعت به إلى مواجهة الأخطار في سبيل استعادة ملك آبائه وأجداده من الذين اغتصبوه منهم، وعملوا على نشر الظلم في أنحائه :

والثرى تسرح في أشباحه العماليق وعاد وثمود[(٥)]

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

وإشارته إلى قصة (قارون) الذي أهلكه الله عقابا له على طغيانه ، بسبب ماوهبه الله من أموال :

مضت منذ قارون بنا وحياتنا　　تدور على أهوائها وتسير [(١)]

وهناك ألفاظ قرآنية يكثر الشاعر من تكرارها ، منها مايتعلق بأصول العقيدة مثل : الهدى، التقى ، البر ، الإيمان ، التوحيد ، التكبير ، التهليل ، ومايقابلها من ألفاظ الشرك والكفر .

وكذلك العبادات مثل : الصلاة ، الصوم ، الحج ، الركوع ، السجود . بالإضافة إلى الألفاظ التي تتعلق باليوم الآخر مثل : النار ، الحساب ، الجحيم .

ومن شواهد ذلك قوله :[(٢)]

رصيد الحياة الخير والبر والتقى　　وكل رصيد غيرهن قشور

وقوله :[(٣)]

فللدين فضل في الحياة لأنها　　بغير الهدى تغدو جحيما به نصلى

وقوله :[(٤)]

قدمي ثابت يوطده الإيـ　　ـمان بالله والنهى والحقوق

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٣ .

وقوله : (١)

هلل الكـون علـــــى أصـدائهـا واسـتـهل النصـر وافـتـر السـعـود

وقوله : (٢)

تملأ بالتكبـيـر قلــــــب السـمـا على اخـتـلاف في اللغى والكلام

وقوله : (٣)

في حــيـاة طليـقـة الخطو لكـــن في حــدود الرشـــاد والتــوحــيـد

وقوله : (٤)

ظن الصـيـــام عـــــن الـغــذا ء هو الحـقـيـقـة في الـصـيـام

وقوله : (٥)

حج كـمـا شـاءت نفـوس الورى مـبـرأ مــــن كل عــيب وذام

وقوله : (٦)

تـســـمــــو بهــــا الصـلوات والـدعــــوات تـضطـرم اضطـرام

(١) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٥١ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٩ .

وقوله :[1]

ملك لـــــم يطأطئ الرأس إلا في ركـــوع لربه أو ســـجـــود

وقوله :[2]

صـبـبنا عليــه النـــار صـبـا فـأجـفلت
تهـاوى ورحنا نحـصـد الشـرك والكفـرا

وقوله :[3]

وأنت مـلاق كل شيء عـملتـــه جـزاء وفـاقـا والحـسـاب عـسـيـر

ثانياً : الاقتباس من الحديث النبوي :

تأثر مـعـجم السنوسي الشـعـري بالحـديث النبـوي كـمـا تأثر بالقـرآن الكريم ، إلا أن تأثيره لم يكن بنفس العمق ، ويبدو لي أن سهولة حفظ آيات القـرآن الكريم وسـوره ، ومن ثم تلاوة تلك الآيات والسـور في عـبـاداته وبالأخص في صلواته الخمس كانا وراء ذلك الأثر والعمق .

ومن مظــاهر تأثر معجم السنوسي بالحديث النبوي قوله عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- :

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .

العبـقـري الذي يخشى صرامتـــه

إبليس أني مـــشى في الســـهل والجلد[١]

فلفظة (عبقري) مأخوذة من قول الرسول - ﷺ - : (أريت في المنام أني أنـزع بدلـــو بكرة على قليب فجاء أبـوبكر فـنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له . ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً ، فلم أر عبقرياً يفري فريه ، حتى روى الناس وضربوا بعطن)[٢] .

وقوله في قصيدته (إلى غزاة الفضاء) :

مـدينة النـــور عـاد النـــور منطلقــاً

من لابتـيك قـويا مـثل مـا كـانا[٣]

فلفظة (لابة) مأخوذة من قول الرسول -ﷺ - (إني أحـرم مـا بين لابتي المدينة أن يقطع عضاها ، أو يقتل صيدها . . .)[٤] .

وقوله في قصيدته (جامعة سعود) :

بخ بخ يا شـبـاب الضـاد إن لكـــم

من الثـقـافـة إكـسيـراً من الهـرم[٥]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٢٢ .

(٢) فتح الباري ، كتاب فضائل الصحابة ، ج(٧) ص ٤١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (١) ص١٨١ .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٥ .

فقوله (بخ بخ) مأخوذ من قول الرسول - ﷺ - : (بخ بخ) لخمس ماأثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده . .)[1] .

وقوله في قصيدته (أمامك دنيا) :

حياتك أن تلقى الحياة بهمة

تخوض الخضم العد والثمد الضحلا[2]

فلفظة (ثمد) مأخوذة من قول الرسول -ﷺ - : (ما خلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت به قال : فعدل عنها حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء . . .)[3] .

ثالثاً : إقتباسه من التاريخ الإسلامي :

يعد تاريخنا الإسلامي بأحداثه المختلفة من المصادر التي أثرت معجم شاعرنا الإسلامي .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٣٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٩ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٢٩ .

والمتأمل في تجارب السنوسي الشعرية يقف على استدعائه لبعض شخصيات تاريخنا وأحداثه ، كما يجد ذكراً لبعض الأماكن التي وقعت فيها بعض الأحداث المهمة في تاريخنا الإسلامي . فمن الشخصيات التي استدعاها وضمنها في تجاربه الشعورية شخصية أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، والمثنى بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمار بن ياسر ، وخولة بنت الأزور ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين الأيوبي ، وسيف الدولة الحمداني . . . وغيرهم . ومن شواهد ذلك قوله :

في ردة لا (أبا بكـــــر) يصـــاولهـــا
ولا يقـاومـهـا (عـمـرو) و (عـمـار) [1]

وقوله :

ملك في إهــابه (عــمــر) الفــا   روق رمــز الرشـاد والعـبـقــريه [2]

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٤٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٢ .

وقوله :

إيه يا أخت (خـــولــــــة) و (المثنى)

قــد رفــعنا بك الرؤوس اعــتــــــــــدادا(١)

وقوله :

أنجـبت (خـالدا) و (سـعـدا) ومازا

لـت مـــــدى الـدهر تـنجـب الروادا (٢)

وقوله :

و (علي) و (طلحـــة) و (المثنى)

و (أبو حـفص) والشـهـيـد ابن (ياسـر) (٣)

وقوله :

أ (أبو عـبـيـدة) في الكتـيـبـة صـائل

أم (خـالـد) يسـقي الكمـاة منونا(٤)

وللأماكن التي شهدت بعض الأحداث المهمة في تاريخنا الإسلامي والغزوات والمعارك الهامة وجود في معجمه الشعري .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨١ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ١٠٥ .

ومن شواهدنا على ذلك قوله :

بين إشـراقـة الهـدى من (حـراء)　　وانطلاق الشعـاع نحـو (قـبـاء)[(١)]

وقوله :

وثـق أن لـلإيمـان بـالحـق قــــــوة
وأن له في كل مـــعـــركـــة (بـــدرا)[(٢)]

وقوله :

ومـن ربـاهـا ربـاهـا الـطـاهـرات ثـرى
تنفس الصـبح من (بدر) ومن (أحـــد)[(٣)]

وقوله :

يالهـــا أمـــة أعـــادت إلينـــا
ذكـريات (اليـرمـوك) و (القـادسـيـه)[(٤)]

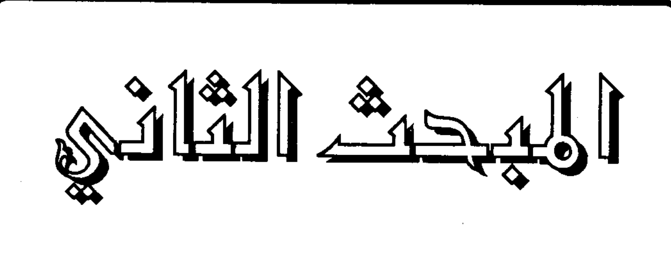
وقوله :

فكانت (الجـمـل) الشـوهاء عـاصـفـة
لـم تبق ركـنا ولـم تـتــرك عـــرى وتـــد
وشـق (صـــفـين) صـف المسـلمين إلى
صـفين يضــرب بعض بعض في حــرد[(٥)]

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .
(٣) المصدر السابق، ص ٥١٥ .
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٣ .
(٥) المصدر نفسه، ص ٥٢٤ .





الأسلوب

الأسلوب

تعددت الأساليب في تجارب السنوسي الشعرية تعدداً واضحاً وملموساً، ولعل في ذلك التعدد دليلاً على سعة ثقافة الشاعر وشمولها، ومقدرته في اختيار الشكل أو الإطار الملائم لكل تجربة من تجاربه؛ وذلك لإدراكه بأن لكل تجربة معجمها الخاص بها، وصورها، وموسيقاها، فما يصلح من تلك العناصر لتجربة لايصلح - في الغالب - لتجربة أخرى .

ومن المعروف أن الأسلوب (الإطار) والأفكار والمعاني (المضمون) هما : الدعامتان الأساسيتان لكل عمل أدبي ، رغم اختلاف النقاد قديماً وحديثاً حول هاتين الدعامتين ممثلتين في (اللفظ والمعنى) وانقسامهم حيالها إلى فئتين : فئة تناصر اللفظ وبلاغته مقدمة إياه على المعاني، كأبي عثمان الجاحظ ، وأبي هلال العسكري وغيرهما . ومن المحدثين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي . وفئة تناصر المعاني فتقدمها ، وتجعل الألفاظ تابعة لها ، ويأتي في مقدمة هذه الفئة ، ابن قتيبة ، وعبدالقاهر الجرجاني ، ومن المحدثين الدكتور زكي مبارك ، ورغم ذلك الإختلاف حول اللفظ والمعنى ، أو (الإطار والمضمون) إلا أن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان «أنه لا انفصال بين الإطار والمضمون، بل هما مترابطان أشد ما يكون

الترابط، وممتزجان في كل تعبير مقصود أقوى مايكون الامتزاج»[1] نظراً للصلة الوثيقة بين المعاني وطريقة التعبير عنها بالألفاظ، وللعلاقة القوية القائمة بين الدال والمدلول.

فصاحب الصياغة الفنية - مهما حرص على إبراز صياغته - لايستطيع - بأي حال من الأحوال - إغفال الأثر الذي يتركه المعنى في العمل الفني، وكذا الحال مع الذي يُغلّب جانب المعاني على الألفاظ، فهو لايستطيع - أيضاً - إنكار ما للصياغة من دور فعال ومؤثر في عمله الفني.

وقصارى القول في هذه القضية أنه متى ما «استطاع الأديب أن يطابق بين بلاغتي اللفظ والمعنى فقد جمع بين الحسنيين، . . . أما إذا فرغ في جانب دون جانب فإنه لن يسلم من ألسن الناقدين»[2].

والشعر الجيد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، فترق تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلب تلك الرقة، وتجزل وتشتد في المواضع التي تتطلب تلك الشدة والجزالة.

وإذا نحن تتبعنا ألفاظ شاعرنا التي استعان بها لأداء تجاربه الشعرية

---

(١) قضايا النقد الأدبي، د. بدوي طبانة ص ١٧٢.

(٢) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، د. محمد نبيه حجاب، ط(٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

فإننا سنقف على مدى توفيقه في اختيار الألفاظ الملائمة لكل تجربة من تجاربه، حيث ترق تلك الألفاظ في بعض التجارب التي تتطلبها ، وأكثر ما تتجلى تلك الألفاظ في وصفه، وشكواه، وغزله، ورثائه، وتشتد وتجزل في فخره بماضي أمته، ومدحه، وفي تجاربه التي كانت صدى للحملات الاستعمارية الشرسة التي شنتها أوروبا على عالمنا العربي والإسلامي.

ففي وصفه نجده يلائم بين رهافة حسه ورقة معانيه، وبين مايختاره لها من ألفاظ تتسم بالرقة والعذوبة كما في قوله واصفاً الجو الروحاني السائد في الحرم المكي الشريف قبل اقتحامه من قبل الفئة المارقة [1]:

في سنا الفجر في انبلاج الصباح　　والهدى في عبيره الفواح

والورى يستظل في كنف اللـ　　ـه وفي بيته بخير جناح

زمرا بين طائف ومصل　　ومنيب إلى نداء الفلاح

يستمدون من ندى رحمة اللـ　　ـه وغفرانه بكف وراح

وسكون الأرواح بين يديه　　خاشعات في بهجة وانشراح

وحفيف الملائك الطهر ينسا　　ب على المسلمين في خير ساح

فالألفاظ المستخدمة في وصف الشاعر لذلك الجو ألفاظ سهلة رقيقة رشيقة الجرس، تلائم الجو الروحاني الذي عني بتجسيده في وضوح

---

(١) جريدة الندوة ، العدد (٦٤٠٧) في ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ .

تام ينبئ عن رقة طبعه ورهافة ذوقه، نلمس ذلك في مثل قوله : (انبلاج الصباح) و (عبيره الفواح) و(الورى يستظل في كنف الله) و(منيب إلى نداء الفلاح) و(سكون الأرواح) و(خاشعات في بهجة وانشراح) و(حفيف الملائك الطهر ينساب). ونستمع إلى مثل هذه الألفاظ الرشيقة العذبة في قوله واصفاً كلام أحد ابنائه الصغار [1] :

رفرف العصفور جنبي ... وزقا يطلب قربي

وتهادى ناعم الخطـ ... ـوة في رقص ووثب

وأراق اللحن في سمـ ... ـعي فهز اللحن قلبي

فتلفت إلى صو ... ت ندي النبر عذب

شد إحساسي وأنفا ... سي وأعصابي ولبي

إلى أن يقول :

إنها أفصح من أفـ ... ـصح شعر المتنبي

إي وربي إنه ابني ... إنه عصفور قلبي

ونجد في مناجاته ألفاظاً رقيقة ، عذبة ، سهلة ، نستمع إليها في مثل قوله من قصيدة (رمضان) [2] :

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٦٩ - ٣٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

رمضان يا شهر الصيا م الحر من أسر الظلام
أطلق بأضواء الهدى أسر النفوس من الحطام
وأنر بقدسي الصفا ء رؤى الحياة من القتام [1]
وانضح عواطفنا تقى واغمر نوازعنا وئام

فالألفاظ هنا واضحة ، قريبة المأخذ ، حلوة الجرس ، نلمس ذلك في قوله : (الظلام) و(أسر) و(الحطام) و(قدسي الصفاء) و(رؤى الحياة من القتام) و(عواطفنا) و(وئام) .

وفي بعض قصائده الوطنية نقف على ألفاظ رقيقة ، واضحة، ومن ذلك قوله [2] :

هتفت والشعور روح وراح ويك غرد فقد أضاء الصباح
الصباح الذي له من منى النفـ ـس انبلاج ومن هواها انصياح
قف على قمة الزمان مع التـا ريخ واهتف يهزك الارتياح [3]
وتأمل شواطئ النيل والبشـ ـرى على ضفتيه والأفراح
هدأت ثورة الخضم وقرت ونجا بالسفينة الملاح

(١) القتام : الغبار .

(٢) الأعمال الكاملة ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) الارتياح : السرور والنشاط .

فالشاعر هنا يشارك إخوانه في مصر فرحتهم بتأميم قناة السويس وطرد البريطانيين منها. مظهراً فرحته تلك، بألفاظ رشيقة، تحمل جرساً رقيقاً يتناسب مع جو الفرحة التي يعيشها، وتبدو تلك الألفاظ في مثل قوله: (أضاء الصباح) و(له من منى النفس انبلاج) و(من هواها انصياح) و(يهزك الارتياح) و(البشرى على ضفتيه والأفراح).

ونقف في رثائه وشكواه من حاضر أمته الأليم على ألفاظ رقيقة موحية تشاكل الموضوع وتناسبه، ومن ذلك وصفه لحزنه الساري بين جوانحه في قوله راثياً أباه [(١)]:

حاطني يا أبي بفقدك ليل	**آدني طوله وأعيا سهاد**
سلب النوم من جفوني وأورى	**بفؤادي جمر الغضا والقتاد**

وفي قوله:

صور تبعث الأسى وعهود	**أنا منها في حرقة واتقاد**
رددت صوتي السماء ولم أسـ	**ـمع جواباً فمن تراني أناد**
وملأت الفضاء جهشة باك	**رجعتها الرياح في كل واد**

فالشاعر في هذه الأبيات يعبر عن الأسى والحزن الذي ألم به؛ نظراً لوفاة أبيه، بألفاظ تقطر ألماً، فيها كثير من الإيحاءات الموجعة، وتتجلى

(١) شعراء الجنوب، ص ٩٦ - ٩٧.

تلك الإيحاءات في قوله: (آدني طوله) و(أعيا سهاد) و(سلب النوم من جفوني) و(أورى بفؤادي جمر الغضا) و(صور تبعث الأسى) و(جهشة باك).

وفي فخره بماضي أمته، وإشادته بالرسالة الإسلامية، وكثير من شعره الوطني، نقف على ألفاظ تخالف ما سبق أن أشرنا إليه، وأهم ما يميز هذه الألفاظ الشدة والجزالة الملائمتان لمعاني تجاربه. ومن ذلك قوله مشيداً بالرسالة الإسلامية [1]:

نور تألق من نور فرق به
قلب الحياة وبض الصخر بالبرد [2]
وفاض عبر شعوب الأرض مندفقا
يحي القلوب ويشفي ثغر كل صدي
جرى فأخصبت الدنيا ندى وهدى
تمازجا كامتزاج الروح بالجسد
وأشرقت بابن عبدالله وأتلقت
رسالة الله زاه نورها الصمدي

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥١٥ - ٥١٦.

(٢) بض: سال.

ففي هذه الأبيات تظهر ألفاظ قوية فخمة تناسب مقام الإشادة بالرسالة الإسلامية . مثل : (بض الصخر) و (وفاض عبر شعوب الأرض مندفقاً) و(زاه نورها الصمدي) .

ومثل هذه الألفاظ القوية الفخمة نجدها في قصائده التي كانت صدى لبعض الحملات الاستعمارية الشرسة ، كما في قوله [1] :

أثرها على المستعمرين وشنها

لظى تشعل الأجواء والبر والبحرا

فقد أصلتت منك الكنانة صارما

وأطلق منك النيل في جوه نسرا

وهبت أعاصير العروبة والردى

على المارد الجبار تعصره عصرا

وثارت شعوب الأرض للحق غضبة

على حلفاء البغي تمطرهم زجرا

صراع يهز الغرب رعبا وثورة

تدوس الهوى والطيش والتيه والكبرا

فالأبيات التي أمامنا تحفل بألفاظ جزلة قوية تحمل دلالات التهديد والإنذار للمستعمر الغادر، وتركيبات تكشف عن ثورته الحماسية، فيشحن

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٥٣ .

حديثه بالألفاظ الطنانة الثائرة، المليئة بالإيقاع والحركة . مثل : (أثرها على المستعمرين) و(شنها لظى) و(تشعل الأجواء والبر والبحرا) و(تمطرهم زجرا) و(يهز الغرب رعبا وثورة) و(تدوس الهوى والطيش والتيه والكبرا) .

ويمكننا بعد هذه الإلمامة أن نقول : إن السنوسي قد استطاع أن يحقق في شعره سلامة اللفظ وفصاحته ووضوحه، وأنه قد وفق - كثيراً - في الملائمة بين ألفاظه ومعانيه .

وأسلوب السنوسي - كما أفصحت تجاربه - عربي محض ، لا تشوبه شائبة عجمه، ولا ترى عليه أثارة سخف . ولعل السبب في ذلك راجع إلى تمكنه من اللغة، وإمساكه بناصية الكلام، لذلك نسمع في أسلوبه موسيقى عذبة النغم، مستوية الجرس، لانحس فيها نبواً ولا شذوذاً .

وكثيراً مايكون أسلوبه خطابياً، يغلب عليه التنويع والتقطيع، فاسترسال وتوقف أو التفات أو اعتراض ، وإخبار أو تعجب أو إضراب، فإذا جلجلة يتنوع فيها النغم، وتتتابع الحركات في رشاقة وإسراع ، نستمع لمثل ذلك في قوله من قصيدته (اليقظة العربية) [1] :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

يا دعـــاة الســـلام تلك فـــرنســـا
تتـحــدى مــشــاعــر البــشــريه
تحــرق الأرض باللهــيب وتشـــو
يهــا جــهـــارا وتصلب الحـــريه
وهي في ظـلكـم تروح وتـغـــــدو
أفــلا تزجـرون تلك الشــقــيــه ؟
أتقــيـــمــــون مــــأتما يملأ الكو
ن ضـجـيـجـا لكلبـة روسـيـه ؟
وتصـــمــــوا آذانكم عن عـــويل
صــارخ في الجــزائر العـــربيـــه
يا لهـــا دعـــوة يصلي لهـــا الذئـ
ـب إمـامـاً بين الصـفـوف التـقـيـه !

وهناك ظواهر أسلوبية متنوعة قد يشترك فيها كثير من شعراء العربية، إلا أنهم يتفاوتون في تناولها من شاعر إلى آخر من ناحية الكم والكيف، ويجد الدارس لشعر أحد الشعراء جملة من الخصائص اللفظية التي تكون عبارته الشعرية، وتتكرر هذه الخصائص حتى تصبح سمة بارزة، ولازمة من لوازم أسلوبه.

ومن أبرز الظواهر الأسلوبية في شعر (السنوسي) الإسلامي مايأتي :

الاقتباس من الأسلوب القرآني :

يقف المتأمل في تجارب السنوسي التي عنينا بدراستها على تأثره ببعض الأساليب القرآنية، ومن تلك الأساليب : أسلوب الدعاء ، والنداء ، والمدح ، والذم، والقسم ، والتحذير .

ولن نقف في دراستنا هذه عند كل تلك الأساليب ، وإنما سنقتصر على أكثرها دوراناً في شعره ، وأعمقها تأثيراً في نفس المتلقي .

ومن المعروف سلفاً « أن الأسلوب النثري القرآني له تعامله الخاص مع هذه الأساليب اللغوية، وللشعر أسلوبه الخاص أيضاً »[1] فتعامل الشاعر مع الأسلوب القرآني الذي تأثر به فيه شيء من التصرف في الجملة القرآنية، وذلك التصرف يقتضيه فنه الشعري القائم على مجموعة من العناصر، لكل عنصر منها أهميته في البناء الشعري، وفي التأثير على المتلقي، ولهذا نرى الشاعر يلجأ إلى الحذف أو الإضافة من وإلى الجملة القرآنية، أو التقديم والتأخير فيها ؛ حتى يحافظ على الوزن الشعري الذي أطَّر به تجربته، والصياغة الشعرية ذات الطابع الخاص .

وأكثر الأساليب القرآنية حضوراً في تجارب السنوسي أسلوب الدعاء .

---

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ط(١)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ص ٨٧ .

وهذا الأسلوب في شعره لم يكن مقصوراً على موقف شعري بذاته، بل يرد في مواقف عدة، وفي تجارب متنوعة، منها: قصائده في الرثاء، وقصائد مناجاته، وفي قصائده التي كانت صدى لبعض الانتصارات التي حققها أبناء بعض دول عالمنا العربي والإسلامي ضد المستعمرين الأوربيين .

ومن صيغ الدعاء المتكررة لدى شاعرنا (عليك سلام الله) و(سلام لهم) . ومن نماذجها قوله في رثاء الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - [1] :

يا أبا بندر عليك سلام الـ ـله تشدو به إليك الحناجر

تتهادى به المحاريب والسا حات في كل مسجد ومنابر

فالسنوسي في استخدامه لهذه الصيغة (عليك سلام الله) الواردة في البيت الأول، لا يبتعد بها كثيراً عن الصياغة القرآنية ، وإن كان هناك اختلاف فهو في المقام الذي وردت فيه هذه الصيغة ، فهي عند السنوسي ارتبطت بمقام الدعاء للملك خالد - رحمه الله - ، في حين وردت في القرآن مرتبطة بتحية الملائكة للمؤمنين وهم يتوافدون على الجنة . كما في قوله تعالى : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى**

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨/ ٨/ ١٤٠٢هـ .

إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ، فادخلوها خالدين ﴾ [١] .

ولا يخفى على المتذوق ما في لفظ (السلام) من الخصائص الموسيقية الفياضة ، والظلال الموحية ، التي تجعله حلو الوقع في الآذان ، سريع التمكن من الاستقرار في القلوب . وإذا كان القرآن أغنى أثر أدبي في لغة الضاد من حيث الموسيقى اللفظية ، قد اتخذ من هذا اللفظ - لفظ السلام - لغة لأهل الجنة ، ولأهل الوحي من الأنبياء والرسل حين يقول : **﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾** [٢] وحين يقول : **﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾** [٣] ؛ فلأن القرآن ما يزال مجالاً عبقرياً للعروض البلاغية العليا التي لا يتعلق بها قلم كاتب من كتاب العربية [٤] .

والشاعر عندما يحاول أن يقترب في شعره من النص القرآني ، ويستهدي بأساليبه وطرقه في التعبير ، فإنه يحقق بذلك السمو والرفعة لفنه ، ويجعله يتفيأ ظلالاً لغوية معجزة [٥] .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٦ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٣ .

(٤) نهضة الأدب المعاصر في الجزائر ، د. عبدالملك مرتاض ، ط(٢)، ١٩٨٣م، ص: ٦٢ نقلاً عن أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ص ٨٨ .

(٥) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ص : ٨٨ بتصرف .

وتأتي صيغة (سلام لهم) في قوله مهنئاً أبناء الجزائر بانتصاراتهم على الفرنسيين :

فسلام لهم وطوبى لأرض أنجبتهم سهولها السندسيه
وسلام لدولة يفخر الضا د ويزهو بها ويشدو تحيه (1)

فهو هنا لا يبتعد بصيغة دعائه (سلام لهم) كثيراً عما جاءت عليه في القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ **لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون** ﴾(2).

إلا أنه لم يلتزم بالصياغة القرآنية في هذا الدعاء، وإنما قدم ما أخر في الآية؛ لاعتبارات شعرية تفرض عليه ذلك التقديم. فالوزن العروضي الذي سارت عليه أبيات القصيدة يفرض على الشاعر ذلك التعامل مع تلك الصيغة حتى يحقق لقصيدته تلك الانسجام الموسيقي في سائر أبياتها.

وإذا كانت صيغة الدعاء السابقة صيغة دعاء مباركة ورضا، فهناك في شعره صيغ دعاء وغضب ونقمة مثل (لك الويل) كما في قوله (3) :

لك الويل إن الحرب قد دار قطبها
فمهلا يصفي للديون حساب(4)

---

(1) الأعمال الكاملة، ص ٣٣٤ .
(2) سورة الأنعام، الآية : ١٢٧ .
(3) الأعمال الكاملة، ص ١٩٣ .
(4) قطبها : القطب : القائم الذي تدور عليه الرحى .

فالسنوسي في استخدامه لهذه الصيغة لا يبتعد بها عن الجو القرآني الذي وردت فيه هذه الصيغة كثيراً، ومنها قوله تعالى: ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** ﴾[1].

وإذا كان هناك اختلاف في الصياغتين فهو في المدعو عليه، حيث جاءت في القرآن بصيغة الجمع (لكم) في حين جاءت في بيت السنوسي السابق بصيغة المفرد (لك) وإن كان يريد بها الجمع، لأنه يدعو على أعداء الجزائر، وهم جمع غفير، ولا يتصور أن السنوسي في دعوته تلك قد خص بها واحداً منهم، وإنما وجهها إليهم جميعاً، وهذا ما تفصح عنه سائر أبيات القصيدة.

وقريب من هذا الأسلوب في شعر السنوسي أسلوب النداء الذي توجه به إلى بارئه - عز وجل - وصور النداء في القرآن الكريم كثيرة جداً، والسنوسي - كما تفصح تجاربه - قد وافق الأسلوب القرآني في صياغته للنداء وقد خالفه.

والمتأمل في أسلوب النداء في القرآن الكريم يجد أن الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز يخاطب المخلوقات بذكر أداة النداء في كثير من المواقف، كما في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾[2]

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أرض ابلعي مآءك** ﴾ [١] أما نداؤنا نحن لله - سبحانه وتعالى - « فينبغي أن يكون غير ذلك . ينبغي أن يكون للمستوى الإلهي - إن صح التعبير - لأن ما ورد خطاباً لنا كان مشاكلاً لأسلوبنا ، وبهذا علمنا القرآن الكريم ، فلم ترد آية واحدة خطاباً من البشر لله - سبحانه وتعالى - بها أداة نداء مصرحاً بها ، وإنما كان النداء منوياً » [٢] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين** ﴾[٣] .

والسنوسي - كما سبق أن قلنا - وافق الأسلوب القرآني عندما يكون الخطاب صادراً من الانسان إلى خالقه وخالفه . ومن شواهد موافقته له قوله [٤] :

رب إني ظلمت نفسي فغفرا ... نك ربي إني مقر وذاعن

رب إن الحياة زاغ بها السيـ ... ـر وحادت فاشدد عراها وطامن

---

(١) سورة هود ، الآية : ٤٤ .

(٢) المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د. محمد بدوي عبدالجليل ، دارالجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ط(١)، عام ١٩٧٥م، ص ٢٣١ .

(٣) سورة الأعراف ، الاية : ١٥١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٨ .

وقوله [1]:

رب أوزع عبادك الحمد شكرا

فمن الشكر للنعيم وقود

ومن نماذج مخالفته للأسلوب القرآني قوله [2]:

فأدره يا رب ملء الأحاسيس وملء النهى وملء الشواجن

ومخالفة السنوسي للأسلوب القرآني تشعرنا « بأن أسلوب النثر الفني في القرآن له طريقته الخاصة في التعامل مع اللغة ، وهو يختلف عن الأسلوب الشعري، لاعتبارات دينية كما لاحظنا في صورة خطاب العبد لربه في القرآن، أو اعتبارات فنية، إذ أن الأسلوب الشعري قد يضطر الشاعر فيه إلى سلوك طريقة أخرى في التعامل مع هذه اللغة، بناء على ضرورات الوزن، أو الحالة النفسية للشاعر»[3].

ومن الأساليب القرآنية التي لها حضورها في تجارب شاعرنا أسلوب القسم، وقد لجأ إليه لمعان في نفسه يريد توكيدها، وإثبات صدقه فيها.

ومن المعروف أن هذا الأسلوب قد ورد في أشكال متعددة في القرآن

(١) المصدر السابق : ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٤٧ .

(٣) أثر القرآن الكريم في الشعر الحديث ، ص ٩١ .

الكريم، فالله - سبحانه وتعالى - أقسم بذاته في مواضع كثيرة، كما أقسم بمخلوقاته -أيضاً- في مثلها، وقد اختلفت الصيغ التي ورد بها هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فهو قد يأتي بصيغة القسم، أو الحلف أو لفظة (شهد)، وقد تكون بالياء أو الواو، أو غير ذلك[1].

والسنوسي - كما تفصح الشواهد التي سنوردها - قد تأثر بالقرآن - حيناً - في القسم بذات الله، و - حيناً - في القسم به - سبحانه وتعالى - مضافاً إلى مخلوقاته وهو في هذه أو تلك لا يبتعد عن أجواء القرآن الكريم ولا عن معانيه.

ومن نماذج قسم السنوسي بذات الله قوله[2]:

نفر أقسموا بربهم الأعـــ ـــلى يمينا لأرضهم أن تعادا

فهذه الصيغة التي استخدمها الشاعر في البيت السابق قد وردت في القرآن الكريم كثيراً، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾**[3]. وقوله تعالى **﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن ، قل لا تقسموا طاعة**

---

(١) التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، ط(٢) دار الشروق، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ٢٣٨-٢٣٩ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٤٩٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٠٩.

معروفة إن الله خبير بما تعملون ﴾ [١].

ومنها أيضا قوله [٢]:

إي ورب العـاديـات　　في الضـحى والموريات

والمغيـرات صباحـا　　ومسـاء كـالبـــــزاة

فـالسنوسي فـي هـذين البيـتين يقـسم بالرب مـضـافـاً إلى بعض مخلوقاته ، وبأداة القسم (الواو) المسبوقة بما يؤكد ما أراده الشاعر .

وهـو في هـذه الصيغة لا يبتعد البته عما جـاء في قـوله تعالى : **﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾**[٣] وقوله تعالى : **﴿ والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ﴾**[٤] وإن كان هناك اختلاف بين الصياغتين فهو راجع إلى طبيعة الشعر .

فالشاعر - كما سبق أن ذكرنا - قد يضطر في أساليبه المتأثر فيها بأساليب القرآن إلى التقديم والتأخير ، أو الحذف والإضافة إليها ؛ ليحافظ على فنه البالغ الحساسية ، ولا يؤاخذ الشاعر على ذلك التصرف ، وإنما يؤاخذ إن هو ضحى بأحد عناصر فنه في سبيل ذلك .

---

(١) سورة النور : الآية : ٥٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٩٢ .

(٣) سورة يونس : الآية : ٥٣ .

(٤) سورة العاديات : الايات ١، ٢، ٣ .

تلك بعض الأساليب التي بدا فيها الأسلوب القرآني واضحاً وجلياً، ليس في الطريقة أو في الإطار فحسب، وإنما حتى في المعنى الذي حملته لنا تلك الصيغ التي استخدمها السنوسي.

وهناك أثر لبعض الأساليب القرآنية في شعر السنوسي، إلا أن ذلك الأثر قد لا يدركه كثير من المتلقين لأن مظاهر التأثر فيه قد لا تتضح إلا لمن وقف على الأساليب القرآنية وطرق التعبير الفني فيها.

وهذا الأثر الذي نقصده هو تأثر السنوسي ببعض أساليب وطرق التعبير في القرآن الكريم في مواضع ومواطن معينة، تقتضي ذلك الأسلوب، أو تلك الطريقة؛ حتى يكون تأثيرها أعمق، وفائدتها أعم وأشمل.

ومن نماذج ذلك التأثر قوله مادحاً الفلاح الريفي بعدد من الصفات والمعاني الجميلة[1]:

والنسيم النشوان يحتضن الزهـ ـــر رقيقا كطيبة الفلاح

الذي قلبه أرق من الطـل وأصفى من الزلال القراح

والذي يزرع الحقول بذورا وزهورا بهمة وكفاح

والذي يملأ القلوب شعورا بجمال الطبيعة المراح

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

والذي يغـرس النواة بكـــــــف طبـعت من بسـالة وسـمـاح

فالسنوسي في الأبيات السابقة يورد جملة من الصفات التي يمتاز بها الفلاح في ريف وطنه، وبها يعرف ويمتدح ؛ لأنها - في نظر السنوسي - تخصه دون غيره، وقد لجأ السنوسي في إيراده وإبرازه لتلك الصفات إلى تكرار الاسم الموصول (الذي) وقد أعانه هذا الاسم لا في إبراز تلك الصفات فحسب ؛ بل في توكيدها وإثباتها، وذلك لأن الجملة التي تعقب ذلك الاسم مرتبطة به أشد مايكون الارتباط .

والمتأمل في هذا الأسلوب بجميع مظاهره - خاصة إذا كان ذا ثقافة قرآنية عالية - يدرك أثر الأسلوب القرآني في أسلوب الشاعر . فالله - سبحانه وتعالى - في مواضع كثيرة من كتابه العزيز امتدح المؤمنين بعدد من الصفات التي تميزهم عن غيرهم، وقد كان للاسم الموصول حضوره في تلك الأساليب . وخير ما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . . .** ﴾[١] .

فالله - سبحانه وتعالى - يمتدح المؤمنين بجملة من الصفات التي لا يشاركهم فيها أحد من أبناء هذه المعمورة ، فتلك الصفات - الحسية

(١) سورة المؤمنون : الآيات : ١ - ٦ .

والمعنوية - هي الإطار الذي يحمل في فضائه وبين زواياه شخصية الإنسان المؤمن الحقة التي ارتضاها الله له، أما في حالة فقدان تلك الشخصية لأحد مكوناتها ، فإن ذلك الإطار سيمجها، ولن يسمح باحتوائها حتى تستكمل بقية جوانبها التي تميزها عن غيرها .

وكذا الحال في تلك الصفات التي تتكون من مجموعها شخصية الفلاح الريفي كما في أبيات السنوسي السابقة . وفي حالة فقدان الفلاح لأي صفة منها فإنه لايكون أهلاً لأن يكون فلاحاً ريفياً .

فالطيبة ، والعمل الجاد المثمر ، والصبر الشديد ، من أهم الصفات التي تتكون من مجموعها شخصية الفلاح الريفي وبها يعرف .

تلك بعض الأساليب التي بدا فيها تأثر السنوسي بالأسلوب القرآني سواء في المبنى والمعنى كما سبق أن بينا ، أو في طريقة تعبيره، وهذا ما أفصحت عنه تجارب السنوسي التي عرضنا لها في الصفحات السابقة .

التكـــرار

التكرار من الوسائل اللغوية التي جنح إليها الشاعر المعاصر في التعبير عن تجاربه الشعرية حتى أصبحت هذه الوسيلة اللغوية سمة تمتاز بها التجربة الشعرية الحديثة ولوناً من ألوان التجديد فيها[١] .

وليس معنى ذلك انتفاء هذا اللون من ديوان الشعر العربي القديم ، فهو «ظاهرة نصادفها في الشعر العربي القديم عند كثير من الشعراء ذوي الاتجاه الوجداني الذاتي وفي الشعر السياسي الذي يصدر عن عقيدة صادقة تخلع عليه صفة الذاتية كشعر الكميت ، وشعر العذريين »[٢] .

والتكرار عند شاعرنا له أشكال متعددة ، إلا أنها لا تتجاوز التكرار البسيط ، الذي يدل على إلحاح فكرة ما على ذهن الشاعر ، وتأكيده عليها عن طريق التكرار، ويمكننا تقسيمه في شعره إلى (تكرار الحروف ، تكرار الألفاظ ، تكرار العبارات) .

ونبدأ حديثنا بتكرار الحروف الذي يعد أبسط أنواع التكرار على

---

(١) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ط(٧) نيسان (إبريل) ١٩٨٣م، دار العلم للملايين ، ص ٢٦٣ «بتصرف» .

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٨ .

الإطلاق، وقد لجأ إليه الشاعر لتعزيز الإيقاع في قصائده، ولخدمة بعض أغراضها وأفكارها. ومن نماذج تكراره للحروف في قصائده قوله في قصيدته (اليوم الخالد) مكرراً حرف العطف (الواو)[1] :

في مثل هذا اليوم من كل عام
يزدهر الحجر ويزهو المقام
مقام إبراهيم سامي الخطى
وحجر إسماعيل نعم الغلام
وتسبح الأرواح رفافة
أطيافها مثل رفيف الحمام
وتلتقي الدنيا بأجناسها
في وحدة رائعة وانسجام
من كل فج أقبلوا حسرا
شوقا إلى البيت العتيق الحرام
كالسيل فاضوا وأفاضوا به
وانسكبوا بين الذرى والخيام

فالشاعر في هذه الأبيات يحاول بواسطة الكلمة أن يرسم الفرحة التي

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

تغمر المسلمين وهم يتنقلون بين المشاعر والأماكن المقدسة في موسم الحج، ومشاركة الأماكن المقدسة لهم في تلك الفرحة .

وقد ساعد حرف العطف (الواو) الشاعر على التنقل بين تلك الأماكن، ورسم تلك الفرحة، وذلك السرور الشامل، بالإضافة إلى ما في صوته من جرس موسيقي عذب، ناجم عن كثرة ترديده في تلك الأبيات المحدودة العدد، حيث تكرر حرف (الواو) في الأبيات السابقة ثماني مرات .

ومن نماذج تكراره للحروف أيضا قوله في قصيدته (خواطر لاجئ)[1] :

تشابهت فيك أيامي وملء يدي
عشرون عاما أساها رائح غاد
وأنت ياعيد ماذا أنت غير لظى
مابين جنبي وشوك ملء أبرادي
أمسي وأصبح لا ليلي بذي قمر
أرنو إليه ولا يومي برعاد

(١) المصدر السابق : ص ٤٧٨ .

تهيج لي فيك ذكرى يستطير لها
قلبي وتهتز أحشائي وأعضادي
أيام أستقبل الأعياد في بلدي
أرض النبيين من قومي وأجدادي
في القدس والقدس مهوى كل جانحة
مني ومجلي أحاسيسي وأمجادي

فقد تكرر حرف (الياء) في هذه الأبيات سبع عشرة مرة ، وقد نجح السنوسي بواسطته في إلباس تجربته تلك ثوباً من الحزن والأسى الشفاف ، عن طريق تلك النغمة الخافتة المنكسرة التي يرسمها صوته مع ماجاوره من أصوات عمقت أسى الشاعر وحزنه، أضف إلى ذلك أنه بهذا التكرار أكد عمق مشاركته الوجدانية لإخوانه في فلسطين، حيث بدا وكأنه واحد منهم، يجتر مايجترونه من آلام، ويتجرع مايتجرعونه من مآس وأحزان .

أما تكرار الألفاظ عند السنوسي فيشمل : تكرار (الأسماء ، الأفعال، الصيغ) ويتجلى تكرار الأسماء عند الشاعر في بعض قصائده، كتكراره لفظ (جزيرتي) ست مرات في قصيدته (الجزيرة ماضياً وحاضراً) وتكراره ذاك يوحي بشدة ارتباطه بجزيرته التي تمثل في عصرنا الحاضر ذلك الوطن الذي حوى السنوسي في مراحل حياته المختلفة، ويوحي بمحبته لذلك الوطن .

وتكراره لذلك اللفظ جاء في الأبيات الآتية [١] :

جـــزيرتي يا هوى روحي ويا أملي

أنت الجـديرة بالتـشـبـيب والغـزل

جـــزيرتي حـــدثيني إنني وصب

وفي حـديثك مـا يشـفي من العلل

جـزيرتي أنت مـأوى أمـة سـمـقت

أخـلاقـهـا الغـر واسـتـعلت عن الوحل

جـزيرتي ألـهـمـيني نظم قـافـيـة

تشـدو بصـقـرك صـقـر الأمـة البطل

جـزيرتي أنت للإسـلام عـاصـمـة

والأرض يغـمـرها الطوفـان بالزلل

جـزيرتي ربما جـاءت مـعلقـتي

في كـعـبـة الشـعـر دون الوعـد والأمل

ومن نماذج تكراره للأسماء ، قوله مكرراً اسم الإشارة (هنا) [٢]

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٦٧٢ - ٦٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

لقد مات عصر الذل والخوف وانقضى

وهيل على ذاك الزمان تراب

هنا جبهة التحرير والحق والهدى

تخر النواصي عندها وتصاب

هنا عصبة الأحرار أما سماؤهم

فرعد وأما بحرهم فعباب

هنا الأرض زلزال هنا الجو عاصف

هنا الجبل الراسي وغى وضراب

هنا النار زاد للجياع وهاهنا

حميم لأكباد الظماء شراب

فالسنوسي - كما هو واضح - قد عمد إلى تكرار اسم الإشارة (هنا) سبع مرات في أبيات معدودة لا تتجاوز الخمسة أبيات، وهذا يدلنا على أن السنوسي في هذه الأبيات لايسعى إلى مجرد التأكيد على أن سحب الخوف التي ظلت تعانق أفئدة الجزائريين فترة من الزمن قد انقشعت، أو على استعداد أبناء الجزائر الرهيب لاستعادة حريتهم المفقودة وإنما كان يسعى إلى نحر إحساس ترسب في أعماقه وأعماق الكثيرين من أمثاله الذين شهدوا إنهزام أبناء أمتهم أمام الحملات الاستعمارية. وقد أعان اسم الإشارة (هنا)

السنوسي على تحقيق غايته المقصودة، ووسع له دائرة التناول، ومهد لأدلته القوية التي أذابت ذلك الاحساس، وعملت على دحر ذلك الوهم.

أما تكراره للأفعال فقليل في تجاربه الشعرية، ومن نماذجه قوله [1] :

أفـيـضـوا على الألبـاب من صـحف العلى
روائع تـهـــــواها قلوب وأذهـان

أفــيــضــوا شــآبيب العلوم زواخــرا
لهــا القلب حـقل والمشــاعـر وديان

أفـيـضــوا شـعــاع الفكر يجلو حنادســا
تخــبط ســار في دجــاها وركــبــان

فالشاعر فـي هــذه الأبيات يكرر الفعل (أفيضوا) بصيغة الأمر ثلاث مرات، محاولاً عن طريقه حث أبناء أمته على الاستفادة من تراثهم العريق واتخاذه ركيزة ودعامة أساسية في بناء نهضتهم المعاصرة .

وقد عكس ذلك الفعل المكرر شدة تعلق الشاعر بتراث أمته، وحرصه على بعثه وإحيائه لما له من دور فعّال في إرساء دعائم حضارة أمتنا في حياتها المعاصرة .

---

(١) شعراء الجنوب ، ص ٨٩ .

ومن تكراره للفعل - أيضاً - قوله في قصيدته (تأميم وتصميم) [1] :

أنيبوا أنيبوا واستعيدوا صوابكم   أفقنا وما زالت خلائقكم سكرى

فالشاعر هنا يكرر الفعل (أنيبوا) مرتين متتاليتين ، منبها أقطاب العدوان الثلاثي على مصر ، ومهدداً إياهم بالخطر المحدق بهم على أيدي أبناء الأمة العربية بعد أن أفاقوا من غفلتهم .

وتكراره لفعل الأمر في الشاهدين السابقين يعكس لنا شدة انفعال الشاعر ، ويوحي بسيطرة الفكرة - التي استدعت ذلك الحث والتحذير والتوكيد عليهما - على ذهنه .

أما تكراره للصيغ والأدوات فيشمل (الاستفهام ، والنداء) ، ومن نماذج تكراره لصيغ وأدوات الاستفهام قوله [2] :

يا رائدي طبقات الجو هل فرغت

مشاكل الأرض أوطانا وسكانا

وهل أضاء السلام الكون وانتشرت

أنواره واستقام الحق ميزانا

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

وهل تحــــقق للإنســـــان مطلبـــه

من الحـيـاة وأضــحى الكون بسـتـانا

وهل غـدا العـالـم الأرضي منسـجـمـا

مــذاهبـا ومــفــاهيــمــا وأديانـــا

فالشاعر فـي هـذه الأبيات قد عمد إلى تكرار صيغة الاستفهام (هل) أربع مرات، طارحاً - من خلالها - عدداً من الأسئلة ، تعكس رؤيته الفكرية لهموم إنسان العصر، وتشف عن توجسه وقلقه على مستقبل البشرية . وهذا التوجس يدل على أن السنوسي لم ينكف على ذاته، ولم يحط نفسه بسياج يعزله عن قضايا عصره وإنسانيته، وإنما هو شاعر مهموم بقضايا أمته وقضايا الإنسانية جمعاء [(١)] .

ومن نماذج تكراره لصيغ الاستفهام قوله [(٢)] :

أين نزع الســــلاح يا أيهـــا القـــو م وأيـن المبـــادىء العـــالميـــه ؟

أين حـــريـــــة المصــيــر وإقــرا ر المواثيق والعـــهـــود الجليــه ؟

أفــمـا آن للحـقـيـقــة أن تحــــ ــيـا حياة لا تعـرف البندقـيـه ؟!

---

(١) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لربيع محمد عبدالعزيز وآخرين، ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٤٠ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٢٢٦ .

أفما آن للســـــلام المفـــــدى أن يسـود الورى ويلقي عصيه ؟!
يا إلهي مـــاذا أينتــحــر السلـــــ ـــم على مــذبح من المدنيــه ؟!

فالشاعر في هذه الأبيات يكرر عدداً من صيغ الاستفهام، مشعلاً أسئلة تتعلق بالسلام كأمل ينشده الشاعر، ويتمنى تحققه في كل أرجاء المعمورة، وتفصح عن ألم عميق يسري في وجدانه ؛ لتخاذل الهيئات - التي أنشأت لحفظ حقوق الأمم وإرساء دعائم السلام على الأرض - في تطبيق قرارتها على الدول العظمى التي اجتاحت كثيراً من الأراضي العربية والإسلامية.

ومن تكراره لصيغ النداء تكراره لـ(يا ثاني اثنين) في قصيدته التي قدم لنا فيها صوراً من حياة الصديق - رضي الله عنه - حيث تكررت تلك الصيغة ست مرات في الأبيات الآتية [(١)] :

يـا ثـانـي اثـنـين في دار هي الـغــــار
إن اخــتــيـارك للمــخــتـار مــخــتــار
يا ثاني اثنين مـــا لي أســتــشف ضنى
على مـحــيــاك وهـو - الدهر - زهار

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٢ - ٥٣٨ .

يـا ثـانـي اثـنين إن المسـلـمين أسـى
قـد زلزلتـهم أحـاديث وأخـبـار
يـا ثـاني اثـنين إن الـدين فـي خـطـر
وأنت للدين مـذ أسلمت نصـار
يا ثاني اثنين لو أبصـرت حـاضـرنا
والمسلمـون حـيـارى أينمـا داروا
يا ثاني اثنين في ذكـراك مـوعظة
وفي جـهـادك للسـارين أنوار

فـالسنوسي في النص الذي أوردنا منه هذه الأبيات يسعى إلى تقـديم شخـصيـة أبي بكر الصـديق - رضي الله عنه - لأبناء أمته كـأنموذج ينبغي احتذاؤه ، والسير على منـواله، إذا كـانوا راغبين في العـودة بأمتـهم إلى سابق عهدها .

وشخصية الصديق غنية بذكرياتها، وبمواقفها البطولية منذ بدايات الدعوة الإسلامية إلى أن توفاه الله .

وقد أتاحت صيغة النداء (يا ثاني اثنين) لشاعرنا استحضار كثير من المواقف والأحـداث التي رافـقتـه - رضي الله عنه - في مـراحل حـيـاته المختلفة، منذ بزوغ فجر الرسالة الإسلامية .

ولو تأملنا ماجاء بعد تلك الصيغة في كل الأبيات لوجدنا موقفا من مواقفه الشجاعة تلك، ثم يأخذ الشاعر - بعد ذلك - في عرضه لأبعاد ذلك الموقف، عدا البيتين الأخيرين فقد حملهما الشاعر همه وشكواه من حاضر أمته الأليم، محاولاً إطلاعه على الردة الحديثة التي تعيشها أمته الإسلامية، وافتقادها لقائد يعيدها إلى صوابها، كما فعل الصديق ذلك في الأمس البعيد مع كثير من القبائل العربية التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومن تكراره للعبارات في شعره قوله [1] :

الله أكبر موجة من زاخر — عبرت غواربها المحيط الأكبرا

الله أكبر صيحة من ظافر — ملأ اليقين فؤاده وتفجرا

الله أكبر لفتة من حائر — لاح الطريق له فشمر وانبرا

الله أكبر لفظة فتحت بها — والمسلمون يد مغاليق الذرى

فالسنوسي في هذه الأبيات قد كرر عبارة (الله أكبر) أربع مرات ، بدافع شعوري عميق ، قوامه سيل من التداعيات والذكريات التي ارتبطت بهذه العبارة الجميلة في معناها ومبناها، هيجتها تلك الالتفافة الجميلة لرؤساء المسلمين وزعمائهم في المهد الأول (أم القرى) لتلك العبارة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨ - ١٩ .

وقد وفق الشاعر كثيراً في تكراره لتلك العبارة ، وفي ربطها بما جاء بعدها من جمل تفصح عن ذكريات ارتبطت لا بمجرد التكرار لتلك العبارة في مواقف المسلمين في حياتهم المختلفة ، وإنما من خلال استشعارها ، والتفاني في سبيل إعلائها .

وهذا الذي كان يسعى إليه السنوسي ، موجهاً إليه أبناء أمته الإسلامية في عصرهم الحاضر .

الحـوار

من الأساليب التي لها حضورها في تجارب السنوسي التي عرضنا لها أسلوب الحوار وهو « أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ، ومحاوة بينه وبين غيره»(١) .

وميزة هذا الأسلوب أنه يمنح النص الشعري قيمة فنية بالغة، فبواسطته يستطيع الشاعر الابتعاد بتجربته عن التقريرية والمباشرة، ويضفي عليها الحركة والحيوية والنشاط.

ومن نماذج اعتماد السنوسي على هذا الأسلوب في تجاربه، ماجاء في قصيدته (القرد الفنان) الذي رمز به إلى بعض الشباب المتفسخ، في حوار بديع، أقامه الشاعر بينه وبين أحد الطاعنين في السن، ليعمق السخرية من ذلك الشاب.

يقول السنوسي في قصيدته تلك (٢) :

رأيتـــه وهـو يمشي مـــشي فنان

كـــأنه فـــارس في وسط مـيـــدان

(١) تحرير التحبير ، ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق الدكتور حفني شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٣م، القاهرة، ص ٥٩٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤١ - ٤٤٣ .

يهـز عطفـيـه إعـجـابا بحلتـه
ويمسح الشـعـر من آن إلى آن
في (بدلة) تبـرز الأعطاف مـائلة
أركانها وزواياهـا (كـفـستان)
فـقلت مـاذا أرى ياقـوم هل مسـخت
طبـاع قـومي وإخـواني وأقـراني ؟
إني أرى بينكم قـردا فكيف أتى
وكـيف ألبسـتـمـوه لبس إنسـان ؟
فـقـال شيخ ظريف الروح يعـجـبه
حـبك الفكاهة في جـد وإتقـان
لا يا أخي إنه قـرد مـثـقـفـة
أخـلاقـه عـبـقـري الفكر والشـان
وسـوف تسـمع منه كل رائعـة
من البـيـان المصـفى والنهى البـاني
فكان مـا كـان مما لست أذكـره
من الهـراء ومن إسـفـافـه الداني
فـقلت للشـيخ إعـجـابا بنكتـتـه
وبالطرافـة في أسلوبه القـاني

القــرد قــرد وإن رقت شـمــائله

وإن تعلم نطق الإنس والجــان

تـراه يرقص في جــد وفي هـزل

ليضـحك الناس منه مثل (طرزان)

يلغـو ويلهـو ويأتي من عـجـائبـه

بالمضــحكات كـأحلى قــرد فنان

فالأصوات التي تجاذبت الحوار حول سلوك ذلك الشاب المشين ثلاثة أصوات هي : صوت الشاعر ، وصوت الجمهور الذين طرح عليهم ذلك التساؤل وإن لم يتكلموا ، وصوت ذلك الشيخ الذي انبرى ساخراً من تصرفات ذلك الشاب الطائش .

وباعتماد السنوسي على هذا الأسلوب في سخريته من ذلك الشاب المنجرف في متاهات المدنية الوافدة من بلاد الغرب ، قد نجح في الابتعاد بقصيدته عن التقريرية والمباشرة ، ومنحها قدراً من الحيوية والحركة والنشاط ، أضف إلى ذلك أنه استطاع - عن طريق ذلك الأسلوب - توجيه نصيحته لأبناء مجتمعه بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم المستمدة من تعاليم وقيم دينهم الحنيف ، كما أبان عن موقف الكثير من الآباء الطاعنين في السن من بعض المظاهر السلبية للمدنية الحديثة في مجتمعنا .

وفي قصيدته (رحلة إلى القمر) يدير السنوسي حواراً بديعاً بينه وبين

أحد الأشخاص حول القمر واقتحام رواد الفضاء لعالمه، وتمكنهم من سبر أغواره وفك طلاسمه، وعن عدم صلاحيته لأن يكون الصورة المثال لوجه حبيبته؛ لأنه لم يعد يختلف عن الأرض في شيء، بينما يظل القمر عند شاعرنا هو الصورة المثال لجمال حبيبته. يقول السنوسي في قصيدته تلك[1] :

قال لي وهو ساخر	وهو لا يحسن السخر
أيها الشاعر الكبيـ	ـر أما جاءك الخبر
وصل القوم للسما	ء وطافوا بها زمر
واستفاقت حبيبتي	من خداع ومن خدر[2]
لم يعد حسن وجهها	أبدا يشبه القمر
بعد ماديس وجهه	ومشى فوقه البشر
كان إشراق لونها	بهجة غرة الغرر
قلت مهلا وخلني	من هراء ومن هذر
ذاك شيء علمته	مذ وعى قلبي الفكر
كانت الأرض والسما	ء أما تقرأ السور

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٥ - ٤٥٩ .

(٢) خدر: الخادر: المتحير، والخادر والخدور من الدواب وغيرها: المتخلف الذي لم يلحق، وقد خدر .

فـتق اللـــــه رتقـهــا   فــاندحى الكون وانتـــشــر

غـيــر أني ولــــم أزل   بشــعــور الهـوى الأغـــر

يســتـــبي قلبـــي الجـمــا   ل ويســتـــحـسن الصــور

فالسنوسي في تلك القصيدة التي أوردنا منها هذه الأبيات يجلي رؤية الشاعر للجمال ، ويعمق الإحساس به في كل الأشياء التي لايجد فيها غيره جمالاً. وذلك لأن الشاعر - كما هو عند شاعرنا - يتجاوز دائماً الشكل الظاهري إلى الماهية ، والقشور إلى اللباب ؛ ولهذا يطلعنا الشاعر في كل رحلة من رحلاته الوجدانية التأملية على كنز ثري بالجمال الذي لم تقع عليه أحداقنا من قبل، حتى في تلك الأشياء التي تبدو لنا غير جميلة، أو في الأشياء التي فقدت سر جمالها مع مرور الوقت .

ولعل شاعرنا قد نجح - باستخدامه لهذا الأسلوب - في بيان الاختلاف الواضح بين رؤية الشاعر وغيره من الناس للجمال في كثير من الأشياء التي تحفل بها حياتنا اليومية ، وفي جذب المتلقي إلى آفاق تجربته تلك، وإغرائه بمتابعتها وصولاً إلى النهاية التي أسفرت عنها .

ويتكئ على هذا الأسلوب في قصيدته (اليتيم السعيد) حيث أدار حواراً مع طفل أغرته سعادته في يوم العيد بسؤاله عن أبيه ، فيفاجئه الطفل بيتمه، وبتفكيره الذي سبق عمره الزمني بمراحل .

يقول السنوسي في تلك القصيدة [1] :

مر من جانبي يزقزق (كالعصـ ـفور) في كل خطوة تغريد

فهفت مهجتي إليه حنانا أبويا يضمه ويزيد

وتأملته مليا وفي قلـ ـبي سؤال به لساني يميد

وسألت الوليد في نشوة العيـ ـد وقد سر بالسؤال الوليد

ابن من أنت يا بني وأصغيـ ـت إليه وبي اشتياق شديد ؟

أنا ياسيدي يتيم ولكنـ ـي سعيد لا بائس أو شريد

سكني وارف ومائي مسكو ب وزادي مرفه منضود [2]

وفؤادي تربه من يد العلـ ـم يد برة وقلب ودود [3]

فانتشى قلبي المغرد وانثا لت قوافيه واستفاض القصيد

والمتأمل في هذه الأبيات التي بدا فيها الحوار بين السنوسي وذلك الطفل اليتيم واضحا، يقف على مقدرته في استغلاله لتوجيه نصيحة غير مباشرة لأبناء مجتمعه. فهو هنا يرسم الطريق المؤدي إلى وجدان كل يتيم، ويضع أمام أحداقنا الأشياء التي يمكننا عن طريقها إدخال البهجة والسرور

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٧ - ٤٠٩ .

(٢) وارف : واسع ممتد ، ومرفه : من الرفاهية وهي : الخصب والسعة في المعاش، منضود : بالتحريك : مانضد من متاع البيت ، وقيل: عامته، وقيل : هو خياره وحره.

(٣) تربه : تصلحه .

إلى عالمهم . كما أن تلك الأبيات تحوي توجيهاً غير مباشر للأيتام أنفسهم، فهو يحثهم على طلب العلم ؛ لأنه السلاح الوحيد الذي سيمكنهم من التغلب على الصعوبات التي تحفل بها الحياة .

وفي قصيدته (أنشودة الصقر) يتكئ على هذا الأسلوب ، حيث أدار حواراً بين الصقر والحية . . . ، وفي ذلك يقول [1] :

زحفت نحوه فمد إليها نظرا ثاقبا وروحا قويا

فتهاوت على التراب وقالت : إنني أنشد اللقاء الحفيا

أفترضى بأن أطارحك القو ل سميرا وأن أكون نجيا ؟

أنت في هذه الديار غريب يا صديقي فضع يدا في يديا

واستفاض الحديث بين الصديقين زلالا تعب منه النفوس

حين قالت : من أي أرض ومن أي مكان هذا الجمال النفيس ؟!

كيف لم نهتدي إليه ولم تخـ طر به فكرة علينا الرؤوس ؟![2]

قال : إني من عالم النور يا أخـ ـت وداري نجومه والشموس

فالحوار في هذه الأبيات دائر بين الصقر الذي دارت حوله قصة السنوسي الشعرية، والحية التي أغراها ذلك الجمال، فجذبها إلى السؤال عن مصدره .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) أثبت الشاعر (الياء) في الفعل المضارع المجزوم حتى لاينكسر الوزن في البيت .

ويظهر الحوار بين الشاعر وذلك الطيف الذي زاره في كبره؛ ليهيج في عالمه الذكريات، حيث يقول في قصيدته (عودة الماضي)[1]:

قلت وقد جاز إلى الظلم ... ريان من خمر الصبا والجمال
يثير عن قلبي غبار الهرم ... وينتضي سيفا جفاه الصقال[2]
أنى تخطيت إلي القدم ... وكيف لم ترقب خطلك الليال؟
قال وفي فيه رنين النغم ... في خطوة الفكر ووثب الخيال
ويحك ماذا أنت مني تريد ... وما الذي أجراك في خاطري؟
وكيف تستدني شبابي البعيد ... من قبضة التاريخ يا آسري؟
دعني بحبيك القديم الجديد ... أعيش في الماضي وفي الحاضر
إني بآلامي وهمي سعيد ... أحيا حياة الطير والشاعر

فالحوار في هذه الأبيات قائم بين السنوسي وذلك الطيف الذي زاره فجأة في إحدى خلواته بنفسه؛ ليهيج في عالمه ذكريات دفينة لحب عميق عاشه في فترة من فترات حياته.

والذي ساعد على إبراز هذا الحوار الجميل تنويع الشاعر للقوافي في تلك المقاطع، بالإضافة إلى وضوح اللغة في ذلك الحوار، وقصر تراكيبها، ووفرة أدوات الاستفهام والتعجب فيها.

---

(١) الأعمال الكاملة ص ٥١ - ٥٢.

(٢) الهرم: أقصى الكبر، والصقال: الصقل: الجلاء.

الأسلوب القصصي

من الأساليب التي لها حضورها القوي في تجارب (السنوسي) الأسلوب القصصي ، وأعني به في دراستي هذه « استخدام الشاعر الغنائي لبعض أدوات التعبير التي يستعيرها من فن آخر هو فن القصص »[(١)] .

والشاعر عندما يستعير من القصة بعض أساليب بنائها وبعضاً من لغتها ، لايعني هذا - بالضرورة - أنه ينسج شعراً قصصياً، أو قصة شعرية ، إنما يستعير طاقة تعبيرية، يستطيع أن يعبر بها عن محتوى ، وبذلك تزداد طاقة القصيدة التعبيرية[(٢)] .

وقد لاحظ أحد الباحثين استفادة كل من الشعر والقصة من بعضها البعض ، فالقصة كما يرى تستفيد من الشعر التعبير الموحي المؤثر، بينما يستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية ، فهي بنية متفاعلة ، يستفيد كل شق فيها من الآخر ، وينعكس عليه في الوقت نفسه[(٣)] .

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عزالدين إسماعيل ط(٣)، ١٩٨١م ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ص٣٠٠ .

(٢) لغة الشعر العراقي ، عمران خضير حميد الكبيسي ، ط(١) ١٩٨٢م ، ص ١١٧ «بتصرف» .

(٣) الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٠١ «بتصرف» .

وهذا الأسلوب الذي نحن بصدد الحديث عنه في شعر شاعرنا، أسلوب مألوف ظهر - منذ القدم - على يد امرئ القيس، خاصة عندما يتصدى لوصف مغامراته الليلية، التي كان يتسلل فيها - والظلام مطبق على الكون - إلى حبيبته، وسار على نهجه - فيما بعد - عمر بن أبي ربيعة، ففصل ما أجمل أستاذه، مكثراً من الحوار في شعره الحاوي للعنصر القصصي.

وقد تطور هذا الأسلوب في عصرنا الحديث إلى ما يعرف بالقصة الشعرية على يد خليل مطران، والذي ساعد مطران على براعته في هذا اللون « أنه محدث من الطراز الأول، وأنه يلتفت في كتاباته إلى الدقائق، ويعنى بالتفاصيل »[(١)] .

ونحن إذا أمعنا النظر في قصائد السنوسي (فارس الأحلام ، عودة الماضي ، موكب السحاب ، أنشودة الصقر ، ليلة الهجرة ، الكيان الكبير ، اليتيم في العيد ، الفيلسوف والطائر الأعمى ، عصبة السفاح) نستطيع أن نخرج من كل منها بما يشبه القصة، ولكنها لم تكن غاية ، أو هدفاً، فهي قصائد شعرية قبل أن تكون قصة، باستثناء (أنشودة الصقر) فهي في الأصل قصة للكاتب العالمي (مكسيم جوركي) صاغها السنوسي بأسلوب شعري أخاذ.

---

(١) مطران (نوابغ الفكر العربي) محمد عطا ، ط دار المعارف ١٩٥٩م، ص ٦٢ .

وهذه القصائد التي أشرنا إليها ، نجد السنوسي يستفيد فيها من بعض الوسائل الفنية التي يستخدمها كل قاص بارع ، كالتشويق ، والإثارة ، والحبكة، والخاتمة، والتعبير الدرامي . ونجد فيها لغة تفصيلية، ونلمس تصدر أسلوب التجسيد، ولكنها لغة مجازية موحية ، مصبوبة في قالب بلاغي ، وهذا مايجب توافره في كل قصيدة شعرية .

ومن نماذج شعره الحاوي للعنصر القصصي قصيدته (فارس الأحلام) التي رمز بها لفتح الرياض كما يقول[1] . فهو يبدأ فيها بتجسيد الزمن الذي اختاره الملك عبدالعزيز لاقتحام أسوار الرياض ، حيث يقول [2] :

الدجى يزحف والنجم يرود	وهلال الأفق في الأفق وليد
والجبال الشم تستاف السنا	والسنا الباهت يطويه الصعيد[3]
والنسيم الطلق لا يهفو به	نفس يجري ولا غصن يميد
والنخيل الشعث قد مالت بها	سكرة الليل وغشاها الهمود[4]
وعذارى البيد يلبسن الأسى	من وشاح العيد والعيد جديد

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) الجبال الشم : أي العالية الرفيعة الرؤوس ، والصعيد : الأرض وقيل الأرض الطيبة .

(٤) الشعث : التشعث : التفرق والتنكث .

وربى الوادي علـــى أغـصـانهـــا حبب غـاف وأزهار رقـــــود[1]
وكـأن الكون قـد لـــف الـــورى صـمـتـه الداجي وسـجـاه الجـمـود

فالسنوسي في هذه الأبيات وفق إلى حد بعيد في استدراج المتلقي وتشويقه، بواسطة لغته التفصيلية التي تجسد تلك الليلة التي هم فيها الملك عبدالعزيز باقتحام أسوار الرياض . فالمشاهد المتلاحقة التي انتظمها خيال السنوسي المحلق توحي بزمن ذلك الاقتحام، وإنه كان ليلاً . نلمس ذلك في زحف الدجى على الفضاء، وفي ذلك النجم الذي يجوب السماء وحيداً، وفي الهلال الذي مازال في بداياته . ومعنى ذلك أن الظلام في تلك الليلة كان كثيفاً، والذي يعمق تلك الكثافة الصمت الذي ران على الطبيعة بنوعيها، والسكون العميق الذي عانق كل شيء فيها . تفصح عن ذلك المشاهد التي تجسد لنا ذلك الصمت الرهيب :

(السنا الباهت يطويه الصعيد ، والنسيم الطلق لايهفو به نفس يجري ولا غصن يميد ، والنخيل الشعث قد مالت بها سكرة الليل وغشّاها الهمود . . .) .

وينتقل السنوسي من تجسيده المدهش لتلك الليلة إلى عالم (هند) التي رمز بها لمدينة الرياض ، فيطلعنا على مايحتويه وجدانها،

(١) حبب : الطل الذي يصبح على النبات .

ومايجــول فيــه مـن مشاعــر وأحاسيس تعلو تارة ثم تنخفض ، رغبة ورهبة .

يقول السنوسي في ذلك (١) :

وانتــحت (هند) وقــد طافت بهــا
نشــوة الذكــرى وأضناها الســهــود

أي حلم رف في أجــفــانهــا
من خــيــال زار والمنأى بعــيــد

طائف هبت تناجي روحــه
وتناديه وتبــدي وتعــيــد

أيهــا النازح عن أيك الهــوى
صــوح الورد وفي قلبي ورود (٢)

يا (كيوبيد) (٣) الهوى في كبدي
حــمــرة الجــمــر وأشــواقي وقــود

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .
(٢) صوح : صوح النبات إذا تشقق ويبس .
(٣) كيوبيد : إله الحب عند الإغريق . انظر ، معجم الأعلام ، في الأساطير اليونانية والرومانية ، ترجمة أمين سلامة ، ط(١) ١٩٥٥م ، دار الفكر العربي ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

تنقص الدنيا على حلو المنى
وعلى الآلام آمالي تزيد
أنا مازلت على عهد الهوى
أبد الدهر وقلبي لا يحيد
هكذا قالت لهند نفسها
ونفوس الغيد للأحلام غيد
وتلاشى في رجاء يائس
حلم لاح تواريه السدود
دونه قصر وقفر ولظى
ينشر الرعب ونار وحديد
وسرت تهتف في أعماقها
ليته عاد وويلي لو يعود

فالشاعر في هذه الأبيات يعنى بتجسيد العلاقة المتينة التي تربط بين هند (الرياض) والملك عبدالعزيز - رحمه الله - فهي علاقة محبة عميقة يحملها كل واحد منهما للآخر. ولك أن تدرك ذلك في وصفه للحالة النفسية التي تقمصت روح هند، وعوامل الرغبة والرهبة التي تجاذبتها في تلك الليلة ، فهي ترغب في اقتحام الملك عبدالعزيز لأسوارها ؛ لتلقاه بعد

فراق مرير ، وفي الوقت ذاته تتمنى أن لايحدث ذلك - وهي كارهة - لخوفها على حبيبها المنتظر من بطش أعدائه به ؛ لأنها تدرك قوة ابن الرشيد

يقول السنوسي في ذلك [1] :

وفـــتى يـخطر فـي برد الـصــــبـــا
والـردى يـخـطـر والأرض تمـيــــد [2]

قـــاتم الـوفـــــرة وضــــاء الـسـنـا
حـــالم النظرة كـــالرمح مـــديد

حـــــدث شـب وفـي أعـطـافــــــه
شـيـم تـسـمـــو وأخـــلاق تـســود

بـين عـــيـنيـــــه ضــــيـــــاء لامع
من سنا مـــاض أقـــامـتـــه الجـــدود

ويـأذنيــــــه صـــــدى من غـــابر
يخــرس الأوتار شـــاديه الـســعـيـد

المنى الـغـــــر نشـــاوى حـــولـه
والـوغى المر بعــينيـه قــعـــيـد

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) برد : ثوب ، والأرض تميد : تتحرك وتتمايل .

وطريق المجد مشبوب اللظى

جاحم الرمضاء ملغوم كؤود[1]

والثرى تسرح في أشباحه

العماليق وعاد وثمود

شق جنح الليل عزما ومضى

يركب الهول ويزجي ويقود

يمتطي طرفا وينضو صارما

ما له في وثبة المجد حدود

يقنص المجد ويصطاد العلى

والظبا تلمع والموت رصيد

العلى أبعد شيء يبتغى

والردى أقرب مطلوب يريد

وهو إما الصدر والملك ولا

شيء إلا القبر ما عنه محيد[2]

---

(١) ملغوم كؤود : أي مليء بالصعاب .

(٢) هذا البيت تضمين لمعنى بيت أبي فراس الحمداني :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، ص ٦٦ .

ثم يدلف السنوسي إلى الحدث ، والذي يكمن في التقاء كل من الملك عبدالعزيز وابن الرشيد ، ولم يعن السنوسي بوصف ذلك الحدث ، وإنما ألمح إلى قوته بقوله :

وتلاقى في مجال ضيق

القوي الغر والحق الرشيد

موقف قف له جلد الثرى

واكفهر الجو واربد الوجود[1]

ثم يرسم الخاتمة ، والتي تكمن في انتصار الملك عبدالعزيز على عدوه ، وتمكنه من استعادة ملك أجداده من قبضة ابن الرشيد . وقد كان لذلك النصر أثره في تضوع الفرحة وانتشارها في الكون ، وله أثره في عالم (هند) التي رمز بها الشاعر للرياض . يقول السنوسي في ذلك [2] :

وانجلى العثير عن تكبيرة

رجع البيد صداها والنجود[3]

(١) قف : قام أو ارتعد من الفزع ، واكفهر : المكفهر من السحاب : الذي يغلظ ويسود ويركب بعضه بعضا .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) العثير : الغبار المتطاير من أرض المعركة . والنجود ، واحدها النجد وهو : ماغلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى .

هلل الكون على أصدائها
واستهل النصر وافتر السعود
وأضاء الفجر في إشراقه
لسماء الشرق تاريخ جديد
وصحت هند على شدو المنى
وعلى الغازي تحييه الوفود
واستمر الدهر يروي قصة
نسجها فذ وشاديها فريد

والمتأمل في هذه القصيدة يجدها مشبعة بالتقنية القصصية ، فاللغة التفصيلية التجسيدية ملمح بارز فيها ، نلمس ذلك في تجسيده لزمن ذلك الاقتحام ، وتجسيده للمشاعر والأحاسيس التي تتجاذب عالم (هند) الوجداني ، ثم تجسيده لملامح الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ولأحلامه وطموحاته ، وتجسيده لقوة ذلك الالتحام الذي وقع بين الملك عبدالعزيز ومن معه وابن الرشيد وأتباعه ، ولتلك الفرحة التي غمرت الدنيا بأسرها إثر ذلك النصر ، والفتح المبين .

وفي حديث الشاعر عن (هند) يعمد إلى المفاجأة ، فيتقمص روح تلك العاشقة ، وكأنه هي ، وتغيب ذاتية الشاعر عن الوجود ، وتحل محلها ذات العاشقة ، فتحاور نفسها ، وتصارع هواجسها .

وهذا الأسلوب الذي انتهجه السنوسي يعزز الموقف الدرامي في القصيدة وينتشلها من المباشرة والتقريرية .

ونجد في هذه القصيدة الشخصيات وهي من أهم العناصر التي يقوم عليها العمل القصصي ، ولن أحيد عن الصواب إن قلت : إنها الأساس الأول الذي قامت عليه قصيدة السنوسي تلك ، خاصة إذا عرفنا أن القصيدة - منذ بدايتها - معنية بإبراز شخصية الملك عبدالعزيز والإشادة بشجاعته وبطولاته .

وهناك شخصية أخرى ، إلا أن السنوسي لم يقدمها لنا كما قدم شخصية الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ولم يعن بتحديد ملامحها ، واكتفى بالإشارة إليها . إلا أننا نستطيع أن نحدد بعض ملامحها ، فهي شخصية ظالمة متكبرة .

وهاتان السمتان تفهمان من إشارة السنوسي إلى قصة العماليق وعاد وثمود، في وصفه للصعوبات التي تنتظر الملك عبدالعزيز ، وتعترض طريقه .

وهذا مايسمى في القصة بتداعي المعاني أو ما يسمى بتيار الوعي .

ونجد في هذه القصة أهم مايميز القصة على الإطلاق وهو الحل ، ويكمن الحل في هذه القصيدة في تلاقي الملك عبدالعزيز بخصمه اللدود

ابن الرشيد وأتباعه، ومن ثم انتصار الملك عبدالعزيز ، واستعادته لمدينة الرياض موطن أسرته الأول ومقر حكمهم.

والهدف الذي يرمي إليه السنوسي - من خلال هذه القصيدة التي صاغها بأسلوب قصصي ، حاويةلبعض تقنيات القصة - تبصير أبناء أمته الإسلامية بما يجب عليهم عمله، وما يجب عليهم أن يتحلوا به من صبر ؛ حتى يتسنى لهم استعادة ماسلبه أعداؤهم منهم، آخذين العبرة من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الذي لم تحد من طموحاته في استعادة ملك آبائه وأجداده، قلة عدد جيشه وعدته.

ويتخذ السنوسي هذا الأسلوب إطاراً لقصيدته (أنشودة الصقر) حيث يقول فيها[1] :

نهض الصقر والسماء حواليـ ـه سحابا وبارقا وشعاعا

جذبته إلى السماء معانيـ ـها فلبى نداءها وأطاعا

ومضى كلما تمادى به الأفـ ـق اتساعا سما إليه اندفاعا

نبضت في فؤاده نشوه الحـ ـب فجلى علا وحام ارتفاعا

***

طائر تزدهيه إطلالة الفجـ ـر ويهفو بقلبه الإشراق

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٧٤ - ١٧٦ .

غمرت روحه الأشعة والأضـ ـواء والنيرات والآفاق
أبدا يطلب السمو ويعلو للمعالي جناحه الخفاق
عشق الشمس واستبدت به الشهـ ـب وألوت بنفسه الأشواق

***

رنق الطائر العظيم جناحيـ ـه وهوى فؤاده المحموما[1]
ورنا يكرع الضياء بعينيـ ـه ويلهو مدوما مستقيما[2]
يرشف الحب والسلام كؤوسا ويناجي من النسيم نديما
فإذا طلقة تطوح بالصقـ ـر جريحا يئن منها أليما

***

فزع الصقر حين مس ثرى الأر ض جناحيه وانتحى وتعالى
ومضى زاحفا يجر جناحا طالما روع الطيور صيالا
لم يدنس أديمة وحل الطيـ ـن غلابا ولم ينفض رمالا[3]
فإذا حية تطل عليه ثم تطوي إلى مداه حبالا

***

(١) رنق : رنق الطائر : إذا خفق بجناحيه في الهواء ولم يطر .

(٢) يكرع الضياء : أي صوب رأسه إليه ، ومدوماً : أي حلق في السماء ولم يحرك جناحيه .

(٣) أديمه : جلده .

زحـفت نحـوه فـمـد إليـهـا نـظرا نافـذا وروحـا قـويا
فـتـهـاوت على التـراب وقـالت : إنـنـي أنشـد اللقـاء الحـفـيـا
أفـتـرضى بأن أطـارحـك الـقـو ل سـمـيرا وأن أكـون نجـيـا ؟
أنت عن هذه الـديـار غـريـب يا صـديقي فـضع يداً في يديا

***

واستفاض الحديث بـين الصديـقيـ ـن زلالا تعـب منه النفوس
حين قـالت : من أي أرض ومن أي مكان هذاالجـمـال النفـيس ؟!
كـيف لم نهـتـدي إليـه ولم تخطـر به فكرة علينا الرؤوس ؟!
قـال : إني من عـالـم النـور يا أخـ ـت وداري نجـومه والشـمـوس

***

أنا لا أعـرف التـراب ولا الطـيـ ـن ولا ضـمـني من الأرض جـحـر
أنا من عـالـم يـعـيش ويحـيـا في سـمـاء لهـا صـفـاء وطهـر
لا غـبـار يلوح في جـوها الصـا فـي شـقـاء ولا دخـان وغـدر
وهي كـون من الطـلاقـة والإشـ ـراق والبـشـر بل خـيال وشـعـر

***

في شـمـوخ الجـبـال رف جناحـي ومن نبـتـهـا النضـيـر غـذيت
وعلى قـمـة هنـالك شـمـا ء ترعـرعت فـوقـهـا وربيت

رشفت مهجتي الشآبيب والأنـ ـداء حتى تضلعت وانتشيت[1]
أين مني سنا تفجر في نفـ ـسي وأفق من حسنه ما ارتويت ؟!

***

وشكى حسرة يؤججها العجـ ـز وضعفا تذكي لظاه الجراح
ورمى طرفه إلى الأفق أسيا ن وقد هيض ريشه والجناح[2]
ثمت استجمع القوى يرمق الجو وقد لاح في رؤاه الصباح
زف في قوة وأهوى إلى البحـ ـر غريقا تبكي عليه الرياح[3]

***

شاقت الحية الأحاديث حتى لمعت في لحاظها الأطماع
وأسرت عزيمة تقصم الظهـ ـر وتعيا بحملها الأضلاع
جمعت نفسها انطواء وهمت واشرأبت وسرها الاندفاع
وثبت وثبة البروق فردتـ ـها إلى الأرض شيمة وطباع

***

وهوت تفحص التراب وتهتـ ـز على قاعه من الرجفان

---

(١) تضلعت : أي امتلأ مابين أضلاعه شبعاً ورياً .

(٢) هيض : أي كسر .

(٣) زف : زفَّ الطائر في طيرانه يزف زفا وزفيفاً وزفزفة : ترامى بنفسه، وقيل : هو بسطه جناحيه .

وعلى حفرة هنالك ألقت جسمها في حقارة وهوان

نضنضت والتوت ومالت ودست رأسها في رطوبة الأطيان[1]

واستفاقت مما عراها فقالت: تلك عقبى خرافة الطيران

***

لا ليست السماء لصل زاحف في الظلام والأدغال

أنت لم تخلقي لإشراقة الجو ولا روعة الذرى والجبال

ولكل حياته يا رقيطاء فلا تهرفي بسخف المقال

تلك عقبى تمرد الطبع والنفس وإسرافها وسوء الخلال

***

واستمرت أنشودة الصقر تنساب بألحانها على الأكوان

يطرب النفس وقعها وتثير الفكر أصداؤها وتحيي الأماني

في تلاحينها من السحر ألوان ومن فتنة الجمال معاني

نغم ساحر الصدى ونشيد من صميم الشعور والوجدان[2]

***

والمتأمل في هذه القصيدة يجدها مشبعة بالتقنية القصصية منذ

---

(١) نضنضت : النضنضة : صوت الحية إذا حركت لسانها .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٨٣ - ١٨٧ .

بدايتها ، نلمس ذلك في عنايته بتجسيد كل شيء ، فالبحر ذو العباب يحيي الشاطئ الحالم ، والأفق بهي ، والسنا الذائب يشعشع في الموج رحيقاً ، والشعاع الأبيض يسكب الصفاء النقيا ، هذه المشاهد المتلاحقة لجمال الطبيعة في ذلك اليوم ؛ أغرت الصقر بمفارقة وكره ، والتحليق في أجوائها .

ويواصل الشاعر في بقية أبيات القصيدة تجسيده لكل ماحدث ، عن طريق لغة موحية ، تهتم بالتفصيل والتنقل بين الجزئيات على لسان الشاعر ، سواء للحالة الخارجية أو للوقائع ، فيحدثنا السنوسي عن « قصة هذا الصقر وكيف تعرض لطلقة نارية طوحت به جريحاً ، وهو طائر يعز عليه أن يتمرغ في الطين والأوحال ، وإذا حية تطل عليه وتقترب منه رويداً ، وبنظرة واحدة منه تراجعت وطلبت منه صداقته ، ويجري بينهما حوار قصير ، تعلم منه أن هذا الصقر جاء من أراض بعيدة كانت مهداً للجمال والحب والصفاء والوفاء . . . . ، ثم يستجمع الصقر قواه ويطير ، ويترك الحية تحاول أن تطير ، لكنها تخيب في محاولتها لأن الطيران مخالف لتركيبها وطبيعتها ، أما هو فيهوي في البحر ويموت . . . »[(١)] .

ولا يخفى على القارئ المتعمق ماتحفل به هذه القصيدة من أشياء هي من صميم عقيدتنا الإسلامية .

---

(١) شعراء من أرض عبقر ، ج(٢) ص ١٥٥ - ١٥٦ .

فالصقر ذلك الطائر القوي، عاشق السماء، ومرهق الطيور بملاحقته لها كان مآله إلى الموت، مطلقاً حقيقة حتمية أنه لا بقاء إلا لله. والحية - ذلك المخلوق الزاحف - تواجه بالفشل الذريع، عندما تحاول التمرد على فطرتهاوماهيتها رغبة في الطيران، مطلقة هي أيضاً حقيقة حتمية، تكمن في أنه مامن مخلوق إلا وهو ميسر لما خلق له[١].

وهاتان الحقيقتان من شأنهما أن يعمقا إيمان المتلقي بالله - سبحانه وتعالى - وبقضائه وقدره.

ومن قصائده التي بدت فيها النزعة والروح القصصية بالإضافة إلى ماسبق الاستشهاد به قصيدته (موكب السحاب) التي يقول فيها [٢] :

هب والأفق ديمة وغمامه	**وجبين السماء بادي الجهامه[٣]**
ووميض النجوم إيماء لحظ	**وسنا البرق بسمة والتثامة**
والدجى عاطر النسيم ندي الضـ	**ـوء زاهي الرؤى مليح الوسامه**
شاعر رفرفت على لحنه الطيـ	**ـر هياما ورددت أنغامه**

(١) في الأدب الإسلامي، د. محمود شاكر سعيد، ط(١) ١٤١٣هـ، دار المعارج الدولية للنشر، ص٤٤ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ١٢٥ - ١٣١ .

(٣) الديمة : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، الجهامة، الجهمة، والجهمة : أول مآخير الليل، وقيل: هي بقية سواد من آخره، ولعل الشاعر أراد بالجهامة هنا : غلظ ذلك السحاب وكثافته لأنه قد غطى السماء من حوله.

شاقه موكب السحاب وقد سا رعلى الأفق ناشرا أعلامه

وزفيف الرياح يخترق الجو صفيرا والبرق يجلو حسامه

وازدهته الرعود تختلب النفس جلالا وتطبيها فخامه

مشمخر الذرى رقيق الحواشي سابغ الذيل مسبلا أكمامه

عيلم تسبح الكواكب فيه وتشق الدجى به عوامه

ضربته الرياح فاستقبل الأرض حثيثا يبثها آلامه

ثائر والسكون يضفي على الكون جلالا والليل يرعى نيامه

جلل الأرض والسماء وأعيا صائل الرعد أن يدك ركامه

غدق أيقظ الحياة على الأرض وأحيا من الوجود رمامه

سال عبر الفضاء ذوب لجين واستفاضت به البطاح مدامه

وجرى في الشعاب تبرا مذابا وسجى عسجدا وفاض رخامه

نعمت قرة به أعين الأرض ورفت قلوبها المستهامه

وتجلت به الطبيعة حسناء تثير الهوى وتذكي ضرامه

تتضاحى بها المناظر والأفلام حسنا على مجالي تهامه

دوحة عند جدول وغدير عند عشب وظبية وبشامه

ومروج تهدلت تملأ الوادي وتسترقف النسيم سلامه

سطعت في ظلالها لمع الشمس ورقت بها دموع الغمامه

ومشت حولها المها تقطف الزهر وتحسو الندى وترعى الخزامه

وشـدا في الـفـروع صـادح أيـك جـاويت لحنه الرقـيق حـمـامـه

ونضـا الفـجـر فوقـهـا ضـوءه الزا هــي وألقى على الرياض لثامـه

وجـلاها أزاهـرا كـالشـفـاه اللعــس حـارت على لماها ابتـسـامـه

صـوريرقص الخـيـال عليـهـا وتطـيـر المنى بـهـا حـوامـه

ورؤى تسـتـفـز عـاطفـة القلـب وتسـتـهـبط الـنهى إلهـامـه

والمتأمل في هذه القصيدة يقف على سريان الروح القصصية فيها، والروح القصصية في الشعر كما يرى الدكتور عبدالله حامد « هي أصعب الأمور، وغاية الفن، والتي لايصل إليها إلا القلائل من الموهوبين»[1] .

نلمس تلك الروح في المشاهد المتلاحقة التي جسدها لنا الشاعر لذلك السحاب منذ بداياته إلى أن اختلط بتراب الأرض، وما أسفر عنه ذلك الاختلاط من استعادة الأرض لبهجتها وزينتها .

والناظر لتلك المشاهد يجدها مترابطة أشد مايكون الترابط، فالمشهد الأول يفضي إلى المشهد الثاني، والمشهد الثاني يفضي إلى المشهد الثالث، وهكذا تستمر المشاهد حتى نهاية القصيدة، فالمشهد الأول، اهتم السنوسي فيه بتجسيد السحاب، بدءاً من سيره البطيء الموحي بكثافته، وامتداده ليغطي كل الآفاق، مروراً بتجسيده لصفير الرياح القوية وشدتها، وانتهاءاً

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبدالله الحامد، ط(١)، ١٤٠٢هـ، ص١١٢ .

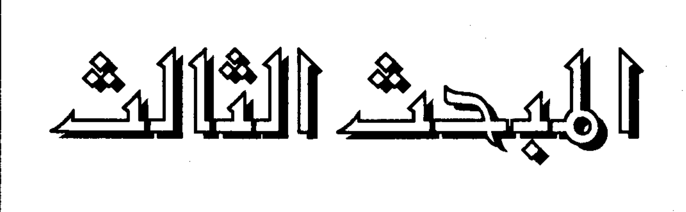
بلمعان البروق، وأصوات الرعد المتلاحقة. وهذه المناظر الجزئية - التي تكون هذا المشهد - تؤكد أن السحاب الذي أغرى شاعرنا بمتابعته يحمل في طياته الخير للأرض ومن عليها. وهذا ماتفصح عنه المناظر المتلاحقة التي كونت المشهد الثاني، فالرياح ضربت ذلك السحاب ، فهوى على الأرض يبثها آلامه ، ولأن خيره كثير فقد أيقظ الحياة على الأرض، ثم جرى في الشعاب كالتبر المذاب.

أما المشهد الثالث ، فقد اهتم فيه السنوسي بتجسيد أثر المياه التي انهمرت من ذلك السحاب لتعانق الأرض . نلمس ذلك في المناظر المتلاحقة التي تكون هذا المشهد الذي يوحي بالحياة والجمال ، فالطبيعة قد تجلت وظهرت في أحسن حللها بعد طول احتجاب ، والمروج الخضر تهدلت على جنبات الوادي مستقبلة سلام النسيم، والمها تقطف الزهر تارة وأخرى تحسو قطرات الندى المستقر على أوراق تلك الزهور، بينما راحت الطيور بأنواعها المختلفة تعلن فرحتها بواسطة أصواتها الجميلة . . . الخ.

ولا يخفى على القارئ لهذه القصيدة قدرتها على شده وجذبه إلى آفاقها رغم طولها، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تماسكها العجيب. فمشاهدها المتلاحقة مترابطة فيما بينها، بحيث لايستطيع القارئ لها الوقوف عند مشهد دون أن يفضي به إلى المشهد الثاني فيها، وهذا يدلنا

على براعة السنوسي في استخدامه للأسلوب القصصي، ومقدرته الفذة على النفاذ به إلى عالم المتلقي من خلال عنصري الإثارة والتشويق اللذين تحفل بهما كل قصائده التي أشرنا إليها، والتي عرضنا لها بالدراسة والتحليل.

ويبدو لي أن طبع السنوسي المتدفق، وتمكنه من فن الوصف وإجادته فيه، ساعدا - كثيراً - على إبراز تلك الروح القصصية التي ابتعدت بكثير من تجاربه عن التقريرية والمباشرة.



الصورة الفنية

الصورة الفنية

يعد التصوير الأداة البارزة التي اتكأ عليها السنوسي في التعبير عن أبعاد وجوانب تجربته الشعرية .

ومن المعروف أن التجربة الشعرية لا تكتمل ولا يتحقق لها التأثير المأمول في نفس متلقيها إلا عن طريق الصورة الشعرية ، ذلك أن الشاعر «بواسطة الصورة يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره» (١) ، وعن طريقها يستطيع الشاعر التأثير في نفس المتلقي ، ومن ثم حمله على المشاركة الوجدانية عن طريق إثارته لمشاعره وانفعالاته .

وقد لفت انتباهي وأنا أتتبع الصور الشعرية التي استعان بها السنوسي لتجسيد رؤيته الشعرية ، وتحديد أبعادها ، تنوع تلك الصور ، وتعدد مصادرها .

ولهذا رأيت أن أتناول بالدراسة في هذا المبحث مايلي :

أولاً : مصادر صور الشاعر .

ثانياً : الخيال والصورة الشعرية .

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ط(٢) ١٩٧٩م ، ص ٦٨ .

ثالثاً : المفارقة التصويرية .

أولاً : مصادر صور الشاعر :

إن دراسة الصورة الشعرية في شعر السنوسي الإسلامي تؤكد أنها تعود إلى مصادر ثلاثة هي :

١ - مصادر ثقافية .

٢ - الطبيعة .

٣ - الإنسان .

وسنحاول الوقوف عند كل مصدر على حده لنرى إلى أي حد استطاع الشاعر أن يفيد من تلك المصادر المتنوعة والمتعددة في رسم وخلق صوره في شعره الإسلامي .

١) المصادر الثقافية :

كان لثقافة شاعرنا الدينية والأدبية أثر كبير وفعّال في تشكيل صوره الشعرية ، والمتأمل في شعره الإسلامي يقف على ذلك الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والتاريخ الإسلامي ، وتراثنا الأدبي ، في الجانب التصويري فيه .

ويأتي القرآن الكريم في مقدمة تلك المصادر التي أثرت في شعر شاعرنا الإسلامي من حيث الكثرة والعمق .

والقرآن الكريم كما هو معروف « كتاب ديني بالدرجة الأولى ، ولكن

الهدف الديني والتربوي فيه لايظهر عارياً مباشراً، بل يلبس صورة فنية في أغلب الأحيان، وإنك لا تعدم التصوير فيه حتى في التعبير الحقيقي الذي لاتجده يندرج تحت الأنماط البلاغية المعروفة»[1] ومعنى ذلك أن الصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني، وهذا ما أكده سيد قطب : « إن التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن »[2] .

وشاعرنا أظهر مقدرة فائقة في التعامل مع الصورة القرآنية في تجاربه الشعرية، ولعل في تلك المقدرة دليلاً على احتوائه للصورة القرآنية وتفاعله معها.

وهذان الأمران جعلاه لا يكتفي بمجرد النقل الحرفي للصورة القرآنية، ومن ثم تضمينها في نسيجه الشعري على سبيل الاقتباس، وإنما أضاف إلى كثير منها شيئاً من شاعريته الفياضة، بحيث تصبح الصورة القرآنية المستوحاة، أو المشارإليها، جزءاً من نسيجه الشعري لا غنى لتجربته عنها. فهي بالإضافة إلى أدائها لمهمتها في تلك التجربة، تقوم بعملية الإثراء لتلك التجربة بواسطة إيحاءاتها وامتداداتها القرآنية العميقة الأثر.

(١) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٢) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب، ط(٨) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الشروق ، ص٣٧.

وقد تعددت طرقه في التعامل مع الصورة القرآنية، فتارة يميل إلى استخدام بعض المفردات القرآنية التي تدل على معانيها من خلال هيئتها أو جرسها أو ظلها، وميزة تلك الألفاظ تكمن في قدرتها على تصوير المعنى المراد تصويراً ينبض بالحركة والحيوية.

ومن استخدامه لمثل هذه المفردات قوله في قصيدته (أم القرى) واصفاً الأثر الذي أحدثته الرسالة الإسلامية في المعمورة[1] :

هزمت أشعتها الظلام وزلزلت كسرى وراء الخافقين وقيصرا

فلفظة (زلزلت) التي وردت في هذا البيت تصور دلالتها المعجمية المعروفة، ولكن أغلب الظن أن الصورة القرآنية لهذه اللفظة كانت حاضرة في ذهنه، وهو سابح في أفق الماضي الجميل، فاراً من الحاضر الأليم، مستحضراً الأثر الذي أحدثته الرسالة الإسلامية في كل أرجاء المعمورة، من نشر للعدل، وتحقيق للمساواة، ودحر للظلم والطغيان المتمثلين في أقوى أمتين على وجه الأرض في تلك الفترة.

وإذا كانت هذه اللفظة قد وردت في القرآن الكريم لتصف مشهداً من مشاهد القيامة كما في قوله تعالى : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾[2]

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٦ .

(٢) سورة الزلزلة، الآية : ١ .

حيث انتهاء الحياة الدنيا، ومن ثم البدء في أمور الحياة الأخرى، وما ينتظر الإنسان من حساب وعقاب قبل الولوج إلى أحد الدارين، فهي في بيت السنوسي السابق تصور نهاية الطغيان والظلم التي جاءت نتيجة طبيعية لانتهاء نفوذ كل من الفرس والرومان على هذه المعمورة، وانتشار قيم ومبادئ الرسالة الإسلامية.

ومن تلك الألفاظ التي استعان بها السنوسي في نسيجه الشعري لفظة (فظة) و(غلاظ) كما في قوله يصف فدائية المجاهد الفلسطيني[1]:

وأقذف بالمنايا والشظايا قلوبا فظة وقوى شريره

وقوله في وصف أخلاق المنافقين الذين ابتلي بهم مجتمعه[2]:

بسمات ملونات وأخلا ق وصولية غلاظ سخيفه

فإيقاع لفظتي (فظة) و(غلاظ) عن طريق هذه (الظاء) التي يجد اللسان ثقلاً وغلظة في نطقها، يحكي ويصور واقع المستعمرين الإسرائيليين ومدى قسوة قلوبهم في البيت الأول، كما يحكي ويصور لنا أخلاق أولئك الوصوليين الذين يسعون إلى غاياتهم عبر الطرق الملتوية.

ولهاتين اللفظتين وجودهما في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٨.

في نفس هذه الصفة عن رسوله الكريم : ﴿ **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ [1] .

وقوله تعالى في وصف نار جهنم : ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم** ﴾ [2] .

وقد عبرتا عن دلالتهما أدق تعبير كما هو واضح في الآيتين السابقتين .

وتارة يستخدم بعض المفردات التي لها صلة عميقة بالصورة ، لا من حيث بنيتها اللغوية أو الموسيقية كما سبق أن بينا ، وإنما من حيث قدرتها علي إثارة واستحضار صورة أو مشهداً قرآنياً. وتقوم المفردة بهذه المهمة « حين يضعها الشاعر في سياق خاص، ويكون لهذه المفردة فضلها في جعل الصياغة الشعرية صياغة تصويرية، كما أنها تساعد على تداعي المعاني والصورة في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية، وتجعل المدلول الشعري أوسع وأغنى من الدلالة المباشرة »[3] .

وأمثلة هذا النوع في شعر السنوسي كثيرة جداً، ومنها قوله في قصيدته (العالم العربي) واصفاً صحوة أبناء أمته من غفوتهم التي طالت [4] :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .
(٢) سورة التحريم ، الآية : ٦ .
(٣) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ص ١١٦ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٨٧ - ٨٨ .

نهض الكيـان الضـخم من أغـلاله ورمـــى سـلاسله بكـل إبـاء
سـبعـون مليـونا يضيء طريقـهـا قـبـس يؤجـجـه دم الشـهـداء

والمتأمل في تعبير السنوسي (قبس يؤججه دم الشهداء) يجده يحمل صورة ثرية ، خاصة إن نحن ربطناه بنفسية الشاعر التواقة لتلك الصحوة التي ستثمر عن استعادة أمتنا لأمجادها التليدة ، وكذا جو النص العام الذي ورد فيه . ولكن هذا الثراء الذي يكتنزه ذلك التعبير في ذاته سيكون أعمق وأعظم إذا عرفنا أن للمفردة (قبس) امتدادات قرآنية موحية ، ويكفي أن نذكر هـذه الصورة القرآنية : ﴿ **وهـل أتاك حـديث مـوسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى** ﴾[1] . فموسى - عليه السلام - كما تحكي هذه الآية القرآنية «ذهب يطلب قبساً من النار ، ويطلب هادياً في السرى . . ولكنه وجد المفاجأة الكبرى ، إنها النار التي تدفئ لا الأجسام ولكن الأرواح ، النار التي تهدي لا في السرى ولكن في الرحلة الكبرى»[2] .

ومن هنا يكون عمق المفردة في امتداداتها العميقة ،

---

(١) سورة طه ، الآية : ٩ ، ١٠ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج(٤) ط(١٥) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الشروق : ص : ٢٣٣٠ .

واستثارتها لأجواء ومشاهد قرآنية، من شأنها أن تكسب الصياغة الشعرية قوة تصويرية، وعمقاً تخييلياً [1].

واستخدام السنوسي لهذه المفردة، يوحي برغبته في التحرر من القيود، والانسلاخ من حالة الضعف والهوان، وتطلعه إلى استعادة الأراضي العربية والإسلامية التي ترزح تحت وطأة الاستعمار بعد أن أريقت فوقها دماء أبنائها.

ومن تلك المفردات القادرة على إثارة المتلقي، واستحضار كثير من المشاهد القرآنية الموحية - لفظة (صرصر) كما في قوله معمقاً أثر الصحوة العربية، وواصفاً قدرتها على تحقيق غاياتها [2]:

وهدوء أمواج البحار تأهب

للمد يكتسح الشواطئ صرصرا

فالشطر الثاني من هذا البيت (للمد يكتسح الشواطئ صرصرا) يحمل صورة ثرية وفق في اقتناصها خيال الشاعر؛ لتعميق أثر تلك الصحوة، ولكن هذا الثراء سيكون أعظم إذا عرفنا أن للمفردة (صرصر) امتدادات قرآنية موحية، ولك أن تتأمل ورودها في الآيات القرآنية الآتية :

---

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص : ١١٦ « بتصرف ».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٢٤ .

قال تعالى : ﴿ **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية** ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر** ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون** ﴾ [3] .

فهي في الآيات السابقة تصور شدة العذاب الذي أنزله الله بقوم عاد لطغيانهم وتجبرهم، وأقرب الظن أن السنوسي قد استحضر ذلك المشهد القرآني الموحي بالهلاك والإبادة الجماعية، فوظف ما يدل من ذلك المشهد عليه، في تجربته التي جاءت كصدى لتلك الصحوة العربيةالمنذرة بهلاك أعدائهم المتربصين بهم.

ولم يتوقف تأثر السنوسي بالصورة القرآنية عند هذا الحد - الذي سبق أن أشرنا إليه - وإنما تعداه إلى رسم بعض الصور الكلية، مستمداً جزئياتها من القرآن الكريم.

ومن نماذج هذا النوع من التصوير في شعره قوله [4] :

---

(١) سورة الحاقة ، الآية : ٦ .

(٢) سورة القمر ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ١٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٥٧ .

ذاك شـــيء علمـتـه مــذ وعي قلبي الفكر
كـانت الأرض والسـمـا ء أمـا تقـرأ السـور
فتق اللـه رتقهـا فاندحى الكون وانتشر

فـالسنوسي هنا وإن لم ينقل لنا الصورة القـرآنيـة حـرفيـا على طريقـة الاقتباس المباشـر، فهو يشير في هـذه الأبيات إلى كيفية خلق السمـوات والأرض، وهذه الصورة التي اسـتحضرها خيال السنوسي مستمدة من قول الله تعـالى : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السمـوات والأرض كـانتـا رتقـا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾[2] .

وهناك نمط من التصوير « تتدخل ملكة الشاعر التخييلية في الصورة القرآنية، فتقوم بالحذف أو الإضافة، أو التحوير ، وفق ما تستوعبه الصياغة الشعرية، أو الموقف الذي يعني الشاعر بتجسيده»[3] .

ومن نماذج هذا النمط من التصوير قول السنوسي واصفاً ليلة الهجرة النبـوية[4] :

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .
(٢) سورة النازعات ، الآية : ٣٠ .
(٣) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص ١٢٧ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦١ .

ليلة مـا تنفس الصـبح عن مـثــ ــل سناها على ثرى الصـحـراء

فالأصل القرآني لهذه الصورةالتي تدخل الشاعر في بناءصورته الشعرية من مادتها هي قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ [(١)] والتحوير الذي قام به السنوسي في هذه الصورة هو أن القرآن الكريم كان «يعني تجسيد الصبح ذاته، وهو ينشر نفسه على الكون؛ ليشعرنا بعظمته وجمال مشهده»[(٢)] .

أما السنوسي فلم يعن بتجسيد الصبح - وإن كان يرمي إلى انتشاره على صفحة الكون، وبيان جمال مشهده - وإنما كان يجسد أثر تلك الليلة التي ترتب على نجاة الرسول - ﷺ - فيها، انتشار الرسالة الإسلامية في الآفاق ، فاستعار لها الصبح، وماينبثق منه من أنوار .

ولعل الناظر في هذه الصورة ومدى التحوير الذي أجراه السنوسي فيها يقف على براعته في تطويع الصورة القرآنية ، وصياغتها بما يناسب هدفه وتوجهه .

ونمط آخر من التعامل مع الصورة القرآنية يواجهنا به الشاعر وهو مايمكننا تسميته بالصورة الإيحائية، وأقصد بها تلك الصورة التي تومئ إلى الصورة القرآنية لتضمنها شيئاً منها، ومثل هذه الصور تحتاج إلى حضور

(١) سورة التكوير ، الآية : ١٨ .

(٢) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص : ٢٧٤ .

ذهن المتلقي الذي سيقوم بدوره بالتقريب بينها وبين عناصر الصورة القرآنية المستوحاة[1] .

ومن نماذج ذلك التعامل قوله في قصيدته (أمامك دنيا) [2] :

فلم يطغني نجح ولا هدني أسىً

وما نكثت كفي نسيجا ولا غزلا

فالسنوسي هنا يبين موقفه من الحياة في موقفين من مواقف الحياة المكرورة، موقفه وقد حالفه النجاح، وموقفه وقد رافقه الأسى الذي أتى نتيجة لفشله في شيء ما. وقد أبدى رضاه في الحالين وهذا ماينبئ عنه الشطر الثاني :

(وما نكثت كفي نسيجاً ولا غزلا)

وهو غني بإيحائه المستمد من تلك الإيماءة إلى الصورة القرآنية التي جاءت في قول الله تعالى : **﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾**[3] .

ومن ذلك النمط قوله [4] :

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص ١٢٤ « بتصرف » .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٧ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٢ .

(٤٢) مجلة المنهل ، المجلد (٢٣) شعبان ١٣٨٢هـ ، ص ٥٠٥ .

فقل لدعاة الزيغ مهلا فإنكـم

على جرف هار وفوق شفا مودي

فالصورة التي يحملها لنا الشطر الثاني (على جــرف هـار وفوق شفا مودي) فيها إيماءة إلى صورة قرآنية يتضمنها قول الله تعالى : ﴿ **أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم** ﴾ (١) .

وكما تأثرت الصورة الشعرية عند شاعرنا بالصورة القرآنية تأثرت كذلك بالصورة في الحديث النبوي ، وليس أدل على ذلك من قوله (٢) :

أملى إرادته وضـم صفوفـه والتف من قطر إلى البيضاء

متماسك اللبنات متحد الخطى متجاوب الدعوات والأصداء

تتباين الأسماء في تعريفـه كالجسم وهو موحد الأعضاء

فهذه الصورة التي تحمل لنا حلمه الجميل مستوحاة من قول الرسول - ﷺ - (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه) (٣)

ومن صوره المتأثرة بالصورة في الحديث النبوي ، صورته التي اجتلبها ليجسد لنا مبدأ المساواة الذي عملت على ترسيخه الرسالة الإسلامية (٤) :

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٨٧ .

(٣) فتح الباري ، الجزء العاشر ، ص ٤٥٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .

شـــريعـــة كـــشـــعـــاع الشـــمـس نيـــرة

الناس في ظلهـــا كـــالمشط أسنانا

فالصورة التي يحملها الشطر الثاني مجسدة المساواة بين الناس في ظل الرسالة الإسلامية مستوحاة من قول الرسول - ﷺ - برواية أنس بن مالك : (الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله عز وجل)[1] .

وكما تأثرت الصورة الشعرية - في شعر شاعرنا - بمصدري التشريع الإسلامي كما مر بنا آنفا تأثرت - أيضاً - بالتاريخ الإسلامي ، خاصة في تجاربه العميقة الصلة بالرسالة الإسلامية وتاريخها المشرق وأبطالها العظام .

ونماذج استمداده لمواد صوره من التاريخ الإسلامي كثيرة جدا ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله في قصيدته (المغرب العربي)[2] :

كـــأني أرى مـــوسى أمـــامي بخـــيله

وأســـمع وثب الخـــيل والركض والقـــمـــصـــا

---

(١) الفردوس في مأثور الخطاب ج(٤) ص ٣٠١ ، رقم ٦٨٨٣ ، وقال أبوحاتم عنه : هذا حديث منكر ، وأبوسعيد مجهول . انظر في ذلك اللآلئ المصنوعة ، ج(٢) ص ٢٩٠ ، وانظر كشف الخفاء ، ج(٢) ص٣٢٦ . وهو حديث ضعيف .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .

ولمح المواضي والسفين وطارق
يخوض عباب اليم واليم قد غصا
وخطبته كالرعد تقتحم الذرى
وإيمانه لا يعرف الخوف والحرصا
مآثر للإسلام وهاجة السنا
قبابا وألبابا سوامق لا وقصا
وكم لهدي الإسلام في الأرض من يد
بها صفعت مستعمراً ورمت لصا

فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم لنا صورة مشرقة من صور تاريخنا الإسلامي، محاولاً بواسطتها التأثير في أبناء أمته الذين تخلوا عن أمجادهم وبطولاتهم بعد أن ركنوا إلى الخمول، واستسلموا للضعف والهوان.

وقد اكتسبت تلك الصورة الجمال من عنصر الحركة الموجود فيها، من خلال الألفاظ (وثب ، الركض ، لمح ، يخوض ، تقتحم) ومن الصور الجزئية التي تداعت في ذاكرة السنوسي مكونة الصورة الكلية ، مثل : (أسمع وثب الخيل ، ولمح المواضي والسفين، وطارق يخوض عباب اليم، وخطبته كالرعد تقتحم الذرى) .

وبالإضافة إلى تلك المصادر التي وقفنا على تأثيرها في صور شاعرنا في شعره الإسلامي، هناك مصدر آخر له أثره - أيضاً - في صوره إلا أنه

لايفوق المصادر السابقة، وهذا المصدر هو تراثنا الشعري الضخم في عصور قوته وازدهاره.

ومعظم الصور الشعرية التي وقفت عليها، والتي تمثل تأثره بهذا المصدر، ليست منقولة بحذافيرها في تجاربه وصوره الشعرية، وإنما هي مستوحاة استيحاءً، وهذا الضرب من التأثير محمود ويحسب للشاعر، ويؤاخذ إن عمد إلى النقل الحرفي من تراثه سواء في مجال الشعر أو التراث الفكري عموماً. وهذا ما أكده الناقد الإنجليزي: (ت . س اليوت) في التعامل مع التراث [1] .

ومن تلك الصور على سبيل المثال لا الحصر : صورة السيف ، وما توحي به من معاني القوة والعزة والمنعة، استخدمها الشاعر في بعض تجاربه ، محاولاً بها تصوير ميل نفوس أبناء أمته - منذ بداياتهم - إلى المجد والمعالي من الأمور، وتجسيد مايمور فيها من مشاعر لتحقيق ذلك بحد السيوف وصليلها في معاركهم الضارية. نلمس ذلك في قوله مادحا الملك سعود - رحمه الله - [2] :

---

(١) انطونيو وكليوباترا ، دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي، د. عبدالحكيم حسان، ط(٢)، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ٣٥ - ٣٨ .

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ، ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، ص ١٢١ .

أنت المؤمل لليوم الأغر إذا

هزت فلسطين سيفا والظبا علق

وفي حديثه عن الجيش السعودي وتجسيده لاستعداده الدائم للمتربصين بأمن وخيرات وطنهم [١] :

كل شبر من حمانا وذرانا غابة تزأر سيفا وسنانا

وفي وصفه لفدائية أبناء مصر وشجاعتهم [٢] :

وانبرى فوق كل كنز على الأر ض شجاع حسامه سفاح

وصورة الأسد ، وما توحي به من قوة وشجاعة وإقدام ، وردت في كثير من تجاربه التي عرض فيها للحركات النضالية ، التي قامت بها بعض الشعوب العربية والإسلامية ضد المستعمرين . نلمس ذلك في قوله واصفا ثورة الفدائيين الفلسطينيين [٣] :

في الطريق الرهيب طاروا صقورا ومشوا في ظلالها آسادا

وفي تجسيده لانتفاضة أبناء أمته العربية [٤] :

فالليث يجمع نفسه متحفزا للوثب حين تراه يمشي القهقرا

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

وصورة الجبل ، وما توحي به من معاني الثبات والقوة والشموخ ، استخدمها الشاعر في مواطن كثيرة تستدعي كل تلك المعاني التي يوحي بها الجبل . نلمس ذلك في قوله واصفا ثبات الرسول - ﷺ - على موقفه أمام كفار قريش [1] :

والرسول العظيم كالطود إيما نا وكالنجم في السنا والسناء

وفي وصفه لفدائية المجاهد الفلسطيني وموقفه في وجه المستعمر البغيض [2] :

وقفوا كالجبال حزما وعزما وتحدوا الطغاة والمرادا

وصورة الشمس ، وما توحي به من معاني الظهور والرفعة ، استخدمها في مواطن من شعره استدعت حضورها وحضور المعاني التي توحي بها ، نلمس ذلك في قوله مشيداً بالرسالة الإسلامية [3] :

في دعوة كالشمس ساطعة السنا

تهدي الضليل وترشد المتحيرا

وفي مدحه للملك عبدالعزيز - رحمه الله - [4] :

متألق كالشمس زاه كالضحى عال على فلق الزمان محلق

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٨٠ .

وصـورة الجلمـود ، ومـا توحي به من مـعـاني الصـلابة والشـدة ، استدعاها الشاعر محاولاً بواسطتها تأكيد المعاني التي يرمي إليها ، كما في قوله واصفاً مصارعة البحارة لأمواج البحر العاتية بسواعدهم الصلبة [1] :

ويصارعون الموت في أعماقه　　بسواعد صماء كالجلمود

هذه بعض الصور التي استوحاها الشاعر ، واستمد موادها من ذاكرته التي اختزنت في داخلها الكثير من تراثنا الشعري الضخم الذي انكب عليه في مطلع حياته الأدبية .

والمتأمل في الشواهد الشعرية التي أوردناها ، والصور التي تضمنتها ، يدرك أن الشاعر لم يعمد إلى نقلها حرفياً كما هي في مصادرها ، وإنما استوحاها استيحاء ، في مواطن تستدعي حضور مثل تلك الصور الشعرية .

وهـذا التأثر من قبـل شاعرنا ببعض الصور التـراثية القديمة - لا يجعلنا نحكم بفقدانه لأصالته الشعرية ، وذلك لأن الشاعر «ليس نبتاً شيطانياً ، وإنما هو حلقة في سلسلة المبدعين ، يتأثر بمن سبقه ، ويؤثر فيمن لحقه ، ومن ثم فإن تأثره بالآخرين لايطيح بأصالته الشعرية ، ولا يفقده تميزه بين أقرانه من الشعراء» [2] .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٧٧٧ .

(٢) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، ص ٤٤ .

٢) الطبيعة:

تعد الطبيعة - بما تحتويه من حيوانات ونباتات وجمادات - المصدر الثاني لصور شاعرنا، وتأتي الجمادات كأكثر أنواع هذا المصدر ظهوراً في صوره. ويبدو لي أنه قد وجد في معظم مظاهر هذا النوع مايشبع نفسه التي تأبى الخنوع وحياة الذل والهوان، وتعشق السمو في كل شيء. وهذا ماأكده بقوله(١) :

شاقني ذلك السمو ولي قلـ ـب ولوع بكل سام وعال

كلف بالسمو أني تجلى شامخا في الجبال أو في الرجال

ولهذا نرى في صوره الشهاب، والكواكب، والأفق، والسماء، والشمس، والفضاء، والسحاب، والسنا، والقبس، والذرى، والربوة، والجبل، والجو، والأنجم. كقوله(٢) :

جذبته إلى السماء معانيـ ـها فلبى نداءها وأطاعا

ومضى كلما تمادى به الأفـ ـق اتساعا سما إليه اندفاعا

وقوله (٣) :

عشق الشمس واستبدت به الشهـ ـب وألوت بنفسه الأشواق

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٤ .

(٢) المصدر نفصسه، ص ١٧٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٦ .

وقوله [1] :

ألقــــاه في لمع الكواكب والدجــى　　يرنو إلى إطراقــة الشــعــراء
وأراه يلمع فـي الـفـضـاء فـيـتـشـي　　قلمي بكل سـحـابة وطـفـاء [2]

وقوله [3] :

والذرى تنطح الســحـــاب سناء　　والسنا يقـــدح الكواكب زندا

وقوله [4] :

وشـــهـــاب له على كـــل أفـــق　　قـــبس يهـــتك الظلام ويودي

وقوله [5] :

والجــــو والأنجــم رفـــاقـــة　　والقـمـر السـاطع يزهو ابتـسـام

وهناك صور مرتبطة بظواهر الطبيعة الصامتة الأخرى، كالأرض ، والثـــرى، والـــزلازل، والبـــراكين ، والنار، واللظى ، والريـــاح ، والعواصف ، والأعاصير ، والنسيم .

ومن ذلك قوله [6] :

والأرض نشــوى من عـبـيـر الشــذى　　والكون يهـفـو بأريج الخـزام

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٢) سحابة وطفاء : الديمة السَّح الحثيثة ، طال مطرها أو قصر ، إذا تدلت ذيولها .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

وقوله (١):

تحلق تـارة وتسـف أخـرى يكاد يمس جـؤجـؤها التـرابا(٢)
وحق لهـا وقـد وردت ورادت ثرى خـصـبـا وأودية رحـابـا

وقوله (٣):

هنا الأرض زلزال هنا الجـو عـاصف
هنا الجـبل الراسي وغى وضـراب
هـنا النار زاد للجـيـاع وها هـنا
حـمـيم لأكـبـاد الظمـاء شـراب

وقوله (٤):

الخـائضين الوغى والكون مـعـمـعـة من الكـوارث يرمي بالبـراكين

وقوله (٥):

أثرها على المستـعـمـرين وشـنها
لظى تشـعل الأجـواء والبـر والبـحـرا

وقوله (٦):

وهبت أعـاصيـر العروبة والـردى على المارد الجبار تعـصـره عـصـرا

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
(٢) جؤجؤها : صدرها .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩١ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

ويلي الجمادات في الصور الطبيعية - في شعر السنوسي-الحيوان ، وأكثر صوره تدور حول الحيوان الطائر : كالنسر ، والصقر ، والحمام ، والبلبل . وذلك مثل قوله [1]:

والنسر ينفض من جناحيه الندى

قبل الصعود إلى السماء مبكرا

وقوله [2]:

نهض الصقر والسماء حواليـ ـه سحابا ويارقا وشعاعا

وقوله [3]:

هب من نومه يغني كما غنى على الأيك بلبل غريد

وقوله [4]:

وشدا في الفروع صادح أيك جاويت لحنه الرقيق حمامه

ومن صور الحيوان السائر ، قوله [5]:

مثالب تأباها الذئاب ترفعا

وتخجل من أمثالهن كلاب

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .

وقوله [١] :

فــإذا حــيــة تطل عليــــه   ثم تطوي إلى مــداه حــبــالا

وقوله [٢] :

ومــشت حــولهــا المهــا تقطف الزهــ

ـــر وتحــســو الندى وترعى الخــزامــه

وقوله [٣] :

والليث أكــرم أن يكون ضــحــيــة   وأجل من رسن ومن أعــبــاء[٤]

ويأتي النبات كأقل محتويات الطبيعة أثراً في صوره، وقد اقتصر منه على المنظر الجمالي الرمزي، حيث يختار منه الصور التي تؤدي إلى ذلك، فنجد صوره تدور حول الخميلة، والجنة، والرياض وماتحويه من زهور وأغصان مثل قوله[٥] :

رفــافــة كــشــذى الزهـــو   ر نقــيــة كندى الغــمــام

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٤ .

(٤) رسن : الرسن : الحبل الذي يقاد به البعير وغيره .

(٥) الأعمال الكاملة، ص ٣٢٥ .

وقوله [1]:

نغمات كأنها نسمات ... رفرقتها خمائل وجنائن

وقوله [2]:

وربى الوادي على أغصانها ... حبب غاف وأزهار رقود

٣) الإنسان :

يعد الإنسان - ذكراً وأنثى - من المصادر الأساسية التي استقى منها شاعرناصوره في هذا الاتجاه، وقد تناولت صور الشاعر الإنسان في صراعه مع الحياة، إما لتحقيق بعض أمانيه التي يسعى إليها، أو في صراعه من أجل البقاء. كما تناولته وهو يصارع الظلم الذي يمنى به من قبل أخيه الإنسان.

أما صراعه من أجل تحقيق أمانيه فيتمثل في سعيه الدؤوب بحثاً عنها بكل الوسائل، من ذلك قوله [3]:

كأن على الإنسان ضربة لا زب

عبور الطريق الوعر مهما تزودا

يسير على أرض مشى في شعابها

أبوه ويعدو في الطريق الذي عدا

(١) المصدر السابق، ص ٥٤٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٤-٣٦٥ .

يرافـقـه وهم الحـيـاة وزيفـهـا
يؤمل إن أمـسى ويرجـو إذا غـدا
غـريراً تمنيـه الأمـاني فـينتـشي
ويلهـو فـمـا ينفك غـرا مـعـربدا[1]
إذا مـا مـضت من يومـه سـاعـة هفـا
إلى غـيرها مـسـتعـجـلا يطلب الغـدا

ويتمثل صراعه من أجل البقاء في الحاجة إلى العيش، ومن صوره التي تجسد هذا الصراع قوله[2]:

تهـوي به رجـلاه حـيث هوت والـدرب يلفظه ويزدرده
في كل زاوية لـه أمـل يقـتـاده من مـحسن يجـده
ممـدودة يـده متـمـتـمـة شـفـتـاه مـا يوحـيـه مـعـتـقـده

وهذا الصراع قد يلجئ بعض الناس إلى ما يغضب الشاعر، كالنفاق، والرياء، والاهتمام بالمادة ونسيان ما عداها، ومن الصور التي تجسد هذا الصراع المرفوض من قبل الناس قوله [3]:

(١) غريراً : الغر : الشاب الذي لاتجربة له، ولا يفطن للشر ويغفل عنه، ومعربدا : العربدة : سوء الخلق، ورجل معربد : يؤذي نديمه في سكره .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣٧٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٣٨ .

أصـدقـائي أم أصـدقـاء الـوظيـفـه   أنتم يا ذوي النفـوس الضـعـيـفـه
الأولي تهـــزأون بالمثل العلـــ   ـيـا وتلهـون بالمعـاني الشـريفـه
بسـمـات ملونـــات وأخـلا   ق وصـوليـة غـلاظ سـخـيـفـه

وقوله [(١)]:

ولكنني أسـتـهـجن المال إن غـدا   تقـاس به الأقـدار وهو حـقـيـر
عـبـدنا حطام المال حـتى كـأنه   إلـــه على كل الأمـور قـديـر
وسـرنا إليـه خـاضـعين كـأننا   قطيع شـيـاه مـا لهن خـفـيـر [(٢)]

وكثيراً ما يتناول شاعرنا في شعره الإسلامي صراع الإنسان مع أخيه الإنسان، ويتجلى ذلك كثيراً في شعره الذي ندد فيه بالاستعمار والمستعمرين الغربيين. ومن ذلك قوله مصوراً صراع أبناء الجزائر لأعدائهم، حفاظاً على دينهم وأرضهم وأعراضهم [(٣)]:

شبابهم وصباياهم وصبيتهـم   في الريف والسيف والآكام والقمم
يسـتـقـبلون المنايا في مـشابـرة   ذودا عن الدين والأعـراض والحـرم
والثكل واليتم والبـأسـاء قـائمـة   فـي كل بيت على السكان منهـدم
عـارين إلا من الإيمان يشـعلهـم   حـمـيـة فـي صـراع الظلم والظلم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤٣ .

(٢) خفير : الخفير : المجير، ولعل الشاعر أراد به هنا الحامي الذي يحمي الشياه.

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٢٨١ .

ثانياً : الخيال والصورة الشعرية

من المعروف - سلفاً - أن الشعر يخاطب الوجدان الإنساني ويؤثر فيه، وحتى تتحقق له هذه الخاصية فإنه يتوجب على الشاعر التأثر بنفس التجربة التي يود نقلها إلى المتلقي .

وتكتسب الصورة الشعرية - سواء اعتمد فيها الشاعر على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة أو على الحقيقة - الحيوية ، وتكون قادرة على النفاذ إلى أعماق المتلقي إذا كانت صادرة عن تجربة صادقة عاناها الشاعر وتأثر بها ، وإن لم يكن ذلك فإن الصورة تموت قبل أن تصل إلى الآذان أو الأحداق ؛ لهبوطها وبرودها .

والشاعر المتميز في نظري هو الذي يستطيع تجسيد عواطفه وأحاسيسه ويجلوها في صور شعرية ، تعبر عن خلجات حسه ومكنون وجدانه .

وهكذا كان السنوسي في صوره الشعرية التي جسد لنا بواسطتها أبعاد رؤيته الشعرية ، ورسم بها أحاسيسه ومشاعره في حالاتها المختلفة .

والناظر في صور السنوسي - التي اعتمد فيها على الأساليب المجازية أو الحقيقية - يلمس حضور خياله المحلق ، وتدخله في رسم أبعاد الصورة ، وإلباسها الظلال والإيحاء والألوان والحركة .

والخيال كما هو معروف « جوهر الأدب ، وغاية لمعان يمثلها تصور

انطباعات الكون في ذهن الأديب وليس حلية أو وشياً »[1] وهو بالنسبة للشاعر « سمة مميزة لفنه وصياغته، فالخيال عنصر أساسي في التجربة الشعرية يترجم عن مخيلة الشاعر، ويوصل القارئ إلى تجربته، وكثيراً مايقوم النتاج الشعري بمستوى الخيال فيه»[2].

وخيال السنوسي كما تنطق صوره « بعث الحياة في المعاني والمجردات، وحرك الأفكار والجمادات في صور أدبية حية تموج بالحركة والحياة، وتنبض بالحيوية والقوة، وتشع منها الألوان والأضواء والظلال، وترتسم في شكل يتناسب مع طبيعة الغرض ، وحجم يتفق مع المغزى »[3].

ولك أن تتأمل دور خياله في التقاط أجزاء الصورة من الأفق البعيد ، ومن ثم جمعها عن طريق خياله الخلاق، في وصفه لأذان الفجر، وما يصاحبه من تجدد في الحياة والحركة، بعد ذهاب الليل وهدأته وسكونه. حيث يقول[4]:

ارتفاع الأذان فوق المآذن   في انبلاج الصباح والليل ساكن

(١) اتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د. محمد نايل ط الرسالة ، القاهرة سنة ١٩٧٤م، ص ٧٩-٨٠.

(٢) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ص ٢٦١ .

(٣) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، ص ١٣٧ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

دعـــوة تحـــمل الحـــيـــاة إلى الكو ن وســـــكانه قـــرى ومـــدائن
ونداء من الســـمـــاء إلـــى الأر ض إلى ظاهر عليـــهـــا وباطن
ولقـــاء بين الملائـــــك والإيـــ ـــمـــان والمؤمنين من غـــيـــر آذن
وانطلاق إلى الفـــلاح إلـــى الخـــيـــ ـــر إلى الحق والهـــدى والمحـــاسن
كلمـــا ردد المـــــــــؤذن لفظـــا شـــعـــشع النور وانجلى كل غـــاين
نغـــمـــات كـــأنهـــــا نســـمـــات رقـــرقـــتـــهـــا خـــمـــائل وجنائن
تتندى بهـــا النفـــوس وترتـــــا ح ارتيـــاح الربى بقطر الهـــواتن

فالصورة هنا حية متحركة ، تتلاحق فيها الأجزاء مكونة الصورة الكبرى : ارتفاع الأذان ، في انبلاج الصباح ، والليل ساكن ، ولقاء بين الملائك والإيمان والمؤمنين من غير آذن، ودعوة تحمل الحياة إلى الكون كله . هذا التتابع أعطى الصورة قدراً كبيراً من الجمال . ثم إن الخيال ألبس الصورة ثوباً بديعاً، اعتمد فيه الشاعر على الأشياء المحسوسة لتقريب المعنى، فنغمات الأذان كالنسمات العليلة في الخمائل والجنائن، والنفوس ترتاح لتلك النفحات ارتياح الروابي لقطرات المطر الذي يبعث فيها الحياة والإخصاب . وهذا التنظير بين المعنويات والمحسوسات أسهم في إدراك الصورة (١).

---

(١) الإتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمه في موازين النقد، ص ١٨٣ «بتصرف».

وحين يصور الأرواح المؤمنة وفرحتها بليالي وأيام شهر رمضان المبارك - يعتمد على المحسات في تجسيمه للأمور المعنوية في قوله [1]:

طافت بك الأرواح سـا بحة كأسراب الحمام

بيض يجللها التقى نورا ويصقلها الصيام

رفافة كشذى الزهو ر نقية كندى الغمام

فالروح من الأمور المعنوية التي لاتدرك « لكن الشاعر عمد إلى تجسيمها وتقريبها للسامع فشبهها تارة بأسراب الحمام السابحة، وأخرى بشذى الزهور، وثالثة بندى الغمام، وهذا التجسيد المعنوي عن طريق ذكر نظائره من المحسات يقربه للذهن فيدركه بسهولة » [2].

والملاحظ على صور الشاعر التي عمد فيها إلى تجسيم المعنويات، محاولاً تقريبها المتلقي - امتزاجها بحالته النفسية، ومشاعره وأحاسيسه، وهذا الامتزاج من شأنه أن يحمل المتلقى على التفاعل مع تجارب الشاعر، ومن ثم حمله على مشاركته في أحاسيسه ومشاعره.

والصور التي تقدمت معنا لا تخلو من هذا الامتزاج الجميل بين صور الشاعروحالته النفسية، ومما يؤكد هذا الملمح في صور السنوسي تجسيده لأثر الدين في الحياة، ومدى حاجة الإنسان له في كل زمان ومكان

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٢٥ .

(٢) الإتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث، ص ١٨٥ .

في قوله[1]:

أرأيت الـزهور مـن غـيـر مـاء كـيـف تذوي وتنتـهي للفناء ؟

أرأيت الحـياة مـن غير نـور كيف تغدو في ظلمة عـمياء ؟

هكذا الدين إنه شـعلـة القلـب ونبع الظمـاء في الصحـراء

فـاتـخـذه ركـيـزة وعـمـادا وضـمـادا لـكـل جـرح وداء

فالدين وأثره في الحياة ، ومدى حاجة الإنسانية إليه ، أمور معنوية لاتدرك، وحتى يستطيع السنوسي تقريبها من ذهن السامع اعتمد على الأشياء المحسوسة التي تقع عليها عيون الناس في حياتهم اليومية، فجاء بالزهر وهونبت جميل تهش له النفس الإنسانية وتبتهج يحتاج إلى الماء حتى ينمو ويترعرع ويظل مصدراً للجمال، وقادراً على زرع الراحة في نفوس عشاقه. وجاء بالحياة وقد انقطع عنها النور الذي يعد أهم مصادر بهجتها، وعانقها الظلام الدامس.

وقد نجح الشاعر – من خلال تجسيمه – في بيان أثر الدين في الحياة، وفي الحياة الإنسانية بعامة، فالدين بالنسبة للإنسان كالماء للزهور، وكالنور للحياة.

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٢ .

وكما هو ملاحظ على صورة الشاعر السابقة امتزاجها بحالة الشاعر النفسية، وأحاسيسه ومشاعره التواقة إلى خير البشرية جمعاء، وهو إلى جانب ذلك قد وفق في تقديم صورتين مختلفتين للحياة الإنسانية في ظل تغلغل الدين في أعماقها، وفي حالة افتقادها له.

وحينما يتناول الماديات يميل إلى التشخيص، محاولاً بواسطته إبراز معالم الصورة وجوانبها؛ حتى يقترب المعنى الذي جلبت لتأديته ويتضح.

نلمس ذلك في تصويره لتعاطف الطبيعة الصامتة وبعض المظاهر الكونية مع رسول الله - ﷺ - ليلة الهجرة النبوية، حيث يقول[1]:

جثمت حوله تضم جناحيـ ـها حنوا عليه كالورقاء

والسكون العميق يملأ قلب الـ أرض والكون عامر بالرجاء

وعيون السماء من كل نجم رصد للعصابة الرصداء

يطأ الأرض نورها في خفوت ويرى لائذا بكل خباء

كم أنفاسه الدجى واقشعر الـ ـليل رعبا واربد وجه الفضاء

فالليل والنجوم والأرض والكون بما يحتويه أمور مادية لا روح فيها، ولكن خيال الشاعر المحلق بث فيها الحياة، فجعلها تتعاطف مع رسول الله - ﷺ - تتجاذبها مشاعر الخوف والقلق عليه من أعدائه المتربصين به،

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

والشوق والتطلع إلى نجاته وعدم افتضاح أمر هجرته .

نلمس ذلك في الليلة التي استحالت إلى حمامة أسبلت جناحيها ؛ لتواريه عن أعين أعدائه المتربصين به . وفي حركات النجوم الدائبة - ملامسة ثغر الأرض في هدوء ؛ لتضيء للرسول - ﷺ - دربه في الليلة الكثيفة السواد ، وتارة ترصد كفار قريش ، وتكشف مواقعهم ؛ حتى يأخذ رسول الله - ﷺ - حذره منهم - وفي حبس الدجى لأنفاسه ، والفرق الذي عانق جسد الليل ، والفضاء الذي استحال إلى كتلة سوداء ؛ خشية وهلعاً على رسول الله - ﷺ - .

وفي موضع آخر تتخلى (مكة المكرمة) قبلة المسلمين ، ومهوى أفئدتهم عن جمودها ، وتتحول إلى أم رؤوم تحتضن الدنيا بأسرها ، وتلطف بأناملها الرقاق جسد العالم المتوتر ، ثم توجه أبناءها وتحثهم على ضرورة الوحدة :

تتضرع الدنيا لديك ويرتمي ... في لا بتيك جبينها متعفرا
وإليك تتجه القلوب فوجهي ... قلب العروبة نحو توثيق العرى
مدي أناملك الرقاق ولطفي ... بيديك هذا العالم المتوترا[1]

وتتخلى بعض المواقع الإسلامية عن جمودها ، بعد أن خلع عليها

(١) المصدر السابق ، ص ٢١ .

الشاعر ثوب الإنسانية، فإذا بالقدس يستاف النسائم العليلة القادمة من طوى، وإذا بالطور يمد يده ليقتبس شيئا من نور حراء[1]:

القدس يستاف النسائم من طوى   والطـور يقتبس الأشعة من حرا

وهناك صور شعرية عديدة اعتمد فيها الشاعر على عبارات حقيقية الاستعمال، والعبارات الحقيقية الاستعمال كما يرى الدكتور محمد غنيمي هلال: قد تكون «دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب»[2] خاصة إن استطاع الشاعر استثمار طاقات الألفاظ التي تكتنزها في ذاتها سواء من خلال هيئتها وجرسها، أو الظلال والمعاني التي توحي بها.

وصور شاعرنا التي اعتمد فيها على الاستعمالات الحقيقية للألفاظ غنية بإشعاعاتها وطاقاتها الإيحائية، قادرة على تجسيد حالته النفسية.

ومن صوره تلك قوله[3]:

يخز الضمير ويجرح الإحساسا   حـق يهـان فلا يثير الناسا

وعجيبة أن تستمر عصابة   تطأ الهدى وتلوث الأقداسا

رعناء أسكرها الغرور فأمعنت   بطرا وزادت خسة وشراسا

تلهو وتعبث لا تقيم لمنطق   وزنا ولا لمبادئ مقياسا

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٢) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٤٣٢.

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٥٧١ - ٥٧٣.

ومنظمـات الحـق كل جـهـودهـا ... للحق لا تتـجـاوز القـرطاسـا
لا مـجلس الأمن اسـتـعـاد وقـاره ... وأقـام هيبـتـه وثار حـمـاسـا
كـلا ولا جـمـعـيـة الأمـم انتـهت ... يومـا إلى حكم يرد شـمـاسـا[1]
ويقـال إن العـصـر عـصـر مـبادئ ... فـضلى تقـيم الوزن والقـسطاسـا
قـول تخـالفـه الفـعـال وربمـا ... خـدع الدهاة وضلل الأكـيـاسـا
مـاذا يراد بنا فـديتك أمـتـي ... لنقـيم داخل أرضنا حـراسـا ؟
اللص في بيـتي وبين مـحـارمـي ... يؤذي النفـوس ويكتم الأنفـاسـا
ويقـال لي لا تسـتـثـيـر شـعـوره ... أبـدا ولا تبـخل لـه إيناسـا
سخف وسفسطة وأيـة منطـق ... هذا لقد خسيء العدو وخاسا[2]

فالأبيات التي أمامنا تكاد تخلو من العبارات المجازية التي يستعين بها الشعراء عادة لتجسيد حالاتهم النفسية المختلفة، وقد اتكأ الشاعر هنا على التصوير عن طريق استعماله للعبارات الحقيقة -باستثناء ثلاث عبارات مجازية: أولها: (تطأ الهدى)، ثانيتها: (أسكرها الغرور)، ثالثتها: (تجرح الإحساسا) - مستنكراً بواسطتها موقف هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن من العدو الإسرائيلي والقضية الفلسطينية، ومبديا حزنه العميق

---

(١) شماسا: الشماس: المعاداة والمعاندة.

(٢) خاسا: أي ذل.

وأسفه على تخاذلهما في تطبيق العقوبات على ذلك العدو، وتخليهما عن المبادئ والقيم التي أوجدا لتحقيقها في هذا العالم المترامي الأطراف، ويأتي في مقدمتها إحلال السلام.

ومما زاد من أثر تلك الصور في النفوس استخدامه للأفعال (يخز، يجرح، يهان، يثير، تلهو، تعبث، يؤذي، يكتم، تلوث) والأسماء (الضمير، الإحساس، الحق، عصابة، الهدى، الغرور، البطر، الخسة، الشراسة، القسطاسا).

وذلك لتظاهر تلك الأسماء والأفعال - لما بينهما من علاقة حميمة - في اطلاعنا على عالم الشاعر الوجداني، وجلاء موقفه مما يحدث في بعض أراضي المسلمين.

أضف إلى ذلك أن الأسماء المشار إليها مشحونة بظلال من المعاني، اكتسبتها من استعمالها على مدى تاريخنا الأدبي والديني، وقدرة الأفعال (يثير، تلهو، تعبث، يؤذي، يكتم، تلوث) على بث الحيوية والحركة في أوصال الصورة التي رسمها لنا الشاعر، وذلك من خلال عنصر الحركة الموجد فيها.

ويعمد السنوسي في تصويره عن طريق العبارات الحقيقية الاستعمال-أحياناً- على بعض الألفاظ القادرة على رسم المعنى المراد من خلال جرسها، أو ظلها.

ومن ذلك استخدامه للفظة (ضعضعوا) في الدلالة على قوة الجيوش الإسلامية التي خاضت المعارك الضروس ضد كل من الفرس والرومان، وقد ساعد على ذلك صوتا (الضاد) و(العين) المتكررين في قوله[1]:

فلقد ضعضعوا قوى كل دهقا ن وعلج وانقذوا كل عاني

وقوله مصوراً قوة وفضاعة أصوات المجرمين الذين اقتحموا المسجد الحرام[2]. :

لعلعت فجأة تشق طمأنيـ

ـنة الأرواح أصوات مجرمين وقاح

فالجرس الناتج من تكرار حرفي (اللام) و (العين) ساعد على إدراك فضاعة ذلك الصوت وقوته.

ومن الألفاظ القادرة على رسم المعنى عن طريق ظلها لفظتا (يخر، تهاوى) في قوله مصوراً أثر وقع اكتشاف الحقيقة - التي كان ينكرها الفيلسوف - على نفسه[3]:

فإذا الفيلسوف من حكمة اللـ ـه ومن لطفه يخر وجوما

فتهاوى خزيا وآمن باللـ ـه تعالى وجل ربا رحيما

---

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٦٨ .

(٢) جريدة الندوة، العدد (٦٤٨) في ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٦٣١ .

فهاتان اللفظتان تجسدان فجيعة ذلك الفيلسوف ببطلان عقيدته التي اعتقدها، ودأب على تأكيدها.

والذي لا شك فيه أن عمق ثقافة الشاعر وسعتها يمنحان خياله قيمة الشمول والعمق، وأكثر ما تتمثل تلك القيمة في مقدرة الشاعر على توليد عدد من الصور الذهنية التي قد تكون أغلبها بعيداً عن الحس ومعطياته، ولا أحد يجزم بالكيفية التي تصبح بها تلك الصور - نتيجة المعاناة أو التجربة الشعرية - رموزاً وتشكيلات حيوية لها القدرة على بلورة الرؤية التي يسعى الشاعر إلى تحديدها. ولما كان التراث جزءاً أساسيا من ثقافة العصر فإن أي شاعر طموح - من قبيل السنوسي - يسعى إلى توظيف ذلك التراث مدخلاً فيه التاريخ والشخصيات التي أدى أصحابها أدواراً حاسمة في تطور الإنسان(١).

والناظر في شعر شاعرنا الإسلامي يقف على استدعائه لعدد من الشخصيات التراثية الدينية، واستخدام الشخصية التراثية كما يرى الدكتور علي عشري زايد، في الشعر العربي المعاصر «يعني توظيفها تعبيرياً لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية، أحمد عبدالله صالح المحسن، ص ٢٩٦ «بتصرف».

الشاعر يعبر من خلالها أو بها عن رؤياه المعاصرة»[1] وبذلك تتجاوز المفردة اسم صاحبها، لتصبح رمزاً لغوياً يحمل ذكريات شعورية لكل الأفعال والأعمال التي اقترنت بتلك الشخصية التراثية [2].

وهذا الأمر يتحقق إن أحسن الشاعر في استخدامه لتلك الشخصية الغنية بمواقفها، في موقف يستدعي حضورها، ولا يتنافر معها بحيث تستطيع تلك الشخصية تجسيد مايرمي إليه الشاعر فعلاً [3].

وقد وفق شاعرنا في استخدامه لشخصياته التي استدعاها في بعض تجاربه، وفي توظيفها توظيفاً يشي بغاياته، وليس أدل على ذلك من توظيفه لقصة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع النمرود في قصيدته (فتح) حيث يقول [4]:

سر في طريقك مستقيما حتى ولو كانت جحيما

(١) استخدام الشخصية التراثية، د. علي عشري زايد، رسالة دكتوراة، ١٩٧٤م، دار العلوم، ص٨.

(٢) لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسي، ط(١) ١٩٨٢م، ص٤١ «بتصرف».

(٣) هناك عدد كبير من شعراء العرب المحدثين استخدموا عدداً من الرموز التراثية في معان لاتتفق مع واقعها الذي نعرفه عنها في ثقافتنا الإسلامية. فالحلاج - مثلاً - استخدم عند كثير منهم كرمز للاستقامة والصبر على الحق، وهو في الحقيقة صوفي مغال، قتله أجدادنا لأنه كان منحرفاً.

(٤) الأعمال الكاملة، ص٤٩٨ - ٤٩٩.

واملأ فؤادك بالهدى والحق إيمانا قويما
فالنار إبراهيم لم يعبأ بها ونجا سليما
خاض اللظى لم يرتعد فرقا ولم يرهب خصوما
كانت على إيمانه بردا وكان بها كريما

فالشاعر في هذه الأبيات يستدعي شخصية إبراهيم - عليه السلام - وأحداث قصته مع الطاغية نمرود ، محاولاً بواسطتها دفع همم أبناء فلسطين ، إلى المضي قدماً في طريق الجهاد الذي بدءوه ضد أعدائهم من اليهود، مرغباً إياهم في تحمل المشاق والصعاب التي ستواجههم في دربهم الطويل ؛ إن أرادوا لحركاتهم الجهادية النجاح، متخذين القدوة من رسول الله - ﷺ - ونبيه إبراهيم - عليه السلام- الذي لم يتنازل عن دعوته التي كلف بتبليغها رغم إلقائه في النار من قبل أعدائه .

ويستدعي شخصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في قصيدته (ياثاني اثنين) وغايةشاعرنا من استدعائه لتلك الشخصية - بالإضافة إلى الإشادة بمواقفه الشجاعة - محاولة الربط بين حركة الردة التي شهدها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول - ﷺ - من بعض القبائل العربية ، وتصدي الصديق لها، والردة التي يعيشها المسلمون في العصر الحديث ، والتي تتمثل في تقليدهم للغرب في إلحادهم وزندقتهم، ووقوفهم عاجزين عن التصدي لها .

يقول السنوسي واصفاً الردة الحديثة بعد أن عرض لموقف الصديق من المرتدين عن الإسلام في فترة ولايته أمر المسلمين [1]:

يا ثاني اثنين لو أبصرت حاضرنا
والمسلمون حيارى أينما داروا
في ردة لا أبا بكر يصاولها
ولا يقاومها عمرو وعمار
في ردة من ثياب العصر لابسة
تحرر قيل عنها وهي آصار [2]
تفرق الجمع وانحلت شكيمتهم
وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلد الغرب إلحادا وزندقة
ومن تحلله نجني ونشتار
ولا نقلده علما وتقنية
ولا انطلاقا له نفع وأثمار
يا ثاني اثنين في ذكراك موعظة
وفي جهادك للسارين أنوار

ومن الشخصيات التي استدعاها ووفق في استخدامها من خلال

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .
(٢) آصار : آثام .

إثارة ذكرياتها الشعورية في وجدان أبناء الأمة الإسلامية شخصيتا : (جنكيزخان) و(هولاكو) كرمزين للدمار والتخريب، رابطاً بين الماضي وغصصه التي تجرعتها أمتنا الإسلامية على يد كل منهما، وحاضرها المنتظر على يد الجنرال الفرنسي (ديجول)، محاولاً استرجاع تلك الذكريات الدامية التي فيها تنبيه للمسلمين وتبصير بالخطر المحدق بهم، حاثاً إياهم على التصدي له ، وفي ذلك يقول [(١)] :

تكاد تستعر النيران ملء دمي

ويصرخ القلب ملسوعا من الألم

إذا أصخت إلى المذياع وانطلقت

أمواجه تلفظ الأنباء كالحمم

(جنكيزخان) و (هولاكو) ولفهما

وكل ما سجل التاريخ من نقم

عادوا وعادت مخازيهم يمثلها

(ديجول) في قحة نكرا وفي نهم[(٢)]

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٧٩ .

(٢) قحة : القُحُّ : الخالص من اللؤم والكرم ومن كل شيء ؛ يقال : لئيم قح إذا كان معرقاً في اللؤم. نهم: النهمة بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

ثالثاً : المفارقة التصويرية

المفارقة التصويرية من الوسائل التي استخدمها الشاعر في التعبير عن بعض تجاربه الشعرية . وهي « عبارة عن إبراز التناقض بين طرفين أووضعين كان من المفروض ألا يختلفا أوأن يقع بينهما التناقض ، والغاية من ذلك هي استنكار هذا التناقض أو التعجب منه ، أو تعميق الإحساس به»[(١)] .

وقد تعددت أنماط هذه الوسيلة في تجارب شاعرنا ، فتارة يشعل روح المفارقة التصويرية بين طرفين مستمدين من عصره وواقعه الذي يعيشه . وخير مثال لذلك ماجاء في قصيدته (القلب الكبير) ومنها قوله [(٢)] :

يرفض القلب إذا كان كبيرا عقد النقص سلوكا وشعورا

ويراها دنسا مستقذرا تألف القزم وتستهوي الصغيرا

يحجب الناقص سفلى نفسه بتعاليه على الناس غرورا

ورم الأنف دليل واضح أن في النفس جروحا وبثورا

وكبير القلب تلقاه على كل حاليه عظيما وخطيرا

---

(١) سيد قطب حياته وأدبه ، عبدالباقي محمد حسين ، ط(١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٢٤١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧١٥ - ٧١٦ .

هـو كالبحر جلالا رائعا وهو كالروض زهورا وعبيرا

وضياء البشر في غرته خلقا سمحا وإيمانا غزيرا

يرفض العجب وإن هش له مبسم الدهر نعيما وسرورا

فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم لنا صورتين مختلفين من واقعه وعصره الذي يعيشه ، وطرفاها شخصان ، أحدهما : قد ابتلى بداء الغرور ، فتعالى على من حوله وتكبر ، وثانيهما : إنسان طيب القلب يحب الخير لجميع الناس ، ويتعامل معهم كإخوان جمعتهم الأقدار على سطح هذه الأرض .

وغاية السنوسي من مفارقته تلك التنفير من الكبر والغرور والتعالي على الناس، وترغيبهم في التواضع والاتصاف بالأخلاق الحميدة .

وهي إلى جانب ذلك تفصح عن عشقه للخير والجمال في كل شيء ، ولعل احتفاله واهتمامه بإبراز معالم صورة الإنسان الطيب القلب ، يؤكد ذلك الحب والعشق الذي يحمله لكل ما هو جميل في الحياة .

ولا يخفى على المتلقي تأثر السنوسي في مفارقته تلك بجانب من التصوير الفني في القرآن الكريم، فكثيراً مانجد فيه صورة الجنة تقابل صورة النار، وصورة الكفار والمنافقين تقابلها صورة المؤمنين ، وهذه الطريقة في الأداء لها أثرها العميق في نفس المتلقي ، لأنها تقوم على الجمع بين مشهدين مع إبراز ما فيهما من تناقض، فيسهل بذلك على الإنسان اختيار الأصلح

والأجمل، والضد - كما قيل - يظهر حسنه الضد .

وفي قصيدته (أم القرى) يشعل المفارقة التصويرية بين فترتين تاريخيتين تراثيتين : تصور الأولى الوضع الذي كان عليه الناس قبل نزول خاتمة الرسالات السماوية، وتصور الثانية وضعهم بعد نزولها وانبثاق أنوارها في آفاق المعمورة . ويتضح ذلك في قوله [1] :

طلعت على التأريخ وهو سخافة … كبرى تخط به الخرافة أسطرا

العنصرية تستبيح كيانه … وشوائب التمييز تخزمه برى

وشريعة الغابات تنتظم الدنا … والحق مطلول الدماء مهدرا

فإذا ابن عبد الله يرفع صوته … ويدك ما شاد الضلال وسورا

في دعوة كالشمس ساطعة السنا … تهدي الضليل وترشد المتحيرا

الفضل للأعمال في دستورها … لا للمناصب والمناسب والثرا

وإذا البرية تحت ظل لوائها … إسلامها القربى وتقواها العرى

فالفترة التي سبقت نزول الرسالة الإسلامية كانت - كما في تصوير شاعرنا لها - مسرحاً لألوان من المعتقدات والخرافات ، ولألوان عدة من الظلم الاجتماعي المتمثل في : اختفاء العدل من على الأرض ، وانتشار التفرقة العنصرية بين الأجناس البشرية التي كانت تعيش في تلك الفترة المظلمة .

(١) الأعمال الكاملة ص : ١٦ - ١٧ .

في حين انتشر العدل، وعمت المساواة ، في ظل الرسالة الإسلامية التي تتم المفاضلة فيها عن طريق الأعمال الصالحة، لا عن طريق المناصب ، والثراء ، والنسب .

والسنوسي - من خلال إشعاله لروح المفارقة بين تلك الفترتين - يسعى إلى تعميق أثر الرسالة الإسلامية في الحياة والأحياء .

وفي قصيدته (الليل والشاعر) يشعل روح المفارقة بين طرفين اثنين :

أحدهما : تراثي ، والآخر : معاصر .

يقول السنوسي مستحضراً الطرف الأول في مفارقته (١) :

أنا من أمة رعى اللـه ماضيـ	**ـها لقد كان جوهرا من جواهر**
كان منها الهادي إلى الحق والحا	**مي حماه من كل طاغ وفاجر**
كان منها (محمد) وأبوبكـ	**ـر وعثمان والزبير وعامر**
وعلـي وطلحة والمثنـى	**وأبو حفص والشهيد ابن ياسر**
نفر كالنجوم إن أظلم الليـ	**ـل أضاءت بهم سماء المفاخر**
ليس منهم إلا جـواد وإلا	**فارس للفوارس الصيد قاهر**

ففي هذا الطرف يبرز الشاعر العزة والسيادة التي كانت تتمتع بها أمته في سابق عهدها .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

أما الطرف الثاني ، فيتمثل في حاضر أمته الأليم ، بعد أن فتتتها الفرقة ، واستشرى في جسدها الوهن والضعف ، وفي ذلك يقول [1] :

كيف أضحى أحفادهم يا فلسطيـــ ـــن صغاراً لا يأنفون الصغائر ؟

بردت في دمائهم نخوة العـــز ومـاتت تلك السجايا الحرائر

فهم القوم عدة وعديدا لو تصافت قلوبهم والسرائر

والسنوسي - كما يبدو في هذه القصيدة التي عمد فيها إلى إشعال روح المفارقة التصويرية بين فترتين تاريخيتين مرت بهما أمتنا الإسلامية - تواق إلى عودة أمته إلي مكانتها الأولى التي تخلت عنها مرغمة .

وقد سعى بواسطتها إلى إثارة ما خبا في نفوس ابناء أمته من تطلع إلى المجد والسيادة ، ليسهموا في عودة أمتهم إلى سابق عهدها .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

الخاتمة

حاولت في هذا البحث أن أبرز الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، ومن ثم دراسته دراسة تحليلية فنية .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة .

عرضت في التمهيد لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في دراستي، ثم قدمت نبذة مختصرة عن الشاعر الذي دارت حول شعره دراستنا .

الفصل الأول : « النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية » :

تناولت فيه بالدراسة الأغراض الشعرية التي تحتوي أغلب شعر السنوسي، قديمها وحديثها ، وقد شملت دراستي فيه الأغراض التالية : المدح ، والرثاء ، والغزل، والوصف ، والشعر الاجتماعي ، والشعر الوطني .

وقد وقفنا في دراستنا لتلك الأغراض على جملة من المعاني الإسلامية ، كما وقفنا على الأثر الإسلامي فيها .

ففي المدح ، وجدنا شاعرنا يشيد بحرص حكام بلاده على نشر الرسالة الإسلامية، واستمداد أحكامهم منها ، ومناصرتهم للدين، وإقامة

العدل، ونشر الأمن وبسط ظلاله على كل أرجاء مملكتهم، والأخذ بأيدي الأيتام، ومساعدة الطاعنين في السن، والصدق في القول ، والوفاء بالعهود ، وصون الأعراض والحرمات، والحلم ، والعفو عند المقدرة، والدعوة إلى وحدة المسلمين، والوقوف إلى جانبهم في محنهم ومآسيهم.

وفي الرثاء ، وقفنا على إيمان شاعرنا بقضاء الله وقدره، وتسليمه به ورضاه التام عنه، كما وقفنا عند نظرته إلي الموت كحقيقة حتمية تنتظر كل حي في هذا الكون عدا الله - سبحانه وتعالى - وحثه على الأعمال الصالحة والإكثار منها؛ استعداداً للقاء الله عز وجل .

كما بدت النزعة الإسلامية والأثر الإسلامي في ذكره لمحامد ومناقب الذين رثاهم والتي كانت من خصالهم التي عرفت عنهم وهم أحياء .

وفي الغزل ، وقفنا على اصطباغ قصائده فيه بالعفة التي كانت ثمرة من ثمار العقيدة الإسلامية ، وقد برزت آثار العقيدة ، واتضحت معالمها في حفاظه على الحرمات ، وعدم التبذل في معانيه، والبعد عن التحلل والميوعه، والالتزام بالأخلاق الإسلامية التي تأبى عليه الوقوع في ما حرم الله ، وأكثر مايتجلى لنا ذلك الأثر في ربطه لجمال فاتنته بالله - سبحانه وتعالى - فهو الذي منحها إياه.

وفي وصفه للطبيعة بنوعيها، بدا المضمون والأثر الإسلامي في ربطه

للمشاهد التي استوقفته بالله - سبحانه وتعالى - فهو خالقها وصانعها.

كما بدا ذلك الأثر في تعاطفه معها وإحساسه بها، وفي رؤيته لها، فهي في شعره الذي عرضنا له بالدراسة خليقة حية متعاطفة .

وفي شعره الاجتماعي ، بدا المضمون والأثر الإسلامي واضحاً وقوياً، سواء في انتقاده ومحاربته لبعض الأدواء التي تفشت في مجتمعه الإسلامي، لضعف الوازع الديني، والانبهار بالحضارة الغربية الحديثة ، أو في حثه علي الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة .

وغاية السنوسي - كما سبق أن بينا - إيجاد مجتمع مثالي ، يستمد مثاليته من مثالية رسالته التي شرف بحملها.

وفي شعره الوطني ، بدا المضمون الإسلامي في ربطه لحاضر وطنه بماضيه، وإبرازه لدوره في نشر تعاليم الرسالة الإسلامية، ودفاعه عن المقدسات التي تحتويها أراضيه. كما بدا في ربطه لمظاهر الجمال ومصادر الرزق فيه بالله -سبحانه وتعالى - فهو الذي حباه ذلك الجمال ، وأمده بمصادر ذلك الرزق .

كما بدا المضمون الإسلامي في دفاعه عن أراضي المسلمين في كل مكان، ومشاركته لإخوانه المسلمين في أفراحهم وأتراحهم.

وقد أكدنا خلو شعر السنوسي الوطني من النزعة العصبية لوطنه ، ووضحنا ذلك من خلال شعره ، وعمقنا ربطه فيه بين الدين والوطن، من

خلال الشواهد الشعرية التي سقناها وعرضنا لها .

الفصل الثاني : « موضوعات الشعر الإسلامي » .

تناولت فيه بالدراسة أهم الموضوعات الإسلامية ي شعره . وقد شملت دراستي فيه شعره المتصل بالعقيدة الإسلامية ، واتضح لنا من خلاله مدى عمق وصفاء العقيدة الإسلامية في وجدانه، ومدى اعتزازه بها، من خلال دفاعه عنها أمام كل من حاول النيل منها، بواسطة إثارة الشكوك حولها، ودعوته الصادقة إلى اعتناقها عن وعي وإدراك؛ لما فيها من خير للبشرية جمعاء، فهي وحدها المنقذ لها من الضياع الذي تعيشه .

وفي شعره المتصل بالإسلام ورسالته ، وقفنا على مدى اعتزازه بالرسالة الإسلامية، وبالمثل والقيم التي أرست دعائمها في الأرض، ونشرتها بين الناس -جميعاً- دون التفاوت إلى لون ، أو جنس، أو لغة. كما وقفنا على دفاعه عن الإسلام ورسالته، وتعريضه بالمروجين للمذاهب والفلسفات الغربية الهدامة ، وتتفيهه لمزاعمهم. كما وقفنا على دعوته الجادة إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف، والامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه؛ وذلك لأنه النظام الشامل والصالح للحياة والأحياء في كل زمان ومكان.

كما وقفنا عند بعض الآفاق العبادية في شعره، كالصلاة ، والصيام ،

والحج .

وقد أفصحت قصائده التي حلق فيها مع تلك الشعائر والأركان الإسلامية عن مدى تعلق الشاعربها، حيث جلى خصائصها وآفاقها، ولم يتوقف فيها عند ذلك الحد، بل رأيناه يتخذها ميداناً لإراقة آلامه ، وبث أحلامه، ومناخاً ملائماً لمعالجة بعض أدواء المسلمين .

وفي شعره الذي استلهم فيه تاريخنا الإسلامي الخالد، وقفنا على عشقه لذلك التاريخ ، واعتزازه به، سواء في استدعائه لبعض الشخصيات الفاعلة فيه، أو في استعراضه لأمجاد أمته الإسلامية فيه .

وقد وضحنا غاية السنوسي من ذلك التجوال في صفحات تاريخنا الإسلامي المشرقة، حيث قلنا : بأنه كان يسعى - من خلال عرضه لتلك الصفحات - إلى بعث الروح في أمته ، وتخليصها من رقدتها، ودفع شعورها بالذل والانكسار والهزيمة .

ففي جميع وقفاته - تلك - زاد معنوي وشعوري ، من شأنه أن يحفز أبناء الأمة الإسلامية على ضرورة العمل الجاد ، واستشعار القوة في مواجهة الطغيان، والصبر على المكاره في سبيل الوصول إلى غاياتهم التي يسعون إليها .

وفي شعره المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين ، تأكد لنا اعتزاز

السنوسي بحضارة أمته الإسلامية وتراثـها العريـق، وإخلاصه لهما.

وقد ظهر ذلك الاعتزاز في استلهـامه للمبادئ والقيم التي قامت عليها تلك الحضارة، كما ظهر إخلاصه في حثه لأبناء أمته على الانكباب على تراث أمته الضخم، وبعثه من جديد، والاستفادة منه في نهضتهم الحضارية المعاصرة. كما ظهر اعتزازه بحضارة أمته وإخلاصه لها في دفاعه عن اللغة العربية، مستحضراً الأدلة التي تؤكد عمقها، وسعتها، وقدرتها على احتواء كل المعارف الإنسانية الطريف منها والتليد.

ودفاع السنوسي عن اللغة العربية، وإشادته بحضارة أمته الإسلامية- همـا في واقع الأمر دفـاع عن الإسـلام ممثلاً في دستوره الذي تنزل بتلك اللغة، وحضارته التي استمدت حضورها وسموقها من تعاليمه.

وفي دعوته إلى الجهاد، وقفنا على نماذج عدة تعكس لنا مدى حنقه على المستعمر الغادر، وصدق رغبته في إحياء هذا الواجب الإسلامي من قبل أبناء أمته، كما وقفنا على دوافع دعوته إلى الجهاد، ومع احتفاله بالانتصارات التي تحققت على أيدي بعض أبناء أمته الإسلامية.

وفي دعوته إلى وحدة أمته العربية والإسلامية، وقفنا على مدى اهتمامه بتحقيق تلك الوحدة، وأكدنا تلازم الوحدة العربية والإسلامية فيه، ووضحنا الأسباب التي دفعته إلى الإلحاح على الوحدة العربية، ونفينا عن دعوته تلك صفة القومية التي وقع في براثنها عدد غير قليل من أدباء

ومفكري الأمة العربية، وأرجعنا ذلك إلى انتمائه إلى وطن وحكومة ترفض الدعوة إلى الوحدة العربية على أساس اللغة دون اعتبار للدين، وإلى تلازم الدين واللغة في دعوته إليها.

وقد أشرنا إلى أن حرص السنوسي على عودة أمته الإسلامية إلى سابق عهدها، إضافة إلى خشيته من ضياع كل أراضيها في ظل الفرقة التي يعيشها أبناؤها - كانا وراء ذلك الإلحاح على وحدة العرب والمسلمين .

الفصل الثالث: « معاني الشعر الإسلامي ».وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: ألمحت فيه إلي أهم الأفكار والمعاني التي دار حولها أغلب شعر السنوسي الإسلامي، ثم أشرت إلى بعض المعاني التي استوحاها من معاني القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتضمينه لبعض أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني: تناولت فيه بالدراسة التجربة الشعرية لدى شاعرنا ومظاهر صدقه الفني فيها .

المبحث الثالث: تناولت فيها بالدراسة الوحدة العضوية في شعر شاعرنا الإسلامي وأبرز مظاهرها فيه .

الفصل الرابع: « الشكل والصورة في الشعر الإسلامي » .

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تناولت فيه بالدراسة معجم شاعرنا الإسلامي ، حيث أشرت إلى تأثره فيه بقراءاته المختلفة ، وبواقعه وعصره، وعنيت بإبراز أثر ثقافته الإسلامية فيه، كتأثره فيه بألفاظ القرآن الكريم، وبعض ألفاظ الحديث النبوي الشريف، والتاريخ الإسلامي.

المبحث الثاني: تناولت فيه بالدراسة أسلوب الشاعر في شعره الإسلامي، وقد لمست في دراستي له تعدد أساليبه فيه، وقد أرجعت ذلك لسعة ثقافته وشمولها. وتناولت بالدراسة الظواهر البارزة فيه، كاقتباسه من الأسلوب القرآني ، والتكرار، والحوار، والأسلوب القصصي.

المبحث الثالث: تناولت فيه بالدراسة الصورة الفنية في شعر شاعرنا الإسلامي، فوقفت عند المصادر التي استقى منها صوره، ثم عرضت للخيال وحضوره في صور السنوسي الشعرية : المجازية والحقيقية، ثم أشرت إلى دوره في توليد بعض الصور الذهنية من تراث أمته الإسلامية ، وقد اقتصرت في إيضاح ذلك على استخدامه لبعض الشخصيات التراثية في بعض تجاربه الشعرية.

ثم تناولت بالدراسة المفارقة التصويرية باعتبارها وسيلة من الوسائل التصويرية التي اتكأ عليها الشاعر في بعض تجاربه الشعرية .

وبعد هذه الخلاصة أستطيع أن أجمل أهم النتائج التي تمخضت عنها

هذه الدراسة فيما يلي :

أولاً : أن الدراسة قد جلت وأوضحت غناء الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي، وتعدد مجالاته وموضوعاته .

ثانياً : جودة شعر السنوسي الإسلامي وتفوقه فنياً في أسلوبه وصوره .

ثالثاً : توافر التجربة الشعرية الصادقة والوحدة العضوية لشعر السنوسي الإسلامي في أكثر معانيه .

رابعاً : أن الرسالة – وإن كانت منصبة على دراسة الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي – استطاعت أن تضيف إلى الدراسات التي دارت حول شعر السنوسي ، فقد فصلت هذه الدراسة بعض ماأجمل في تلك الدراسات ، وقدمت في طياتها قدراً كبيراً من الجديد ، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية :

أ – التعمق في دراسة الروافد التي أثرت في شعر شاعرنا ، سواء في معانيه، أو في شكله وصورته .

ب – إبراز بعض الظواهر الأسلوبيه ، ودراستها ، كاقتباسه من الأسلوب القرآني ، والحوار ، والأسلوب القصصي .

جـ – استخدامه للرمز التاريخي في كثير من تجاربه الشعرية، واتكاؤه

على المفارقة التصويرية في بعض تجاربه الشعرية .

وختاماً : فقد بذلت جهدي وطاقتي في هذا البحث المتواضع ، فإن وفقت لما هدفت إليه فبفضل الله تعالى عليَّ وحسن توفيقه ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت جهدي وطاقتي ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الاتجـاه الإسـلامي في الشعـر السعودي الحـديث ، قيمه في موازين النقد ، محمد عبده الشبيلي ، الرياض ، الحرس الوطني ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣ - الاتجاه الوجـداني في الشعـر العربي المعـاصر ، د. عبدالقـادر القط ، ط(٢)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر

٤ - إتجـاهات وآراء في النقـد الحـديث ، د. محـمـد نايل ، ط الرسـالة ، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

٥ - أثر الإسلام في الشعـر الحديث في سورية ، محمد عـادل الهاشمي ، ط(١) ، ١٤١٦هـ - ١٩٨٦م، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء

٦ - أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ط(١) ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار المعرفة .

٧ - الأب الإسلامي ، إنسانيته وعالميته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، ط(١) ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار النحوي للنشر والتوزيع .

٨ - استخدام الشخصية التراثية ، د. علي عشري زايد ، رسالة دكتوراة ، ١٩٧٤م، دار العلوم .

٩ - الإسلام في شعر حمام، د. طاهر عبداللطيف عوض ، ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

١٠ - الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر، د. محمد علي أبوريان، الإسكندرية ١٩٨٥م، دار المعرفة الجامعية .

١١ - الإسلام ومبادئ نظم الحكم في الماركسية والديمقراطية الغربية، د. عبدالحميد متولي، الإسكندرية ١٩٧٦م، منشأة المعارف .

١٢ - الإسلامية والمذاهب الأدبية، د. نحيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٩م.

١٣ - الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، مطابع الروضة، جدة، ط(١) ١٤٠٣هـ ، منشورات نادي جازان الأدبي

١٤ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط(٣) ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٥ - انطونيو وكليوباترا ، دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي، د. عبدالحكيم حسان، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط(٢)، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٦ - بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، د. محمد نبيد حجاب ، ط (٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة .

١٧ - تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٦٣م.

١٨ - تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٣م، القاهرة .

١٩ - التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ط(٨) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الشروق.

٢٠ - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل، ط(٦)، آذار (مارس) ١٩٨٢م، دار العلم للملايين .

٢١ - التعبير الفني في القرآن ، د. بكري شيخ أمين، ط(٣) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الشروق .

٢٢ - التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، العراق- بغداد - ط(١)، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٣ - ثورة الجزائر ، تأليف جوان جليبي ، ترجمة : عبدالرحمن صدقي أبوطالب، مراجعة: د. راشد البرواي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.

٢٤ - حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، تأليف رابح لطفي جمعه، مطبوعات دارة لملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٥ - حسن كامل الصيرفي وتيارات التجديد في شعره، د. محمد سعد فشوان، ط(١)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، ميدان الأزهر .

٢٦ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين، ط(٥) ، شباط (فبراير) ١٩٨٦م، دار العلم للملايين .

٢٧ - الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، عبدالله محمد حسين أبوداهش، ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض .

٢٨ - الحياة والموت في الشعر الأموي ، د. محمد بن حسن الزير، ط(١)، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، دارمية للنشر والتوزيع .

٢٩ - الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله - ﷺ - ، أنيس منصور، ط(٧)، ١٩٨٦م، الزهراء للإعلام العربي .

٣٠ - خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الشروق ، بيروت، يناير ١٩٧١م.

٣١ - دراسات أدبية ، د. عمر الدسوقي، جـ(١)، مكتبة الأنجلو نهضة مصر، بالفجالة.

٣٢ - دراسات في الأدب الإسلامي ، سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٣٣ - دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لربيع محمد عبدالعزيز وآخرين ، ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٣٤ - الدين ، محمد عبدالله دراز ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

٣٥ - ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، بدون تاريخ .

٣٦ - الديوان ، عباس محمود العقاد ، إبراهيم المازني ، ج(٢) ط(٣) .

٣٧ - رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح ، د . عبدالرحيم محمود زلط ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣م .

٣٨ - سيد قطب ، حياته الأدبية ، عبدالباقي محمد حسين ، ط(١) ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٩ - السيرة النبوية ، لابن هشام/ حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ .

٤٠ - الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، د . عبدالله الحامد ، ط(١) ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٤١ - شعراء الجنوب ، تأليف محمد بن علي السنوسي ، محمد بن أحمد عيسى ، مطبعة الكمال، عدن ، بدون تاريخ.

٤٢ - شعر حسين سرحان دراسة نقدية، أحمد عبدالله صالح المحسن، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١/ ٧/ ١٤١١هـ - ١٦/ ١/ ١٩٩١م.

٤٣ - الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهر ه الفنية والمعنوية، د. عزالدين إسماعيل، ط(٣) ١٩٨١م، دار العودةودار الثقافة، بيروت.

٤٤ - شعر الغزل في المملكة العربية السعودية ، علي المصري، ط(١)، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٥ - الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبداللطيف السحرتي ، ط(٢) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، جدة - المملكة العربية السعودية .

٤٦ - شعراء من أرض عبقر، محمد العيد الخطراوي، ج(٢)، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .

٤٧ - الشوقيات ، أحمد شوقي، ج(١) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٨ - الطبيعة في الشعر الأندلسي، د. جودة الركابي، ط(٢) دمشق، مكتبة أطلس، ١٣٩٠هـ.

٤٩ - العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف، ط(٧) ، دار المعارف بمصر .
٥٠ - عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد، ط(٢) ١٩٧٩م.
٥١ - عنصر الصدق في الأدب، د. محمد النويهي، ط القاهرة ١٩٥٨م.
٥٢ - الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان، ط(١) رمضان ١٤١٠هـ - إبريل ١٩٩٠م.
٥٣ - فتح الباري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتباتها .
٥٤ - الفردوس في مأثور الخطاب ، تأليف أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٥٥ - في الأدب الإسلامي، د. محمود شاكر سعيد، ط(١) ١٤١٣هـ، دار المعارج الدولية للنشر .
٥٦ - في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ط(٨) ١٩٧٣م، دار الفكر.
٥٧ - في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبدالله الحامد، ط(١)، ١٤٠٢هـ، مطابع حنيفة للأوفست بالرياض .

٥٨ - في ظلال القرآن ، سيد قطب، ط(١٥) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الشروق.
٥٩ - في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل، ط(٣)، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٦٠ - في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، ط(٥) ، دار المعارف .
٦١ - قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، ط(٧) ، نيسان (إبريل) ١٩٨٣م، دار العلم للملايين - بيروت .
٦٢ - قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة، المطبعة الفنية الحديثة، بدون تاريخ.
٦٣ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشرودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٦٤ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش ، ط(٣)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦٥ - لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، ط ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٦٦ - لغة الشعر العراقي ، عمران خضير الكبيسي، ط(١) ١٩٨٢م، وكالة المطبوعات الكويت .

٦٧ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبوالحسن الندوي ، ط(٩) ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دار القلم .

٦٨ - المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د. محمد بدوي عبدالجليل ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ط(١) ١٩٧٥م .

٦٩ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ج(١) ، ط(٢) ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ، مطبعة السعادة بمصر .

٧٠ - محمد ﷺ في الشعر الحديث ، د. حلمي القاعود ، ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .

٧١ - محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، محمد بن سليمان القسومي ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية في الرياض ، العام الجامعي ١٤١٣هـ-١٤١٤هـ .

٧٢ - محمد بن علي السنوسي شاعراً ، د. محمود شاكر سعيد ، ط(١) ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، عمان .

٧٣ - مختصر سيرة الرسول ﷺ لشيخ الإسلام مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبدالوهاب ، المكتبة الفيصلية ، بدون تاريخ .

٧٤ - مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، ط(١) الدوحة ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر ، ١٤٠٧هـ .

٧٥ - المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، علي علي مصطفى صبح، ط(١) سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

٧٧ - مطران (نوابغ الفكر العربي) محمد عطا، ط دار المعارف ١٩٥٩م.

٧٨ - معروف الرصافي، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية، د. بدوي طبانه، ط(٢) مكتبة الأنجلو المصرية.

٧٩ - المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، د. شوقي الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط(١) ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م.

٨٠ - معجم الأعلام، معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بسام عبدالوهاب الجابي، ط(١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الجفان والجابي للطباعة والنشر.

٨١ - معجم الأعلام، في الأساطير اليونانية والرومانية، ترجمة أمين سلامة، ط(١)، ١٩٥٥م، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي

٨٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، ط(٣)، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الحديث، القاهرة.

٨٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه: لفيف من المستشرقين، ونشره: أ. ي، ونستك، مكتبة بريل في مدينة ليدن، ١٩٣٦م.

٨٤ - المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي، دراسة تحليلية لشخصيته وتوثيقية لبعض قصائده، جمع وتحقيق د. عبدالله بن محمد بن حسين أبوداهش، ط(١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مطابع الجنوب .

٨٥ - من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة، ط(١) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الرفاعي .

٨٦ - من قضايا الأدب الإسلامي، د. صالح آدم بيلو، ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار المنارة للنشر، السعودية، جدة .

٨٧ - منهج الفن الإسلامي، محمد قطب ، ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الشروق.

٨٨ - النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د. حسن بن فهد بن حسن الهويمل، الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٩ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، بيروت .

٩٠ - النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ، د. أحمد كمال زكي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٩١ - النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، مطبعة نهضة مصر. بدون تاريخ.

٩٢ - النقد العربي الحديث ومذاهبه ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط الفجالة الجديدة بمصر، سنة ١٩٧٥م.

٩٣ - نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، د. عبدالملك مرتاض ، ط(٢)، ١٩٨٣م.

٩٤ - هذا هو الإسلام، محمد عبدالقادر العماوي، ط(٣) القاهرة دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ١٩٧٣م.

الصحف والمجلات

أ - الصحف :

١ - البلاد ، الأعداد : ٧٠٧١ في ٢٨/ ٢/ ١٤٠٢هـ .

٧١٦١ في ٢٩/ ١٢/ ١٤٠٢ هـ .

٧١٧٩ في ٢٠/ ٢/ ١٤٠٣ هـ .

٢ - الندوة ، العدد : ٤٦٠٨ في ١٤/ ١/ ١٤٠٠ هـ .

ب - المجلات :

١ - مجلة الحرس الوطني : العدد : (٥٠) ربيع الآخر سنة ١٤٠٧هـ

٢ - مجلة الفيصل : العدد (٧٣) رجب سنة ١٤٠٣هـ .

والعدد : (١٠٩) رجب سنة ١٤٠٦هـ .

٣ - مجلة كلية اللغةالعربية : العدد (١١) عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤ - مجلة المسلمون : العدد : (٣٨) في ٢٥/٩/ ١٤٠٢هـ .

٥ - مجلة المنهل : المجلدات : (٨) جمادي الثانية سنة ١٣٦٧هـ .
(١٤) ربيع الأول سنة ١٩٧٣م .
(١٥) ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ.
(٢٣) شعبان سنة ١٣٨٢هـ .
(٢٩) ذو القعدة ، وذو الحجة سنة ١٣٨٨
(٣٨) محرم وصفر سنة ١٣٩٦هـ .
٦ - مجلة اليمامة : العدد (١١٤٨) رمضان سنة ١٤١١هـ .
العدد (١١٤٩) رمضان سنة ١٤١١هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
التمهيد	١٨
الفصل الأول	
النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية	٢٧ ـ ١١٠
المدح	٢٨
الرثاء	٣٧
الغزل	٥٤
الوصف	٦٤
الشعر الاجتماعي	٧٩
الشعر الوطني	٩١
الفصل الثاني	
موضوعات الشعر الإسلامي	١١١ ـ ١٨٥
الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية	١١٢
الشعر المتصل بالإسلام ورسالته	١٢٧
استلهام التاريخ الإسلامي	١٤٣
الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين	١٦١

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد	١٧٠
الشعر المتصل بالدعوة الى الوحدة العربية والوحدة الإسلامية	١٧٦
الفصل الثالث	
معاني الشعر الإسلامي	١٨٧ ـ ٢٥٩
المبحث الأول : المعاني والأفكار	١٩٠
المبحث الثاني : التجربة الشعرية والصدق الفني	٢٢٠
المبحث الثالث : الوحدة العضوية	٢٤٤
الفصل الرابع	
الشكل والصورة في الشعر الإسلامي	٢٦١ ـ ٣٩٩
المبحث الأول : المعجم الشعري	٢٦٤
المبحث الثاني : الأسلوب	٢٨٦
المبحث الثالث : الصورة الفنية	٣٥٢
الخاتمة	٤٠٠
المصادر والمراجع	٤١٠
فهرس الموضوعات	٤٢٣

مطابع جامعة أم القرى